أحمد قريع

أبو علاء

على دروب الفتح

(٦)

فتح في زمن التغريبة التونسية

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث

أحمد قريع
أبو علاء

على دروب الفتح

(٦)

فتح في زمن التغريبة التونسية

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث

فتح في زمن التغريبة التونسية،

الكتاب السادس من سلسلة إصدارات "**على دروب الفتح**".

أحمد قريع (أبوعلاء) / مؤلف من فلسطين.

الطبعة الأولى، 1443 هـ - 2022 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من معهد القدس للدراسات والأبحاث / جامعة القدس.

القدس ، فلسطين

معهد القدس للدراسات والأبحاث

جامعة القدس

صندوق بريد: 51000

تلفاكس: 00972-02-2790666 .

الموقع الالكتروني: https://isr.alquds.edu

البريد الالكتروني: isr@alquds.edu

الرقم المعياري: **ISBN 978-9950-364-40-0**

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث

ISBN 978-9950-364-40-0

9 789950 364400

الفهرس

المؤتمر الخامس لِـ (حركة فتح) في تونس عام ١٩٨٨ ..... ٥
المقدّمة ٥
كلمة الأخ أبو عمّار ١٥
كلمة الرّئيس زين العابدين بن عليّ الرّئيس التّونسيّ ٢٥
البرنامج السّياسيّ للمؤتمر الخامس للحركة ٣١
الانتفاضة و الإعلان عن الاستقلال ٤١
وقيام دوّلة فلسّطين ٤١
إعلان الاستقلال وتطوير مفاهيمي السّيّاسيّة والقانونيّة ٥٣
البحث عن الذّات الحضور - المشاركة ٥٧
الاعتراف بإسرائيل الخطوة المؤلمة والقاسيّة والمجبر عليها ٥٩
هل نحن بارعون في إضاعة الفرص؟ ٦١
الفلسطينيّون بين نارين: انهيار الاتّحاد السّوفياتيّ، وغزو العراق للكويت ٦٥
مؤتمر السّلام- مدريد أنّ نكون أو لا نكون!! ٦٩
الانتفاضة الفلسطينيّة الأولى ٧٥
البداية ٧٩
التّكاتف والتّكافل المبدع ٨٥
قائد الانتفاضة الأولى الشّهيد والرّمز خليل الوزير (أبو جهاد) ٨٩
عمليّة اغتيال أبي جهاد ٩٧
قرار الاغتيال ١٠١
من هو أبو جهاد الّذي حشدت إسرائيل كل أجهزتها لإغتياله؟ ١٠٣
جريمة الاغتيال ١٠٩
الحرب العراقيّة على الكويت ١١١
الفلسطينيون في الكويت ١١٩

السّائح الأستراليّ في تونس ومحاولة اغتياليّ ١٢٣
الغارة الإسرائيليّة على (مقرّات فتح) في حمام الشّط ١٢٧
نجاة الأخ أبو عمّار ١٢٩
أسباب الغارة المعلنة ١٣١
اغتيال القادة أبي إياد، وأبي الهول، وأبي محمّد العمريّ ١٣٣
من هو صلاح خلف (أبو إياد)؟ ١٣٥
قصّة الاغتيال الشّريك أبو نضال والنّظام اللّيبيّ الاهتمام الإسرائيليّ من خلال الموساد ١٣٩
من المرافعة الختاميّة للنّائب العامّ الفلسطينيّ ١٤٣
المحاكمة ١٤٧
البداية- الصّدفة- الموافقة والبناء على اللّقاء ١٤٩
الضّرورة الواقعيّة ١٥٥
الاهتمام الأمريكيّ والإسرائيليّ ١٦٧
إلى متى ستبقى إسرائيل متعنّتة؟ وماذا تهدف؟ ١٧١
المهمّة الصّعبة ١٧٣
في يوم ١٩٩٣/١/٢٠ وصلت إلى اوسلو ١٨١
صُـوَر ٢٠٧

المؤتمر الخامس
لِـ (حركة فتح) في تونس عام ١٩٨٨

المقدّمة

تـردّدت كثـيراً قبـل أن أقـدم على اتّخـاذ قـرار بالكتابـة حـول المؤتمـر الحـركيّ الخامـس لعـدّة أسـباب، منها عـدم إعياء الذّاكـرة، وتجنّـب فتح جـروح قديمة؛ لأنّ عـدداً مـن الّذيـن أصبحـوا قادة لـم يحقّقـوا النّجـاح المطلوب في هـذا المؤتمـر؛ولأنّ أعضـاء المؤتمـر لـم يصوتـوا لهم، علمـاً أنّـه لم يكن هنـاك تآمـر ضدّهـم أو أسرار ومقالـب واجتمـاعات وترتيبـات مسـبقة، بـل لأنّهـم لـم يكونـوا مقبولـين عنـد أعضـاء المؤتمرالّذيـن فرضـه عليهـم الأخ أبو عمّار، وأمّا السّـبب الآخـر فكان يتمثّل في أنّه كان هناك قلق في المسـلك بين المجموعات والمرشّـحين مناطقياً، وسـادت ثرثرة كثـيّرة حـول ذلك.

لقـد كان معظـم أعضـاء المؤتمـر الخامـس مـن العسـكر والتّنظيـم، والّذين كانـوا يعتمـدون على الحركـة في الإقامـة وفي كلّ تفاصيـل الحيـاة منـذ الخـروج مـن بـيروت، ومـع ذلك فقد رفضـوا الكثير من مطالـب القيادة في المؤتمـر، وهي مطالب جـاءت مـن قامـات عالية مـن أمثـال أبي إياد وخـالد الحسـن، وليس فقـط من أبي عمّـار، مثـل رفض المؤتمـر انتخاب لجنـة مركزيّة موسّـعة، ورفـض انتخاب مكتب

سياسيّ بصلاحيّات خاصّة فوق اللّجنة المركزيّة، ورفض العسكر انتخاب قياداتهم العسكريّة رغم الضّغوط، ورفض فكرة أمين سرّ أو رئيس للحركة.

ومن جهة أخرى فقد كان من الدروس كذلك عدم اتّخاذ (الأخ أبو عمّار) أيّ إجراءات عقابيّة على أيّ من الّذين رفضوا مثل هذه المطالب في المؤتمر. هذه أمثلة على رسائل هامّة حول ثقافة مواقف كلّ من قيادة الحركة وكوادرها وقتئذ مقارنة بالمؤتمرين اللذين عُقدا لاحقاً.

لقد كان المؤتمر الخامس من أهمّ مؤتمرات الحركة؛ فقد عقد في أجواء الانتفاضة وطموحها ورؤيتها وتأثيرها، ولكنّ مع الأسف الشّديد انعقد في غياب القائد الكبير قائد الانتفاضة الأخ الشّهيد أبي جهاد.

لقد جاء المؤتمر الخامس بعد انعقاد الدّورة (١٩) للمجلس الوطنّي الفلسطينيّ الّذي عقد في الجزائر بعد إعلان وثيقة الاستقلال، وفي استمراريّة الظّروف السّياسيّة والمتطلبات الضّروريّة للحفاظ على الثّورة والقيادة الفلسطينيّة، والسّعي لتحقيق ما يمكن تحقيقه في هذه الظّروف الصّعبة.

لقد بدأت أعمال المؤتمر بالتّركيز على القاعدة التّنظيميّة لحركة فتح، وكذلك فقد تركّزت أعمال المؤتمر على شعار «ثورة مستمرّة، وانتفاضة متصاعدة حتّى النّصر، وإقامة الدّولة الفلسطينيّة المستقلّة».

بدأت أعمال المؤتمر بإلقاء كلمة الأخ أبي عمّار، وكلمة للرّئيس التّونسيّ زين العابدين بن علي، ثمّ بدأ تثبيت أسماء الأعضاء للمؤتمر والّذين بلغ عددهم (١٢٠٠) كادر .

بدأ الأخ فاروق القدومي (أبو اللّطف) أمين سرّ اللّجنة المركزيّة للحركة

بقـراءة تقريـر اللّجنـة المركزيّـة الّذي تركّـز على المحطّـات والمراحل الّتي مـرّت بها الحركـة منـذ المؤتمر الرّابـع الّذي عقـد في سـوريّا عام ١٩٨٠ وحتّى المؤتمـر الخامس.

وتنـاول التقّرير الاجتيـاح الإسرائيليّ عام ١٩٨٢، ومؤامرة الانشـقاق، ومعارك الدّفـاع عـن القـرار الوطنيّ الفلسـطينيّ المسـتقلّ، وحـرب المخيّمـات الّـتي قادتها حركـة أمـل برعاية سـوريّة، ومعركة إعادة بناء المؤسّسـات الفلسـطينيّة، وتكريس مكانـة م.ت.ف على الصّعيديـن العـربيّ والدّوليّ، وكذلـك الانتفاضة المسـتمرّة والّتي يجـب دعمهـا الكامـل، وتصعيدهـا حـتّى بلوغهـا كامـل أهدافهـا، حيـث تضمّـن التّقريـر اسـتعراضاً عامـاً للأوضاع والـصّراعات الدّوليّـة والواقع الإقليـميّ ومكانته على السّـاحة الدّوليّة.

قدّم التّقرير رؤيا سياسيّة واضحة، وأكّد على ضرورة تنميّة كلّ العناصر الّتي تحقّق موازين القوى ما أمكن من خلال تصعيد مختلف أشكال النّضال الفلسطينيّ سواء من خلال الانتفاضة، أو من خلال التّركيز على تصعيد الكفاح المسلّح الّذي طالما كان -وسيبقى- واحداً من أبرز عناصر القوّة الفلسطينيّة المتناميّة، والّذي كان قد فتح الطّريق بداية لهذا الحضور الفلسطينيّ الشّامل والفاعل.

كمـا أكّـد التّقرير على عظمة الإنجـاز الّذي تحقّق بإعلان قيام دولة فلسـطين المسـتقلّة وعاصمتهـا القـدس مشـدّداً على ضرورة ترسـيخ المفهوم السّـياسيّ للدّولة الفلسـطينيّة، والمسـاهمة بتنشـيط المبـادرة الفلسـطينيّة كمهمّـة رئيسـة من مهام النّضـال الوطـنيّ في تلـك المرحلة، وواجـب تعزيـز أواصر الوحدة الوطنيّـة في داخل الوطـن وخارجـه، كمـا وضـع التّقريـر مجموعة مـن التّوصيات حـدّدت سـبل تنمية فاعليّـة التنّظيم وترسـيخ بنيانه.

وفـور انتهاء التّقرير بدأت المناقشـات الّتي اتّسـمت بروح إيجابيّة مسـؤولة،

وعكست فهماً دقيقاً للموضوعات السّياسيّة، ولم تظهر خلافات سياسيّة تذكر؛ لأنّ السّقف السّياسيّ كان قد تمّ تحديده في قرارات المجلس الوطنيّ السّابق في الجزائر.

كان هناك إجماع على أهميّة المبادرة السّياسيّة وضرورة تنشيطها بالرّغم من أنّ بعضهم طرح مجموعة من الأسئلة حول الآفاق المتوقّعة، وتجدر الإشارة إلى أنّه لم تسجل أيّة نقاط اعتراض هامّة في الموضوع السّياسيّ أو في الموضوع التّنظيميّ، وقد انبثق عن المؤتمر خمس لجان عمل هي :

١. لجنة الانتفاضة.

٢. اللّجنة السّياسيّة.

٣. لجنة النّظام.

٤. اللّجنة العسكريّة والأمنيّة.

٥. اللّجنة الماليّة والأجتماعيّة.

وعلى مدار يومين كاملين استمرّت المناقشات داخل اللّجان، وكان التّركيز على توسيع إطار اللّجنة المركزيّة بزيادة عدد أعضائها. وبالتّصويت على هذه النّقطة وبأغلبيّة الثّلثين تمّ التّأكيد على زيادة عدد أعضاء اللّجنة المركزيّة. وفي نفس الوقت - وبالإجماع والتّصفيق الحاد- انتخب المؤتمر الأخ أبا عمّار رئيساً للجنة المركزيّة للحركة، وكان قبل ذلك قد صفّق المؤتمر وقوفاً لدقائق متّصلة لمقترح تقدّم به الأخ أبو اللّطف نصّ على استثناء الأخ القائد (أبو عمّار) من انتخابات اللّجنة المركزيّة.

لقد تذكّر أعضاء المؤتمر بإجلال واحترام كبيرين شهداء حركة فتح، وخاصّة منهم شهداء اللّجنة المركزيّة من الشهيد عبد الفتّاح عيسى حمود وحتّى الشّهيد أبو جهاد.

بدأت جولة انتخابات اللجنة المركزيّة الّتي بلغ عدد المرشّحين لها (٣٩) مرشحاً بمن فيهم أعضاء اللّجنة الّتي استقالت مع بداية المؤتمر، فيما وصلت قائمة المرشّحين للمجلس الثّوريّ إلى (٢٢٠) مرشّحاً لانتخاب (٤٩) عضواً فقط.

دخل المؤتمر أجواء معركة الانتخابات، وكانت الكتل والمجموعات والتّحالفات تستمرّ طيلة اللّيل، وكان هناك صراعٌ كبير في تلك الأجواء، وتوقّع بعضهم مفاجاءات تحدّث عنها الأخ أبو عمّار في كلمته.

وبعد الانتخابات تمّ فرز الأصوات بواسطة الكمبيوتر وليس يدويّاً، فكان ذلك بمثابة أوّل انتخابات بوساطة الكمبيوتر في العالم العربيّ، واستمرت عمليّة الفرز حتّى الصّباح. أمّا أنا فكان هناك فريق معي وحولي استطعنا أنّ نحقّق نتائج ممتازه سواء في اللّجنة المركزيّة أو في المجلس الثّوريّ.

تشكّلت اللّجنة المركزيّة الجديدة من:

- الأخ أبو اللّطف.
- الأخ أبو إياد.
- الأخ أبو السّعيد.
- الأخت أمّ جهاد.
- الأخ صخر حبش.

- الأخ أبو الهول.

- الأخ أبو ماهر.

- الأخ هاني الحسن.

- الأخ أبو المنذر.

- الأخ حكم بلعاويّ.

- الأخ أبو مازن.

- الأخ أبو علاء.

- الأخ نصر يوسف.

- الأخ الطّيب عبد الرحيم.

- الأخ محمّد جهاد.

- الأخ أبو الأديب.

- الأخ عبّاس زكي.

أمّا أعضاء المجلس الثّوريّ فهم:

- الأخ حربي الصّرصور.

- الأخ أبو علي شاهين.

- الأخ د. زهير الوزير.

- الأخت فاطمة البرناوي.

- الأخ سفيان الآغا.

- الأخت أمّ اللّطف.

- الأخت أمّ صبري.

- الأخ صخر بسيسو.

- الأخ ربحي موسى.

- الأخ العقيد عبود.

- الأخ أكرم هنيّة.

- الأخ أنيس الخطيب.

- الأخ سمير أبو غزاله.

- الأخ إبراهيم أسد.

- الأخ عدنان سمارة.

- الأخ عزّام الأحمد.

- الأخ ناصر القدوة.

- الأخ وليد سعد صايل.

- الأخ أبو داوُد.

- الأخ معين الطّاهر.

- الأخ أبو فراس.

- الأخت سلوى ابو خضرا.

- الأخ رشاد الكاسر.

- الأخ بكر عبد المنعم.

- الأخ أبو منهل.

- الأخ حكمت زيد.

- الأخت مريم الأطرش.

- الأخ محمود العالول.

- الأخ خالد مسمار.

- الأخ فتحي البحريّة.

- الأخ عدلي محمّد المدنيّ.

- الأخ عاطف بسيسو.

- الأخ حيدر إبراهيم.

- الأخ جمال محيسن.

- الأخ عبدالله حجازيّ.

- الأخت نجلاء ياسين.

- الأخ أبو علي مسعود.

- الأخ زكريا عبدالرّحيم.

- الأخ عارف خطّاب.

- الأخ جميل شحادة.

- الأخ عزّالدّين شريف.

- الأخ عبدالكريم نصّار.

- الأخ روحي فتّوح.

- الأخ عبدالمحسن الزّعتر.

- الأخ يحيى يخلف.

- الأخ مروان البرغوثيّ.

- الأخ أسامة العلي.

- الأخ نبيل الرّملاوي.

وانتخب المجلس بالإجماع الأخ أبو الحكم الرّوسان عضواً في المجلس الثّوريّ، ورئيساً لهيئة القضاء الثّوريّ.

إنني في هذا المقام أحب أن أُثبت نص كلمة الأخ أبو عمّار الّتي افتتح بها

المؤتمـر، وكذلـك كلمـة الرّئيـس التّونسي زيـن العابدين بـن علي، اللتـين أُخذتا من وثائق المؤتمـر الخامس.

كلمة الأخ أبو عمّار

بسم الله الرحمن الرحيم

« إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا، فسبح بحمد ربك، واستغفره إنّه كان توابا» صدق الله العظيم

أخي المجاهد الرّئيس زين العرب/ زين العابدين بن علي،

يا أبناء شعبنا الفلسطينيّ العظيم على أرض الوطن وكل مناطق المنافي والشتات، يا أبناء امتنا العربيّة في كلّ بقعة من بقاع الأرض العربيّة، يا أبناء فتح، يا أبناء الرّصاصة الأولى وروّاد الكفاح الفلسطيني في ربع القرن الأخير.

على أرض تونس الخضراء الخيرة المعطاءة، وفي أحضان شعبها الكريم، والمضياف بقيادة رئيسها المجاهد الأخ زين العرب . زين العابدين بن علي، والّذين انطبق عليهم القول الكريم: « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة». نعم، يؤثرون على أنفسهم من أجل العرب ومن أجل أمّة العرب.

وفي ذكرى هجرة الرّسول العربيّ الكريم النّبيّ محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) نعقد المؤتمر الخامس لحركة التّحرير الوطنيّ الفلسطينيّ (فتح) مستلهمين كلّ المعاني الكبيرة، والتّضحيات الجسيمة الّتي تجسّدها هذه الذّكرى العظيمة لنبدأ مؤتمرنا هذا على بركة الله، وفي رحاب الجهاد المبارك أرضيّة هذا التّراكم الثّوريّ الخلّاق لمسار حركتنا وثورتنا وصمودنا وانتفاضتنا .

أيّها الإخوة الكرام،

ربع قرن انقضى منذ أن افتتحت حركة فتح مرحلة جديدة من النّضال الوطنيّ الفلسطينيّ . ربع قرن من الكفاح في سبيل بعث وتثبيت الشّخصيّة الوطنيّة الفلسطينيّة ، ربع قرن من المقاومة العنيدة ضدّ كلّ المحاولات الّتي رمت إلى إنكار وجود شعبنا، وطمس هويته، وتبديد حقوقه الوطنيّة الثّابتة غير القابلة للتّصرّف . ونحن إذ ننظر الى الوراء، لرصد مسيرتنا الثّوريّة عبر ما قدمناه للشّعب والوطن وللأمّة العربيّة من تضحيات وقوافل من الشّهداء ، ومعارك بطوليّة ، فإنّنا لا نزهو بقدر ما نتعلّم، ولا نركن للمكتسبات بقدر ما نستخلص العبر، ولا نتوقّف بقدر ما نتعرّف على ما في شعبنا وفي أمّتنا من قدرة على العطاء غير المحدود من أجل حرّيّة واستقلال الوطن الفلسطينيّ والكرامة العربيّة.

وها هو التّاريخ العادل ينصف الرّصاصة الأولى الّتي انطلقت في الفاتح من يناير عام ١٩٦٥؛ فلقد قال التّاريخ إنّها لم تكن مغامرة أو طائشة ، بل كانت تعبيرا عن إرادة الشّعب الفلسطينيّ في الاعتماد على الذّات، وحاجته الملحّة إلى صيغة المشروع الوطنيّ الّذي ينسجم مع شروط العمل القوميّ في تلك المرحلة ، وكانت رصاصتنا الأولى تعبيرا عن الاستجابة لمتطلّبات الكفاح القوميّ، والّتي تقتضي حتميّة أن يحمل الشّعب الفلسطينيّ راية تحرّره بنفسه للدّفاع عن كيانه الوطني ، ولاستعادة وطنه المغتصب/ فلسطين الحبيبة، ولردع الامتداد الصّهيونيّ في جسد الأمّة العربيّة.

كانت فتح ومنذ البداية الوطنيّة قويّة في أنّها لم تر أيّ توتّر أو تعارض في العلاقة ما بين معادلة الوطنيّ والقوميّ وارتباطها بحركة التّحرير العالمي، كما

رفضت، برّر التّاريخ رفضها، أن تدخل في جدال عقيم حول علاقة المرحليّ بالاستراتيجيّ والاستراتيجيّ بالمرحليّ. ولأنّ فتح كانت كذلك ، أصدر رجل التّاريخ الرّئيس جمال عبد النّاصر حكمه حين قال:» إنّ الثّورة الفلسطينية وجدت لتبقى»، وأضفنا إليها:» وجدت لتبقى، ولتنتصر»...

وها هي ثورتنا لا تحتفل ببقائها ومعجزة صمودها طوال ربع قرن فقط، وإنّما تفتح آفاق الانتصار المرئية والملموسة بتضحياتها الجبارة، وباستيعابها الدّقيق للتّوازن بين قوانين حركة فتح بين قوانين حركة التّاريخ من جهة، ومعطيات الواقع الإقليميّ والدّوليّ وحركة توظيف الفعل الكفاحيّ الثّوريّ فيه ومن جهة أخرى ... وذلك ما حرّر حلمنا الوطنيّ العظيم ومن ضباب المستحيل وما حَوْلَ ما كان أشبه بالمستحيل إلى ممكن واقعيّ ممّا زوّد الشّعب الفلسطينيّ بالرؤية الواضحة والنّضج السّياسيّ فصار الأمل ملموسا. وبهذا فقد استوفت فتح شروط كونها حركة لكلّ الشّعب الفلسطينيّ ممّا حملّها مسؤولية تاريخيّة خاصّة، ووضع على عاتقها أعباء وواجبات تكبر باستمرار كلما اقترب الطّريق إلى الوطن المستقلّ فلسطين الحبيبة. وينبغي علينا -أيّها الإخوة- وبتواضع الثوريين الّذي تعلّمناه خلال مسيرة كفاحنا الطّويلة أن نؤكّد اليوم أنّنا مطالبون باستمرار أن نستوعب كلّ ما يقدّمه واقعنا الوطنيّ بعلاقته بالواقع القوميّ والعالميّ المتغيّر من جديد والمتنوّع والمتعدّد حتّى نوظّفه في خدمة الأهداف الّتي نسعى إليها.

لم تتبوّأ فتح هذه المكانة النضالية والمصداقية الوطنية إلّا بمقدار ما كانت حاضنة لتعددّية الفكر الوطنيّ والقوميّ والثّوريّ والإنسانيّ، وسياجا للوحدة الوطنيّة بين فصائل الثّورة وقواها وشخصياتها وسائر فئات شعبنا الفلسطيني. ومن هنا فإنّنا إذ نسجّل مكتسبات الشّعب الفلسطينيّ طيلة ربع قرن لا نرى

انفصاما أو حدودا فاصلة بين موقع ودور فتح، وبين كفاح شعبنا بكلّ قواه واتّجاهاته وفصائله المناضلة.

إنّ تاريخنا النّضاليّ هو تاريخ شعبنا العظيم، وإنّ مأثر كفاح الشعب هي تاريخ مأثرنا. ونحن -إذ ننظر إلى الوراء- نستلهم في المهام الصّعبة الّتي تنتظرنا في كلّ محطّات المجد والمعاناة والبطولة بدءا من رصاصة فتح الأولى...إلى معركة الكرامة الخالدة... إلى صمود الثّورة ضد كلّ المجازر ومحاولات التّصفية... إلى إعجاز اعادة بناء... إلى ملحمة بيروت الفذّة والفريدة في تاريخ المواجهة العربية الاسرائيلية...إلى تصدي المخيّمات الأسطوريّ لمشروع الإبادة الّذي حوّل اسم صبرا وشاتيلا إلى أحد أسماء الهويّة المعذّبة بإسقاط مشروع حصان طروادة الّذي رشّحوه لغزوة قلعتنا من داخلنا الى رسو سفينة الرحيل على شاطيء الوحدة الوطنيّة في الجزائر إلى هنا في تونس الحضن التّونسيّ الدّافيء لتنطلق منها إلى شاطيء الوطن لافتتاح عصر الانتفاضة الشّعبيّة الكبرى، المنتصرة بإذن الله، وكانت الرّافد الحيّ لهذا الصّمود الأسطوريّ لشعب الانتفاضة وأطفال الانتفاضة ونساء الانتفاضة ورجال الانتفاضة.

إنّ الكفاح المسلّح الّذي رفع رايته المقاتل الفلسطينيّ الباسل أرسى الأساس الرّاسخ للانتصارات السّياسيّة في جميع مراحل نضالنا وتطورها. وهذا الكفاح المشروع ضدّ الاحتلال الإسرائيليّ قد كرّس موقعنا في طليعة نضال حركات التّحرّر الوطنيّ في العالم، واكسبت قضيتنا العادلة دعما ووعيا متزايدا، ووضع الحدّ الفاصل بين المقاومة الوطنيّة والإنسانيّة ضدّ الاحتلال والاغتصاب، وبين الإرهاب الإسرائيليّ الّذي كان شعبنا ولا يزال ضحيّته منذ أكثر من نصف قرن.

إنّ منظّمة التّحرير الفلسطينيّة عندما أدانت الإرهاب ورفضته، فإنّما

كانت بذلك تعبّر عن صميم الارتباط بمباديء المعادلة الإنسانيّة من أجل إبراز جوهر التّقاليد الثّوريّة لكفاح شعبنا، وحقنا الّذي لا يتزعزع في المقاومة المشروعة ضدّ الاحتلال لأرضنا واضطهاد شعبنا.

وفي خضم هذه المسيرة المتعدّدة المشاهد، وترسخ إيمان شعبنا بحقّه الصّلب في الحرّيّة والعودة والاستقلال، وتعزّز تمسكه الّذي لا يلين بهويته الوطنيّة وبالتفافه حول منظّمة التّحرير الفلسطينيّة عنوان وجوده والإطار المعبّر عن كيانه وممثّله الشّرعيّ والوحيد في الوطن والمنفى. هكذا باءت بالفشل كلّ المحاولات الرّامية إلى شقّ صفوفه، وخلق البدائل، ومصادرة قراره الوطنيّ المستقلّ، وترسخ شعارنا (غير خاضعة ولا تابعة إلّا لإرادة شعبنا الفلسطينيّ).

إنّ المحن والتّجارب الّتي اجتازها شعبنا أكسبته مناعة وصلابة لا تعرف حدودا، وقدّمت البرهان التّاريخيّ على أنّ هذا الشّعب العظيم ابن الأمّة العربيّة، والمسلّح بتراثها الحضاريّ، والمقاوم، وحامل رسالتها الإنسانيّة ضدّ العنصريّة والقهر والاضطهاد... أقول: «إنّ هذا الشّعب العظيم قد عقد العزم على مواصلة طريق التّضحيات حتّى تحقيق أهدافه في العودة، وتقرير المصير، وإنجاز قيام دولة فلسطين على أرض الوطن وعاصمتها القدس الشّريف مسرى النّبيّ محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، ومهد المسيح -عليه السّلام-».

بالانتفاضة الشّعبيّة الكبرى افتتح مرحلة جديدة من نضاله الطّويل تشكّل مع التّراكم الثّوريّ الخلّاق والصمود الثّوريّ المذهل انعطافا في مسار الصّراع مع الاحتلال الإسرائيليّ، وتوفّر إمكانيّة موضوعيّة لكي يحقّق الشّعب الفلسطينيّ ما حرم من تحقيقه منذ قرار التّقسيم عام ١٩٤٧ بإقامة دولته المستقلّة وحماية مصيره الوطنيّ من الضّياع والتّبديد.

وإنّنا إذ نجتاز اليوم الشّهر العشرين من عمر الانتفاضة الّتي كرّست موقعها في ضمير العالم وفي حسابات القوى الدّوليّة كمعركة للاستقلال الوطنيّ يخوضها شعب بأكمله رجالا ونساء وأطفالا وشبيبة... معركة الدّفاع عن الوجود الوطنيّ وعن مستقبل أجيال فلسطين، فإنّنا نؤكّد اليوم باسم الثّورة وباسم الانتفاضة أنّ طريقها الّذي سارت فيه لا عودة عنه، وأنّ السّلام يبدأ بدولة فلسطين، والسّلام ستصنعه دولة فلسطين... السّلام القائم على الحرّيّة والعدل والمساواة.

لقد هزّت الانتفاضة حساسيّة الضّمير العالميّ بما فيه الضّمير اليهوديّ، ودفعت الرّأي العامّ العالميّ إلى الاصطفاف حول القناعة بأنّه لا مفرّ من تحقيق الاستقلال للشّعب الفلسطينيّ كشرط للبحث الجدّيّ في إنجاز السّلام الحقيقيّ والعادل في منطقة الشّرق الأوسط، كما حرّكت مشاهد الإرهاب الإسرائيليّ مشاعر الاشمئزاز بقدر ما أثارت بطولة الصّمود والتّصدّي الجماهيريّ الشّجاع للإرهاب الإسرائيليّ وآلة القمع الإسرائيليّ إعجاب العالم بأسره بصورة الفلسطينيّ المدافع عن حرّيّته وحقوقه ووجوده. إنّ الفلسطينيّ اليوم هو الرّمز الحيّ لحماية حقوق الإنسان في أن يكون له وطن حرّ ومستقلّ، وهو بهذا قد تغلغل في نسيج الوجدان الإنسانيّ.

وإنّنا إذ نقدّر الرّأيّ العامّ في أوروبا وأميركا والقوى الدّيمقراطيّة الإسرائيليّة على مواقف التّعاطف والدّعم للانتفاضة المباركة فإنّه يحقّ لنا أن نسأل حكومة الولايات المتّحدّة ورئيسها: إلى متى سيستمرّ إنكار حقّ شعبنا في تقرير المصير؟ وحتّى متى تتواصل مسيرة آلآم شعبنا؟ وكم حرب أخرى ستشهدها المنطقة لتخرج من حلقة الدّم المفزعة بسبب استمرار الاحتلال الإسرائيليّ،

ومواصلة سياسة الغطرسة والتّوسّع والتّنكيل والإرهاب الّتي يسير عليها الحكّام الإسرائيليّون على مرأى من العالم ومسمعه وبصره؟

لقد قدّمت منظّمة التّحرير عبر مبادرة السّلام الفلسطينيّة الّتي انبثقت عن قرارات مجلسنا الوطنيّ الفلسطينيّ ووثيقة إعلان الاستقلال أساسا للسّلام العادل، والقائم على قاعدة حقوقنا الوطنيّة الثّابتة، وعلى الشّريعة الدّوليّة. وإذ نؤكّد اليوم ومن على هذا المنبر أنّ الانتفاضة لن تتوقف قبل إنجاز الاستقلال، فإنّنا نؤكّد كذلك أنّ مبادرتنا للسّلام هي مبادرة الانتفاضة وبرنامجها، وهي كذلك برنامج الأمّة العربيّة الّذي التفّت جميعها حوله في قرارات القمّة العربيّة مؤخّرا في الدّار البيضاء .

إنّنا -وانطلاقا من القرارات العربيّة والدّوليّة- نجدّد اليوم تمسّكنا بصيغة المؤتمر الدّوليّ للسّلام في الشّرق الأوسط، وندعو إلى التّحضير الجادّ والفعّال لإنقاذه مؤكّدين في الوقت ذاته أنّ حوارنا واتّصالاتنا مع جميع الدّول المعنيّة بالصّراع في المنطقة وفي العالم أنّها تصبّ كلّها في خدمة تحقيق هذه العمليّة وهذه الأهداف.

لقد ازداد اليوم الإدراك بصحّة واقعيّة خطّتنا للسّلام العادل، وخاصّة بعد أن كشفت ما سمّي بمبادرة الحكومة الإسرائيليّة عن نوايا حقيقيّة لأصحابها في تعطيل مسيرة السّلام، ومحاولة لتكريس الاحتلال والأمر الواقع، والاستمرار في تضليل الرّأي العامّ الدّوليّ.

إنّ منظّمة التّحرير الفلسطينيّة الّتي أكّدت أنّ أيّة إجراءات مرحليّة لا بد أن تكون مرتبطة زمنيّا ونتيجة بالحلّ النّهائيّ الّذي يقوم على إنهاء الاحتلال

الإسرائيليّ، وعلى تقرير المصير، وتحقيق الاستقلال لشعبنا، وحلّ مشكلة اللاّجئين الفلسطينيين من شعبنا حلّا عادلا في إطار قرارات الأمم المتّحدّة ذات الصّلة.

مع هذه السّياسة الوطنيّة والواقعيّة الّتي تحظى بأوسع تأييد عالميّ، لا بدّ هنا من تقديم شكرنا وتقديرنا العميقين لجميع دول عدم الانحياز، والدّول الإسلاميّة، والبلدان الاشتراكيّة، ومنظّمة الوحدة الإفريقيّة، والدّول الآسيويّة، والبلدان الأوروبيّة الّتي اعترفت بدولة فلسطين، وعبّرت عن تضامنها ودعمها للانتفاضة، ولنضال شعبنا العادل تحت قيادة منظّمة التّحرير الفلسطينيّة.

سيادة الرّئيس،

أيّها الإخوة والأحبّة،

من قلب مؤتمر فتح نتوجّه إلى الانتفاضة العظيمة المباركة... إلى نساء فلسطين حاملات راية الوطن... إلى رجال فلسطين صانعي مستقبل الحرّيّة والاستقلال... إلى أطفال فلسطين الّذين يتربّون في مدرسة الانتفاضة... إلى الشّبيبة الفلسطينيّة وقواتها الضّاربة الّتي هي سياج الشّعب ودرعه... إلى اللّجان الشّعبيّة عنوان ديموقراطيتنا الفلسطينيّة ووحدتنا وإطار شعبنا المنظّم... إلى القيادة الوطنيّة الموحّدة صوت منظّمة التّحرير الفلسطينيّة الفعّال والمدوّي للوطن الحبيب... إلى الصّامدين الأبطال في المخيّمات والقرى والمدن الفلسطينيّة الشّامخة... إلى المعتقلين والأسرى في معسكرات الاعتقال... إلى سجناء الحرّيّة... إلى الجرحى الّذين يحملون على صدورهم أوسمة الوطن والحرّيّة... أقول: إنّ فجر الحرّيّة يقترب، وإنّ ساعة النّصر قادمة، وليل الاحتلال إلى زوال.

وإلى أرواح شهداء شعبنا الّذين ارتقوا قافلة بعد أخرى إلى أعالي المجد

الشّامخة الّذين قدّموا لنا مفاتيح النّصر والفجر القادم إليهم من قلب مؤتمر فتح، إلى شهدائنا الأبرار جميعهم، وفي المقدّمة منهم عبد الفتّاح حمود، وأبو يوسف النّجّار، وكمال عدوان، وأبو صبري، وأبو عابد، وأبو الوليد، وماجد أبو شرار، وإلى أمير الشّهداء أبو جهاد... أخي... ورفيق الجهاد والنّضال... ابن فتح البارّ... ابن فلسطين والثّورة وفتح، وإنّ ما زرعنا على درب النّضال الطّويل في دمائكم الطّاهرة ودمّ كلّ شهداء الأحبّة الأكرمين قد أينع الآن رايات الحرّيّة، وسوف ترتفع وإلى الأبد على أسوار قدسنا الحبيبة، ومساجدها، وكنائسها.

إلى شعبنا المرابط في مخيّمات الصّمود في لبنان وجنوبه... إلى الصّامدين في مخيّمات سوريا والأردنّ، وفي كلّ موقع نضاليّ لشعبنا: إنّ كفاحكم البطوليّ والتفافكم حول ثورتكم كان وسيظلّ عنوانا للعودة والنّصر.

وإلى أمّتنا العربيّة وقواها الوطنيّة نعبّر عن الاعتزاز بالوقفة الباسلة إلى جانب انتفاضة أخوتكم وشعبكم الفلسطينيّ على أرض وطنه متطلّعين إلى مزيد من الدّعم والمساندة لهذا الكفاح الّذي ترسّخ على قاعدة أهداف نضالنا الوطنيّ والقوميّ، وإلى لبنان وشعب لبنان الشّقيق... وحدة لبنان نحن معكم مع وحدة لبنان أرضا وشعبا ومؤسّسات مع أمنه واستقراره وسيادته على كلّ أرضه.

إليك يا أخي الحبيب زين العابدين... إلى شعبك المجاهد شعب تونس كلّ تحية كلّ الإكبار كلّ الوفاء كلّ العرفان بالجميل باسم شعبنا المناضل، وشكرا.

وأخيراً... إلى أخوتنا ورفاقنا في الكفاح فصائل الثّورة الفلسطينيّة لنواصل معا وسويّا على طريقنا الّذي سرنا عليه... طريق الوحدة الوطنيّة الرّاسخة، والصّمود الأسطوريّ والتّصميم على التّمسك بمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة وقراراتها وبرنامجها، طريق الثّورة والانتصار.

عاشت انتفاضة شعبنا المباركة، عاشت منظّمة التّحرير الفلسطينيّة ممثّلنا الشّرعيّ والوحيد، عاشت أمّتنا العربيّة العظيمة، وكفاحها من أجل التّحرّر، والمجد للشّهداء... الفجر آت آت، والنّصر آت آت، والدّولة على مرمى حجر من طفل أو فلسطينيّ.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

«لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا». صدق الله العظيم

وإنّها لثورة حتّى النّصر.

كلمة الرّئيس زين العابدين بن عليّ الرّئيس التّونسيّ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

حضرة الأخّ الرّئيس،

حضرات الإخوة المناضلين،

حضرات الضّيوف الكرام،

إنّه لمن دواعي الاعتزاز أن نرحب بكم جميعاً، وأن نفتتح معكم هذا المؤتمر التّاريخيّ الّذي يمثّل مرحلة حاسمة في مسيرة نضالكم البطوليّة.

وإنّه لشرف لتونس السّابع من نوفمبر أن تحتضن اليوم مؤتمر حركة فتح إيماناً منها بقداسة الحقّ، والدّفاع عن قضايا الحرّيّة والعدل، وحتميّة تقرير الشّعوب لمصيرها بنفسها، ووفاء منها لالتزامها المطلق بقضيّة شعبنا الفلسطينيّ الأبيّ الّتي هي قضيتنا على درب النّضال الواحد والمصير المشترك. وإنّ تونس الّتي ما فتئت منذ التّغيير التّاريخيّ تعمل على تجسيم التّكامل العربيّ، وترسيخ الهويّة الحضاريّة لأمتنا المجيدة الفخورة اليوم كلّ الفخر بأنّ تجسم التزامها المبدئيّ بقضايا الأمّة المصيريّة، وفي مقدّمتها قضيّة شعبنا الفلسطينيّ المكافح.

حضرات الإخوة المناضلين،

أيّها السّيّدات والسّادة،

إنّ ما حقّقه نضالكم من مكاسب، وما برهنتم عليه من تضحيات لخير

دليـل على روح الصّمـود الّـتي يتحـلّى بها شـعبنا الفلسـطينيّ في سـبيل إعـلاء كلمة الحـقّ، وإنهـاء مظلمـة القـرن. ويكفيكـم فخـراً أن أصبـح صمودكـم مبعـث اعـتزاز لأمّتنـا، وللشّـعوب المؤمنـة بالحرّيّـة والعدل والمسـاواة كافّة.

أيّها الإخوة المناضلون،

ينعقـد مؤتمركـم الخامـس في ظـلّ مسـتجدّات بالغـة الأهميّة على مسـتويات بالغـة الأهمّيّة على مسـتويات عديـدة فهو يأتي فلسـطينياً بعد عشرين شـهراً من قيام الانتفاضـة المباركة وبعد القـرارات التّاريخيّة الّتي اتّخذها المجلس الوطنيّ الفلسـطينيّ وإعـلان قيـام الدّولـة الفلسـطينيّة المسـتقلّة في كنف الشّرعيّـة الدّوليّـة، وينعقد على الصّعيـد العـربيّ بعـد كلّ من قمّـة عمّـان الدّاعيّـة إلى ضرورة عقد المؤتمـر الدّوليّ لحلّ القضيّـة، وقمّـة الجزائر الّتي خصّصت لدعـم الانتفاضة وتجديـد شروط انعقاد المؤتمر الدّوليّ، وقمّة الدّار البيضاء الّتي كرّسـت قرارات المجلس الوطنيّ الفلسـطينيّ في دورته التّاسـعة عشرة، وأعطـت الدّعم والتّأييد للتّحرّك السّـياسيّ الفلسـطينيّ.

كمـا إنّ مؤتمركـم ينعقـد بعـد حصـول تغيـير كبـير في موقـف الـرّأي العامّ الدّوليّ مـن القضيّـة الفلسـطينيّة، فـكان من التّطـوّر الإيجابيّ في موقـف أوروبا كما تبـيّن مـن خلال بيـان مدريـد، وبدايـة التّطـوّر في الموقـف الأمريكـيّ ممّـا يبشّر بإمكانيّـة تحـرّره مـن الارتهـان بسياسـة إسرائيـل وتوجهاتها، بـل إنّ موقـف الدّول السّـبع بباريـس وقبولهـا لفكـرة المؤتمـر الدّوليّ مـا يـدلّ على تزايـد عزلـة إسرائيل على السّـاحة الدّوليّـة، وإنّ عدالـة القضيّة الفلسـطينيّة قد اكتسـبت مواقع جديدة داخـل إسرائيـل ذاتهـا، ارتفعـت أصـوات بعـض القـوى المهمّـة المناديـة بـضرورة التّفـاوض مـع منظّمـة التّحريـر عـلاوة على بـؤر الانشـقاق في جـدار مـا كان مـن الإجمـاع الإسرائيـليّ تجـاه فكـرة الدّولة الفلسـطينيّة المسـتقلّة.

ولا شكّ في أنّ كلّ هذه التّطوّرات الإيجابيّة، وما تحمله من بشائر بقرب ساعة انتصار الحقّ إنّما تعود أساساً وقبل كلّ شيء على ما أبداه الشّعب الفلسطينيّ من جهاد وثبات، وإلى ما أبداه أطفال الحجارة بالخصوص من صمود وإصرار على التّصدّي بأبسط الوسائل للاحتلال العسكريّ المجّهز بأحدث أدوات الفتك والإبادة.

إخواني، أخواتي،

إنّ لمنظّمة فتح مكانة قياديّة تظافرت في بنائها عوامل عديدة؛ فقد استحقّت فتح هذه المكانة بسباقها التّاريخيّ، إذ إنّها هي الّتي بدأت الكفاح الفلسطينيّ، وبقدرتها الرّائعة على تعبئة الجماهير، وكلّ شرائح المجتمع الفلسطينيّ ممّا جعلها أكبر التّنظيمات الفلسطينيّة عدداً، وبما أبدته من صمود وتفانٍ في مواجهة الاحتلال وسائر المصاعب، وبما تميّزت به من حسّ سياسيّ مكّنها من التّحرك بحسب تغيّر المعطيات السّياسيّة، واعتماد الكفاح المسلّح السّياسيّ في الآن نفسه.

ولئن كانت المؤتمرات الأربعة الأولى قد مثّلت مراحل تزايدت أهميّتها على التّوالي في مسيرة نضالكم البطوليّ، فإنّ هذا المؤتمر الخامس ينعقد في غياب المناضل الكبير (أبو جهاد) طيّب الله ثراه بعدما كان كلّف بالإعداد لهذا المؤتمر. وإنّي لأدعوكم إلى الوقوف دقيقة إجلال لروحه الطّاهرة ولبلائه حتّى الشّهادة في سبيل الحرّيّة والانعتاق، وترحّماً على أرواح كلّ شهداء الثّورة الأبرار.

أيّها الإخوان والأخوات،

إنّ مثل هذا المؤتمر من شأنه أن يرسّخ الوحدة داخل إطار منظّمة التّحرير

الفلسطينيّة لما لفتح العظيمة من واجبات ومسؤوليّات بحكم وزنها داخل المنظّمة، كما أنّ من مهامه مواصلة العمل على تخليص العلاقات الفلسطينيّة العربيّة من كلّ شائبة حتّى يتسنّى توظيف كلّ الطّاقات العربيّة لفائدة المنظّمة وصالح القضيّة، إضافة إلى المساهمة في تنقيّة الأجواء العربيّة لتتظافر جهود كلّ دولنا في مسار واحد لمؤازرة القضيّة الفلسطينيّة.

إنّ الرّوح النّضاليّة الّتي بثّتها فتح خاصة وسائر المنظّمات بعدها هي روح المواجهة بالسّلاح، فإنّها تكون أيضا بالعمل السّياسيّ الّذي يربك العدوّ ويفرّق بينه وبين أصدقائه وحلفائه.

هذه الرّوح النّضاليّة هي ضمانة استمرار الانتفاضة الّتي يجب أن تتدعّم وتتعزّز بقيادة منظّمة التّحرير الفلسطينيّة وعلى راسها الأخّ الرّئيس أبو عمّار، وبمبادرات المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ، وهذه هي طريق النّضال الصّحيح الّذي يضعف العدوّ في الدّاخل والخارج معا، ويضطره إلى الجنوح إلى الشّرعيّة الدّوليّة باعتبارها قوام المجتمع العالميّ المعاصر.

السّيّد الرّئيس،

الإخوة المؤتمرون،

إنّ ممّا يضاعف أهمّيّة مؤتمركم هذا أنّه ينعقد والانتفاضة المباركة في الأرض المحتلّة التي رفعت عاليا رأس أمّتنا العربيّة تتصاعد لتحقّق النّصر تلو النّصر في كافّة الميادين، ولتهيئ أسباب النّصر المؤازر لكفاح الشّعب الفلسطينيّ البطل. ويسعدنا في هذه المناسبة أن نؤكّد من جديد دعمنا الكامل للقيادة الفلسطينيّة وعلى رأسها الأخ الرّئيس أبو عمّار، وحرصنا التّام على استقلاليّة القرار الفلسطينيّ

بعيـداً عن كلّ تأثير أو تدّخل، ومباركتنا لكلّ ما يرتضيه الشّـعب الفلسـطينيّ لنفسـه بقيـادة منظّمـة التّحرير الفلسـطينيّة ممثله الـشّرعيّ والوحيد من قـرارات وخطوات، ومسـاندته المطلقة لكلّ خياراته على درب تحرير وطنه وتجسـيم إقامة دولته المسـتقلّة.

كمـا تؤكّـد للإخـوة الأشـقّاء أعضـاء القيـادة الفلسـطينيّة وكافّـة أعضـاء مؤتمـر حركـة فتح مـا يربطنـا وإياهم من صـلات متميّزة تقـوم على الثّقـة الكاملة، والتّقديـر الخاصّ. ولا يسـعنا بهذه المناسـبة الغراء إلّا الإشـادة بما يبـذله المجتمعون مـن الجانبـين في سـبيل الحفـاظ على العلاقـات الأخويّـة المتينـة والرّوابـط العتيقة المتميّزة بين شـعبينا الشّـقيقين، رائدنـا في ذلـك أداء الواجب نحو قضيتنا المقدّسـة إلى أن يرفـرف علـم فلسـطين عاليا فـوق روابي القـدس المحرّرة

عاشت الثّورة الفلسطينيّة

عاشت الأخوّة التّونسيّة الفلسطينيّة

«نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين»

صدق الله العظيم

والسّلام عليكم، ورحمة الله وبركاته

البرنامج السّياسيّ للمؤتمر الخامس للحركة

أصدر المؤتمر العامّ الخامس لحركة التّحرير الوطنيّ الفلسطينيّ فتح يوم ٨٩/٨/٨ البرنامج السّياسيّ للحركة، وتضمّن مواقف الحركة من مختلف القضايا بشأن النّضال الوطنيّ الفلسطينيّ على الأصعدة كافّة، وفيما يلي نصّ البرنامج:

فلسطين جزء من الوطن العربيّ والشّعب الفلسطينيّ، جزء لا يتجزّأ من الأمّة العربيّة، وقد عاش الشّعب الفلسطينيّ في وطنه فلسطين منذ أقدم عصور التّاريخ وإلى اليوم، وأغنى الحضارة الإنسانيّة في المجالات كافّة، وكان دائماً الشّعب الّذي يدافع عن أرضه المقدّسة، وصمد أمام غزوة الفرنجة والتّتار، وسطّر الملاحم مع أمّته في حطين وعين جالوت، وكان منذ فجر الإسلام وحتّى اليوم قلب الأمّة العربيّة الإسلاميّة، يحمي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشّريفين ويصون حمى مسرى النّبيّ محمّد ومهد عيسى عليهما صلوات الله وسلامه.

جاءت الغزوة الصّهيونيّة في مطلع هذا القرن من أجل اجتثاث الشّعب الفلسطينيّ، وإنهاء دوره الحضاريّ، وزرع كيان صهيونيّ ينفذ المخطّطات الامبرياليّة من أجل السّيطرة على خيرات الوطن العربيّ، وجعله ضمن مناطق النّفوذ الاستعماريّ، وصمد الشّعب الفلسطينيّ لهذه الهمجيّة الصّهيونيّة الاستعماريّة، وتوالت قوافل الشّهداء عبر ثلاثين عاما، قدّم خلالها الشّعب الفلسطينيّ مئات الالآف من الشّهداء والجرحى والمعتقلين، وتمّت الجّريمة بتقسيم فلسطين، ثمّ قيام دولة الكيان الصّهيونيّ عام ١٩٤٨.

شرّد معظم الشّعب الفلسطينيّ من وطنه، وعاش في منافي الاغتراب،

ولكنّه بقي مؤمنا بدوره الحضاريّ والنّضالي... فكان بانيا للحضارة في كلّ مكان حلّ فيه. وفي ظروف صعبة قاهرة فجّرت حركة التّحرير الوطنيّ الفلسطينيّ «فتح» الثّورة المسلّحة في الأوّل من يناير – عام ١٩٦٥، وتدفّق الشّعب الفلسطينيّ في نهر الثّورة، وتوالت التّحديّات والمجازر والانتصارات عبر ملاحم بطوليّة شدّت انتباه العالم. فما بين ملحمة الكرامة عام ١٩٦٨ – ومجازر عام ١٩٧٠ -١٩٧١ في الأردنّ وملحمة الصّمود في جنوب لبنان وبيروت عام ١٩٨٢. أثبت الشّعب الفلسطينيّ العظيم قدرة فائقة على التّصديّ من أجل الحفاظ على كيانه، والحفاظ على قراره الوطنيّ الفلسطينيّ المستقلّ. وقد أدّى هذا إلى تأييد عالمي واسع عبر دول العالم والهيئات السّياسيّة المختلفة، ثمّ جاءت المؤامرات الّتي خطّط لها النّظام السّوريّ ونفّذها عبر أدواته، ومنها مؤامرة الانشقاق والحصار المزدوج لطرابلس، وحرب الحصار والابادة لأبناء شعبنا في المخيّمات. وكانت المؤامرة تهدف إلى احتواء الثّورة الفلسطينيّة لإنهاء دورها الفاعل في معادلة الصّراع، ولكنّ ثبات شعبنا في مخيّمات الصّمود، واستبسال مقاتلي حركتنا (فتح) فوّت الفرصة على المتآمرين.

إنّ حركتنا (فتح) صمدت للتّحدّي، ونجحت في المحافظة على الوحدة الوطنيّة والقرار الوطنيّ الفلسطينيّ المستقلّ، وقد تجلّى ذلك في قدرتها على عقد المجالس الوطنيّة المتتالية ممّا عمّق الوحدة الوطنيّة وزادها تماسكا، ومهّد الأرضيّة أمام الانتفاضة الفلسطينيّة المباركة الّتي اندلعت في الثّامن من (ديسمبر ١٩٨٧)، وما زالت تتعاظم من أكثر من عشرين شهرا حيث أحدثت شرخا عميقا في الكيان الصّهيونيّ الهمجيّ، ولفتت أنظار العالم بقوّة لعدالة قضيتنا، وفرضت واقعا سياسيّاً جديدا كان ذا أثر كبير في المجالات الفلسطينيّة والعربيّة والدّوليّة كافّة.

وهكـذا أضافـت الانتفاضـة - ومـا زالـت تضيـف - صفحـات مشرقـة في سـجل نضـال الشّـعب الفلسـطينيّ والأمّـة العربيّـة، وكان لا بـدّ لمنظّمـة التّحريـر الفلسـطينيّة أن تتـوّج هـذه الانتفاضـة بإنجـاز سـياسيّ عظيم يكون في مسـتوى عظمـة شـعبنا وتضحياتـه، فـكان انعقـاد المجلـس الوطـنيّ الفلسـطينيّ في دورتـه التّاسـعة عـشرة، دورة الشّـهيد القائـد الرّمـز (أبو جهـاد)، هـذه الدّورة الّتي خرجنا منهـا بمقـرّرات اسـتقبلتها دول العالم بارتيـاح، وقدّمنا لشـعبنا وثيقة الاسـتقلال وإعـلان دولـة فلسـطين الّـتي اعـترف بهـا مـا يزيـد عـن مائـة دولـة، وهـا نحـن اليـوم - وبعـد هذه التّحديّـات الكبيرة والإنجـازات العظيمة - نعقـد مؤتمرنا العامّ الخامـس لحركتنـا «فتـح» ونحـن أشـدّ ثباتـا وإصرارا على مواصلـة طريـق النّضـال بكافّـة السّـبل الممكنة سياسـيّاً وعسـكريّاً مـن أجل تحريـر وطننا، وإقامـة دولتنا دولـة فلسـطين المسـتقلّة وعاصمتهـا القـدس الشّريف.

لقـد أصبـح الآن واضحـا أمـام الجميـع أنّ الشّـعب الفلسـطينيّ حقّيقـة موجـودة لا يمكـن تجاهلها، وأنّه لا سـلام ولا اسـتقرار ولا أمـن في منطقة الشّرق الأوسـط دون الاعـتراف بحـقّ هـذا الشّـعب في تقرير المصـير والاسـتقلال الوطنيّ، لذا فـإنّ المؤتمـر العـامّ الخامـس لحركـة «فتـح» إذ يثمّـن كلّ هـذه الإنجـازات الّـتي حقّقتهـا حركتنـا منـذ انطلاقتهـا في ١-١-١٩٦٥، والّـتي توّجـت بإعلان الاسـتقلال الفلسـطينيّ، وقيـام دولـة فلسـطين المسـتقلّة في الدّورة الطّارئـة للمجلـس الوطنيّ الفلسـطينيّ التّاسـعة عـشرة، فإنّـه يحـدّد أهدافنـا المسـتقبليّة كما يلي:

أوّلاً: على الصّعيد الفلسطينيّ

١. قضيّة فلسطين هي جوهر الصّراع العربيّ الصّهيونيّ.

٢. التّمسّك الحازم بالحقوق الوطنيّة الثّابتة لشعبنا العربيّ الفلسطينيّ في وطنه فلسطين بما فيها حقّه في العودة وتقرير المصير دون تدخّل خارجيّ، وإقامة دولته المستقلّة وعاصمتها «القدس الشّريف».

٣. تأكيد وحدة شعبنا العربيّ الفلسطينيّ داخل فلسطين وخارجها، والتفافه حول منظّمة التّحرير الفلسطينيّة قائدة نضاله وممثّله الشّرعيّ والوحيد.

٤. يؤكّد المؤتمر العامّ الخامس لحركة «فتح» على الأهمّيّة التّاريخيّة لقرارات المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ في دورته التّاسعة عشرة وبصورة خاصّة وثيقة الاستقلال، ويؤيّد المؤتمر قيام دولة فلسطين المستقلّة، ويقدّم الشّكر للدّول العربيّة والصّديقة الّتي اعترفت بها، ويفوّض المؤتمر اللجنة المركزيّة للحركة بالعمل على الأصعدة كافّة من أجل وضع هذه القرارات موضع التّنفيذ، وذلك على أرضيّة إحقّاق الحقوق الوطنيّة الثّابتة للشّعب الفلسطينيّ وفي مقدّمتها حقّ العودة، وتقرير المصير، وإقامة الدّولة الفلسطينيّة فوق الأرض الفلسطينيّة وعاصمتها القدس الشّريف.

٥. مواصلة تكثيف وتصعيد العمل المسلّح و أشكال النّضال كافّة؛ لتصفية الاحتلال الإسرائيليّ الصّهيونيّ لأرضنا الفلسطينيّة المحتلّة، وتأمين حقّ شعبنا في الحريّة والاستقلال.

٦. تعزيز الوحدة الوطنيّة الفلسطينيّة على مختلف المستويات السّياسيّة والعسكريّة، وتأكيد الدّور القياديّ لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة، وتصعيد الانتفاضة الشّعبيّة الهادفة لإنهاء الاحتلال الإسرائيليّ الصّهيونيّ.

٧. التّأكيد على انّ منظّمة التّحرير الفلسطينيّة هي الممثّل الشّرعيّ والوحيد

لشعبنا العربيّ الفلسطينيّ في أماكن وجوده كافّة، وقائدة نضاله الوطنيّ، والنّاطقة باسمه في المحافل العربيّة والدّوليّة، ومقاومة كلّ المحاولات الّتي تستهدف النّيل منها أو تجاوزها أو الالتفاف حولها أو خلق بدائل أو شركاء لها في تمثيل الشّعب الفلسطينيّ.

٨. رفض ومقاومة مشروع الحكم الذّاتيّ والمشاريع التّصفويّة الأخرى الّتي تهدف إلى تكريس الاحتلال الاستيطانيّ الصّهيونيّ.

٩. إنّ (مؤتمر فتح الخامس) يرفض مشروع شامير حول الانتخابات، ويؤكّد أنّ أيّة انتخابات داخل أرضنا المحتلّة يجب أن تتمّ في جوّ حرّ وديمقراطيّ تحت إشراف دوليّ وذلك بعد انسحاب القوات الإسرائيليّة، وأن تكون الانتخابات حلقة ضمن برنامج متكامل للحلّ النّهائيّ.

١٠. إنّ (المؤتمر العامّ لحركة فتح) آخذا بعين الاعتبار الإنجازات الهامّة الّتي تمّت على السّاحة الفلسطينيّة بفعل نضال شعبنا المستمرّ، وانتفاضته المباركة، وما خلفته من معطيات وحقّائق جديدة على السّاحتين العربيّة والدّوليّة يؤكّد حقّ منظّمة التّحرير الفلسطينيّة في المشاركة بشكل مستقلّ ومتكافئ مع الأطراف الأخرى في جميع المؤتمرات والمساعي الدّوليّة المعنيّة بقضيّة فلسطين والصّراع العربيّ الصّهيونيّ.

١١. توفير أشكال الدّعم كافّة لتعزيز صمود جماهيرنا في مخيّمات لبنان للوقوف في وجه العدوّان الإسرائيليّ و مخطّطاته كافّة الرّامية إلى تشتيتهم وتهجيرهم، والتّمسّك بحقّ أبناء هذه المخيّمات في الدّفاع عن وجودهم وأمنهم، وحقّهم الطّبيعيّ في الالتحام بمسيرة شعبهم النّضاليّة بقيادة منظّمة التّحرير الفلسطينيّة.

١٢. مواصلة الحوار مع القوى الدّيمقراطيّة الإسرائيليّة الّتي ترفض الاحتلال، وتساند حقّوق شعبنا الوطنيّة الثّابتة بما في ذلك حقّ العودة وتقرير المصير وإقامة دولة فلسطين المستقلّة، وتعترف بمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة ممثّلاً شرعيّاً ووحيدا للشّعب الفلسطينيّ.

١٣. نظرا لما للعامل الدّيمغرافيّ من أثر فعّال في صراعنا مع العدوّ الصّهيونيّ، ونظرا للجهود الضّخمة الّتي تقوم بها الحركة الصّهيونيّة لتشجيع الهجرة الأراضي إلى الاراضي الفلسطينيّة يقرّر المؤتمر تشكيل لجنة خاصّة في المجلس الثّوريّ للتّصدّي للهجرة الصّهيونيّة إلى وطننا كي تضطلع بالقيام بجميع المهام الثّقافيّة والإعلاميّة والسّياسيّة الّتي تؤدّي إلى منع وصول المهاجرين اليهود إلى وطننا المحتلّ.

ثانيا: على الصّعيد العربيّ

١. يحيّي المؤتمر العامّ الخامس لحركة فتح تضامن الجّماهير العربيّة مع ثورتنا الفلسطينيّة وانتفاضة شعبنا المباركة، ويدعوها لتجسيد هذا التّضامن في أطر عمليّة على المستوى القوميّ.

٢. يثمّن المؤتمر قرارات القمم العربيّة المتعلّقة بقضيّة الانتفاضة ودعمها وخاصّة قمتي الجزائر والدار البيضاء، ويدعو الدّول العربيّة إلى الالتزام بكلّ القرارات ووضعها موضع التّنفيذ، وخاصّة الوفاء بالتزاماتها الماليّة المقرّرة.

٣. تعزيـز العلاقات مع كافّـة الأحزاب والحـركات والقوى الوطنيّـة والدّيمقراطيّة في الوطـن العـربيّ، والعمل على توفير المسـاندة والدّعم الجّماهـيريّ للانتفاضة ولمنظّمـة التّحريـر الفلسـطينيّة، كمـا يـوصي المؤتمـر بتشـكيل لجـان دعـم للانتفاضـة على المسـتوى القوميّ.

٤. احـترام حـقّ الثّـورة الفلسـطينيّة في أداء مهامهـا النّضاليّـة عـبر أيّـة أرض عربيّـة، وتعبئـة الجّماهـير الفلسـطينيّة بمـا يخـدم كفـاح شـعبنا مـن أجـل الحرّيّـة والاسـتقلال والعـودة.

٥. إنّ علاقاتنـا بـأيّ نظـام عـربيّ تتحـدّد على ضـوء موقفـه مـن نضال الشّـعب الفلسـطينيّ، وعـدم تدخلـه في الشّـؤون الدّاخليّة للثّـورة، واحترامـه لقرارنا الوطـنيّ الفلسـطينيّ المسـتقلّ، والـتزام هـذا النّظام بمقـرّرات القمـم العربيّة الخاصّـة بقضيّة فلسـطين.

٦. دعـوة الدّول العربيّـة وخاصّة دول المواجهة إلى توحيـد قواها، وتعبئة جماهيرها لمواجهـة العدوّان الإسرائيليّ.

٧. العمـل مـن أجل حماية شـعبنا ورعايتـه والعناية بشـؤونه في مختلـف أماكن وجـوده والتّمسّـك بحقوقـه في الإقامـة والتّنقـل والعمـل والتّعليـم والصّحّـة والأمـن وفقـا لقـرارات جامعـة الدّول العربيّـة والإعـلان العالـميّ لحقـوق الإنسـان، وضمـان حرّيّـة العمل السّـياسيّ؛ تجسـيدا لروابـط الأخـوّة العربيّة والانتمـاء القـوميّ العربيّ.

٨. يعـبّر المؤتمـر العـامّ الخامـس لحركـة فتـح عـن اعـتزازه وتقديـره للشّـعب اللبنـانيّ الشّـقيق، ويؤكّـد على أهمّيّـة العلاقـات الكفاحيّـة والأخويّـة بـين

الشّعبين اللبنانيّ والفلسطينيّ لمواصلة التّصديّ للغزو الصّهيونيّ من أجل تحرير الأرض اللبنانيّة والفلسطينيّة من الاحتلال الإسرائيليّ الصّهيونيّ، ويؤكّد المؤتمر أنّ الثّورة الفلسطينيّة ستبقى سندا للشّعب اللبنانيّ في نضاله لتحقّيق وحدته الوطنيّة، والحفاظ على استقلاله وسيادته الإقليميّة ودحر الاحتلال الصّهيونيّ عن أرضه.

٩. التّأكيد على العلاقات الخاصّة والمميّزة الّتي تربط الشّعبين الشّقيقين الفلسطينيّ والأردنّي، والعمل على تطويرها بما ينسجم والمصلحة القوميّة للشّعبين الشّقيقين، أو أيّة علاقة مستقبليّة مع الأردنّ تقوم على كنفدراليّة بين دولتي الأردنّ وفلسطين.

ثالثا: على الصّعيد الدّوليّ

١. التّمسّك بالمؤتمر الدّوليّ الفعّال كامل الصّلاحيات للسّلام في الشّرق الأوسط والّذي ينعقد على أساس الشّرعيّة الدّوليّة بإشراف الأمّم المتّحدة، وتحت رعاية وبمشاركة الدّول الخمس دائمة العضويّة في مجلس الأمن والأطراف المعنيّة بما فيها منظّمة التّحرير الفلسطينيّة على قدم المساواة وبحقّوق متساوية مع الأطراف الأخرى.

٢. يؤكّد (المؤتمر العامّ الخامس لحركة فتح) تمسّكه بمبادئ وميثاق الأمّم المتّحدة و«قراراتها الّتي أكّدت الحقوق الوطنيّة» الثّابتة وغير القابلة للتّصرّف للشّعب الفلسطينيّ، وحقّ كل الشّعوب المضطهدة والّتي تخضع للاحتلال في أن تستخدم كلّ أشكال النّضال من أجل تحريرها واستقلالها

الوطـنيّ. كمـا يؤكّـد المؤتمـر إدانتـه الحازمـة لجميـع الممارسـات الإسرائيليّـة الإرهابيّـة الّـتي تنتهـك مبـادئ القانـون الدّوليّ واتفاقات جنيـف وملحقّاتها لعـام ١٩٤٩ والإعـلان العالـميّ لحقـوق الإنسـان وميثـاق الأمّـم المتّحـدة وقراراتها.

٣. يطالـب المؤتمـر الولايـات المتّحـدة الأمريكيّـة الاعـتراف بحـقّ الشّـعب الفلسـطينيّ في تقريـر المصـير وإقامـة دولتـه المسـتقلّة، والتّخلّي عن سياسـة الانحيـاز لصالـح إسرائيل، ووقف الدّعم غـير المحـدود الّذي تقدمه لها والذي مـن شـأنه تكريـس الاحتـلال الإسرائيـليّ الصّهيـونيّ لأرضنا الفلسـطينيّة، وزيـادة انتهاكه لحقوق شـعبنا الفلسـطينيّ. ويدعـو المؤتمر الولايـات المتّحدة الأمريكيّـة إلى الموافقـة على عقـد المؤتمر الدّوليّ للسّـلام في الشّرق الأوسـط في أقـرب وقـت ممكـن طبقـا للقـرارات الّتي تمّـت الموافقـة عليهـا في الأمّم المتّحـدة، كما يدعو المؤتمر الولايـات المتّحدة إلى الغـاء القوانين والتّشريعات المعاديـة كافّـة لمنظّمـة التّحريـر الفلسـطينيّة الّـتي أصدرهـا الكونغـرس الأمريكـيّ كـي يتوصّـل حوارها معنـا إلى نتائـج إيجابيّة.

٤. يثمّـن المؤتمـر مواقف الدّعـم الّذي تقدمه منظّمـة المؤتمر الإسـلاميّ، ومنظّمة الوحـدة الإفريقيّـة ودول حركـة عـدم الانحيـاز لنضـال شـعبنا الفلسـطينيّ بقيـادة منظّمـة التّحرير الفلسـطينيّة، كما يحـيّي المؤتمـر الدّول الصّديقة الّتي سـارعت للاعـتراف بدولـة فلسـطين، وإقامة علاقـات دبلوماسـيّة معها.

٥. يثمّـن المؤتمـر علاقـات الصّداقة بـين منظّمـة التّحريـر الفلسـطينيّة والدّول الاشـتراكيّة، ويؤكّـد على الموقـف البنـاء الّذي تقفـه هـذه الدّول وفي مقدّمتها الاتّحـاد السّـوفياتيّ والصّـين الشّـعبيّة في دعـم كفاح شـعبنا العـادل وحقّوقنا

الوطنيّة الثّابتة في العودة وتقرير المصير وإقامة دولتنا المستقلّة على ترابنا الوطنيّ بقيادة منظّمة التّحرير الفلسطينيّة الممثّل الشّرعيّ والوحيد لشعبنا الفلسطينيّ.

٦. إنّ التّحوّل البارز في الرّأي العامّ في دول أوروبا الغربيّة واليابان وكندا وأستراليا لصالح الحقوق الوطنيّة الثّابتة لشعبنا الفلسطينيّ ولنضاله العادل والمشروع، والّذي تطوّر بفعل الانتفاضة المباركة وتراكمات التّحرّك السّياسيّ والدّبلوماسيّ لمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة، قد خلق ظروفا مواتية لهذه الدّول لتزيد من دعمها لقضيّة فلسطين، وقد تجسّد هذا في دعوة رئيس دولة فلسطين الأخ ياسر عرفات لزيارة فرنسا، وفي بيان دول حلف وارسو في بوخارست، وفي بيان دول السّوق الأوروبيّة المشتركة في مدريد وفي رفع مستوى العلاقة مع منظّمة التّحرير الفلسطينيّة في تلك الدّول. والمؤتمر العامّ الخامس لحركة فتح يثمّن هذه الخطوات، ويدعو تلك الدّول لتطوير مواقفها الإيجابيّة هذه لترتقي إلى الاعتراف بدولة فلسطين.

٧. يعبّر المؤتمر عن دعم وتأييد ومساندة حركات التّحرّر في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاّتينيّة وبشكل خاصّ نضال شعب ناميبيا بقيادة سوابو، ونضال شعب جنوب إفريقيا ضدّ النّظام العنصريّ في بريتوريا.

الانتفاضة و الإعلان عن الاستقلال وقيام دوّلة فلسّطين

حرّكت الانتفاضة الفلسّطينيّة الأولى أفاقاً جديده لأفكار لم يكن ممكناً التّطرّق لها سابقاً، وفتحت بوابة التّواصل السّياسيّ والدّبلوماسيّ مع العديد من دول العالم بعد أنّ كان واقع الثورة الفلسّطينيّة وقيادتها في أضعف حالاتها.

لقد حصل تعاطف مذهل في دول العالم مع الشّعب الفلسّطينيّ وقضيّته بعد رؤية ممارسات جيش العدّو ضدّ الأطفال والنّساء والشيوخ الفلسطينين، وكيف كان الجيش الإسرائيليّ القويّ يواجه بدبّاباته الصّدور العارية، أو يواجه طفلاً يرفع حجراً في وجه دبابة، ورأى العالم كيف يلتفّ عدد من الجنود حول شاب فلسطينيّ؛ يكسرون يده بضربها بالحجارة.

لقد أعادت الانتفاضة صيّاغة جديدة للوطنيّة الفلسّطينيّة، وحماية وقوّة للقيّادة الفلسّطينيّة في الوقت الّذي كان فيه العدوّ ويخطّط مجدّداً للانتهاء من الثّورة وقيّادتها.

كان أبوعمّار، وكان أبوجهاد، وكنّا جميعاً نعيش تفاصيل ويوميات بل وساعات الانتفاضة، وكانت القيّادة الإسرائيليّة تبحث عن مخرج للوضع الجديد الّذي يكلّفها تكاليف سيّاسيّة واقتصاديّة وعسكريّة وسمعة تشير إلى أسوأ احتلال وعنصريّة.

كانـت القيـادة الوطنيّـة الموحّـدة في الوطـن المحتـلّ تقـدّم برنامجـاً أسـبوعيّاً (ويومـاً بيـوم) حـول فعاليّـات الجماهـير الفلسّـطينيّة وأنشـطتها في الانتفاضـة، وكان يشـمل ذلـك أيضاً المعـارض، ومقاطعة البضائـع، والمظاهـرات، والإضرابات، ورفـع الأعـلام، وعدم تنفيـذ الأوامـر العسـكريّة، وكان التّكامل والتّكافـل في قمّة الأولويـات، وكان دعـم العمـال والمزارعـين الفلسّـطينيّن يشـكل نموذجـاً رائعـاً في ذلـك كمـا وضعـت برامـج لطـلاب المـدارس وكذلـك أنظمـة في التحصيـل والتّظاهـر والعطـاء .

في هـذا الوقـت كان موعـد انعقـاد الدّورة التّاسـعة عـشرة للمجلـس الوطنيّ الفلسّـطينيّ يقـترب، وكان مـن الضّرورة تقديـم بعض الجديـد الهامّ في هـذه الدّورة، فلقـد قـدّم الأخ أبوعمّـار جهـداً غـير عاديّ في لقاءاته مـن أجل الخـروج من هذا الجحـود، و العنّاد الأمـيركيّ بعدم الاعـتراف بمنظّمة التّحرير الفلسّـطينيّة، وبإعادة م.ت.ف مجـدّداً على الخارطـة السّياسـيّة والقانونيّة والإنّسـانيّة للعالم.

وكان ذلـك لايتـمّ إلا بخارطـة سيّاسـيّة جديدة تشـمل التّنازل عمّـا كان صعباً التّنـازل عنـه في السـنوات الماضيّـة، وكانـت اسرائيـل تنتظر تنـازلاً مـا، وهي أيضاً بانتظـار مبـادرة أميركيّـة تعيـد لإسرائيـل مـا خسرتـه في الانتفاضة؛ لـكي تبقى لها اليّـد العليّا.

وإذا كانـت إسرائيـل هي العقـدة فعـلى الجانـب الآخـر كانـت التّنظيمـات الفلسّـطينيّة الآخـرى الّـتي كان لديهـا هوايـة رفـض أيّ شيء(لا)...! وبالتّالي يجب إقناعهـا بالخطـوات الجديدة قبـل الدّخول في حوار مـع العالم رغم أنّنـا نحترم الأمم المتحـدة والقوانـين الدوليّة، ودائماً على اسـتعداد للالتزام بهـا وتطبيقها، وكذلك كنا نحـن ولا نـزال مـع كلّ المبـادرات الّـتي تعيد الينـا حقوقنا حـتّى ولو كانـت مجتزأة.

كانت النّصيحة السّوفياتيّة لنا هي الاعتراف بالقرار (٢٤٢)، والقرار (٣٨٣) اللذين أشرنا إليهما سايقاً، وخاصّة القرار(٢٤٢)الّذي يشكل مفتاح الحوار مع الولايات المتّحدة، وكان القلق الأوّل من رفض تنظيمات الرّفض، أمّا الأخ أبوعمّار فكان موافقاً، لكنّه كان قرر أنّه لن يقدّم الاعتراف بهذا بالقرار بسهولة، وعرض ذلك على التّنظيمات وعلى حركة فتح بقوله: «إنّنا سنعترف بالقرار(٢٤٢) وفي نفس الوقت الاعتراف بإقامة دولة فلسّطينيّة مستقلّة على أراضي عام ١٩٧٦،» وبالطّبع كانت الملاحق الخاصّة بالأرض والمياه والآجئين ...الخ لكن المعضلة في إخراج النّقاط الثّابث إلى العالم ونحن كما أشرت على أبواب الدّورة (١٩)للمجلس الوطني.

كان اقتراح لجنة لصيّاغة اعتماد النّقاط المتّفق عليها لتعرض على المجلس الوطني، وتمّ الاتّفاق على أنّ يقوم محمود درويش بصياغة إعلان الاستقلال، لكفاءته وقدرته الإبداعيّة في الصّياغة النثريّة الّتي تعادل أشعاره الرّائعة، وهو كذلك ليس الشاعر الفذّ فقط بل والسّياسيّ المحنك الّذي درس الصّياغات والفلسفات والأفكار السّياسيّة الشّرقيّة والغّربيّة، وإنّ إعلان الاستقلال لابد أنّ يتميّز عن كلّ الخطابات والبّيانات؛ فهو بيان وإعلان تاريخيّ يهزّ وجدان كلّ فلسطينيّ؛ لأنّ فلسطين كانت تسكن في قلبه ... هذا إذا علمنا أنّ اللجنة السّياسيّة تتكوّن من ١٥٠ عضواً في المجلس الوطنيّ، وحتّى يتوافق الجميع لابدّ من تقديم نصّ مميّز سياسيّاً ووطنيّاً وبلاغة في القول يقدّمها الشّاعر القدير والمميّز –محمود درويش.

ورغم طول الكلمات والجمل والعبر لهذا الإعلان إلاّ أنّني أعيد عرضه لأهميّته التّاريخيّة.

في قاعـة واسـعة خصّصتهـا الحكومـة الجزائريّـة انعقـدت الدّورة (١٩) للمجلـس الوطنيّ الفلسّـطينيّ بحضـور ٧٠٠ عضو، وتقـدّم الأخ أبوعمّـار إلى المنصّة بعـد أنّ دقّق في وضـع كوفيّته، ولبس نظارته العريضه العدسـات، وبصوت مرتجف قليـلاً كان يريـد التّأثير الأقـوى في الحضور... بـدأ بقراءة إعلان الاسـتقلال وإقامة الدولـة الفلسّـطينية، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

على أرض الرّسالات السّماويّة إلى البشر، على أرض فلسطين ولد الشعب العربي الفلسـطينيّ، نمـا وتطـوّر، وأبـدع وجوده الإنسـانيّ والوطـنيّ عبر علاقـة عضويّة لا انفصـام فيهـا ولا انقطاع بين الشـعب والأرض والتّاريخ بالثبـات الملحميّ في المكان والزمان،صاغ شـعب فلسـطين هويتـه الوطنيّة، وارتقى بصمـوده في الدّفاع عنها على مسـتوى المعجـزة، فعلى الرّغم مما أثاره سـحر هـذه الأرض القديمـة وموقعها الحيويّ على حـدود التّشـابك بـين القـوى والحضارات مـن مطامح ومطامع وغـزوات كانت تـؤدي إلى حرمان شـعبها مـن إمكانيّـة تحقيـق اسـتقلاله السّـياسيّ، إلاّ أنّ ديمومة التصـاق الشّـعب بـالأرض هي الّـتي منحـت الأرض هويّتهـا، ونفحـت في الشّـعب روح الوطـن مطبّعاً بسـلالات الحضـارة، وتعـدّد الثّقافات، مسـتلهماً نصوص تراثه الـرّوحيّ والزّمنيّ.

واصـل الشّـعب العربيّ الفلسّـطينيّ عبر التّاريـخ تطوير ذاتـه في التّوحّد الكّلي بـين الأرض والإنسـان، وعلى خُطا الأنّبيـاء المتواصلة على هـذه الأرض المباركة أعلى على كلّ مئذنـة صـلاة الحمـد للخالـق، ودقّ مـع جـرس كلّ كنيسـة ومعبـد ترنيمة الرّحمة والسّـلام.

ومـن جيـل إلى جيـل، لـم يتوقّـف الشّـعب العـربيّ الفلسـطينيّ عـن الدّفاع الباسـل عـن وطنـه، ولقـد كانت ثـورات شـعبنا المتلاحقـة تجسـيداً بطوليّـاً لإرادة الاسـتقلال الوطنيّ.

فـفي الوقـت الّذي كان فيـه العالم المعـاصر يصوغ نظـام قيمـه الجديدة كانت موازيـن القـوى المحليّـة العالميّه تسـتثني المصـير الفلسّـطينيّ من المصـير العالمي، فاتضـح مرّة آخـرى أنّ العـدل وحده لايسـيّر عجـلات التّاريخ.

وهكـذا انفتـح الجـرح الفلسّـطينيّ الكبـير على مفارقـة جارحـة؛ فالشّـعب الّذي حـرم مـن الاسـتقلال، وتعـرض وطنـه لاحتـلال من نـوع جديد، قـد تعرض لمحاولـة تعميـم الأكذوبـة القائلـة « إنّ فلسـطين هي أرض بلا شـعب»، وعلى الرّغم مـن هـذا التّزييـف التّاريـخيّ، فـإنّ المجتمـع الدّوليّ في المـادّة ٢٢ مـن ميثـاق عصبة الأمـم لعـام ١٩١٩، وفي معاهـدة لـوزان لعـام ١٩٢٣ قـد اعترف بـأنّ الشّـعب العربيّ الفلسّـطينيّ - شـأنه شـأن الشّـعوب العربيّـة الأخـرى الّـتي انسـلخت عـن الدولة العثمانيّـة- هـو شـعب حرّ مسـتقلّ.

ومـع الظّلـم التّاريـخيّ الّذي لحـق بالشّـعب العـربيّ الفلسـطيني بتشريـده وحرمانـه مـن حـقّ تقريـر المصير إثـر قـرار الجمعيّـة العامّـة رقـم ١٨١ عام ١٩٤٧م الّذي قسّـم فلسّـطين إلى دولتيّن عربيّه يهوديّـه، فإنّ هذا القرار مـازال يوفّر شروطاً للشّرعيّـة الدّوليّـة تضمّن حقّ الشّـعب العربيّ الفلسـطينيّ في السّـيادة والاسـتقلال الوطنيّ.

إنّ احتـلال القـوّات الإسرائيليّـة الأرض الفلسّـطينيّة وأجـزاء مـن الأرض العربيّـة، واقتـلاع غالبيّـة الفلسّـطينيّن وتشريدهـم عـن ديارهـم بقـوّة الإرهـاب

المنظّم هو انتهاك صارخ لمبادئ الشرعيّة، ولميثاق الأمم المتّحده، ولقرارتها الّتي تعترف بحقوق الشّعب العربيّ الفلسّطينيّ الوطنيّة بما فيها حقّ العودة، وحق تقرير المصير، والإستقلال، والسّيادة على أرض وطنه.

وفي قلب الوطن العربيّ وعلى سياجه، وفي المنافي القريبة والبعيدة، لم يفقد الشّعب الفلسّطينيّ إيمانه الرّاسخ بحقّ العودة لإيمانه الصّلب بحقه في الاستقلال، ولم يتمكن الاحتلال والتشريد من طرد الفلسطينيّ من وعيّه وذاتّه، فلقد واصل نضاله الملحميّ، وتابع بلورة شخصيّته الوطنيّة من خلال التّراكم النّضاليّ المتنامي، وصاغت الإرادة الوطنيّة إطارها السّياسيّ منظمة التّحرير الفلسطينيّة ممثّلاً شرعياً ووحيداً للشّعب الفلسّطينيّ باعتراف المجتمع الدّوليّ متمثّلاً بهيئة الأمم المتحدة ومؤسسّاتها، والمنظّمات الإقليميّة والدّوليّة الأخرى على قاعدة الإيمان بالحقوق الثّابتة، وعلى قاعدة الاجماع القومي العربيّ، وعلى قاعدة الشّرعيّة الدّوليّة، قادت منظّمة التّحرير الفلسّطينيّة معارك شعبها العظيم المنصهر في وحدته الوطنيّة المثلى، وصموده الإسطوريّ أمام المجازر والحصار في الوطن وخارج الوطن وتجلّت ملحمة المقاومة الفلسّطينيّة في الوعيّ العربيّ، وفي الوعيّ العالميّ بصفتها واحدة من أبرز حركات التّحرير الوطنيّ في هذا العصر.

إنّ الانتفاضة الشّعبيّة الكبرى المتصاعدة في الأرض المّحتلّة مع الصّمود الأسطوريّ في المخيّمات داخل وخارج الوطن، قد رفع الإدراك الإنسانيّ بالحقيقة الفلسّطينيّة إلى مستوى أعلى من الإستيعاب والنّضج، وأسدلت ستار الختام على مرحلة كاملة من التّزييف ومن خمول الضّمير، حاصرت العقليّة الإسرائيليّة الرّسميّة الّتي أدمنت الاحتكام إلى الخرافة والإرهاب في نفيها الوجود الفلسّطينيّ

مـع الانتفاضـة، وبالتّراكـم الثّـوريّ النّضـاليّ لـكلّ مواقـع الثّـورة يبلـغ الزّمـن الفلسـطينيّ إحـدى لحظـات الانعطـاف التّاريـخيّ الحـادّة ليؤكّد الشّـعب الفلسـطينيّ مـرّة أخـرى حقوقـه الثّابتـة وممارسـتها فـوق أرضـه الفلسـطينيّة استناداً إلى الحـقّ الطّبيـعيّ والتّاريـخيّ والقانـونيّ للشّـعب العربيّ الفلسـطينيّ في وطنـه فلسـطين، وتضحيّات أجيـاله المتعاقبة دفـاعاً عن حريّة وطنهم واسـتقلاله.

وانطلاقـاً مـن قرارت القمـم العربيّة، ومن قـوّة الشّرعيّة الدّوليّة الّتي تجسّـدها قـرارات الأمـم المتّحـدة منذ عام ١٩٤٧، وممارسـة الشّـعب العـربيّ الفلسـطينيّ لحقه في تقريـر المصير والاسـتقلال السّـياسيّ والسّـيادة فوق أرضـه، فإنّ المجلـس الوطنيّ يعلن باسـم الله، وباسـم الشّـعب العربيّ الفلسـطينيّ قيام دولة فلسـطين فوق أرضنا الفلسـطينيّة وعاصمتها القـدس الشّريف».

لقـد تبـع هذا المقطـع ومن خلال صـوت الأخ (أبـو عمّار) العـالي والمرتجف تصفيقـاً حـارّاً وحـادّاً ومتواصـلاً، ودمـوعاً مـلأت عيـون كلّ الحضـور لـم يتوقّف سـحّها حتّى انتهـت عاصفة التّصفيـق ... وكأنّ هـذه العاطفة المخزونـة تفجّرت مع كلمـات هي كالحلـم، وخاصّة لنـا نحن الّذيـن كنّا في الشّـتات.

إنّ دولـة فلسـطين هي للفلسـطينيين أينمـا كانـوا؛ فـهي الوطـن الّذي يطـوّرون فيـه هويّتهـم الوطنيّـة والثّقافيّـة، ويتمتّعـون فيـه بالمسـاواة الكاملـة في الحقـوق، وتصـان فيـه معتقداتهـم الدّينيّـة والسّياسـيّة وكرامتهـم الانسـانيّة في ظـلّ نظـام ديمقـراطيّ برلمانيّ يقـوم على أسـاس حرّيّة الـرّأيّ وحرّيّـة تكوين الأحـزاب، ورعايـة الأغلبيّة حقـوق الأقليّة، واحـترام الأقليّة قـرارات الاغلبيّة، وعلى العـدل الاجتماعيّ، والمسـاواة وعـدم التّمييز في الحقوق العامّـة والخاصة، في ظـلّ دسـتور يؤمّن سـيادة القانـون والقضاء المسـتقلّ على أسـاس الوفـاء الكامل

لـتراث فلسـطين الـرّوحيّ والحضـاريّ في التّسـامح والتّعايش السّـمح بين الأديان عـبر القرون.

إنّ دولـة فلسـطين دولـة عربيّـة هي جـزء لا يتجـزّأ مـن الأمّـة العربيّـة مـن تراثهـا وحضارتهـا، ومـن طموحهـا الحـاضر إلى تحقيـق أهدافهـا في التّحرير والتّطـوّر والدّيمقراطيّـة والوحـدة... وهي اذ تؤكّـد التزامهـا بميثـاق جامعة الدّوّل العربيّـة وإصرارهـا على تعزيـز العمـل العـربيّ المشـترك تناشـد أبنـاء أمّتهـا مسـاعدتها على اكتمـال ولادتهـا العمليّـة بحشـد الطّاقـات وتكثيـف الجّهـود لانهـاء الاحتـلال الإسرائيـليّ.

وتعلـن دولة فلسـطين التزامها بمبـادئ الأمم المتّحـدة وأهدافها وبالإعلان العالـميّ لحقوق الانسـان، والتزامها كذلـك بمبادئ عدم الانحياز وسياسـته.

وإذ تعلـن دولـة فلسـطين أنّها دولـة محبّة للسّـلام ملتزمة بمبـادئ التّعايش السّـلميّ، فإنّهـا سـتعمل مع جميع الدّوّل والشّـعوب مـن أجل تحقيق سـلام دائم قائم على العـدل واحـترام الحقـوق، تتفتّـح في ظلّه طاقات البـشر على البنـاء، ويجري فيه التّنافـس على إبـداع الحيـاة وعـدم الخـوف مـن الغـدّ؛ فالغـدّ لا يحمل غـير الأمان لمن عدلـوا أو ثابـوا إلى العدل.

وفي سـياق نضالهـا من أجـل إحلال السّـلام على أرض المحبة والسّـلام تهيب دولـة فلسـطين بالأمم المتّحـدة الّتي تتحمّـل مسـؤوليّة خاصّة تجاه الشّـعب العربيّ الفلسـطينيّ ووطنـه، وتهيّـب بشـعوب العالـم ودولـة المحبـة للسّـلام والحرّيّـة أن تعينهـا على تحقيـق أهدافها،ووضـع حدّ لمأسـاة شـعبها بتوفير الأمـن له، والعمل على إنهـاء الاحتلال الإسرائيـليّ للأراضي الفلسـطينيّة.

كما تعلن في هذا المجال أنّها تؤمن بتسويّة المشاكل الدّوليّة والإقليميّة بالطّرق السّلميّة لميثاق الامم المتّحدة وقراراتها، وإنّها ترفض التّهديد بالقوّة، أو العنف، أو الإرهاب، أو باستعمالها ضدّ سلامة أراضيها واستقلالها السّياسيّ، أو سلامة أراضي أيّ دولة أخرى، وذلك دون المساس بحقّها الطّبيعيّ في الدّفاع عن أراضيها واستقلالها.

وفي هذا اليوم الخالد، في الخامس عشر من نوفيمبر ١٩٨٨ ونحن نقف على عتبة عهد جديد، ننحني إجلالاً وخشوعاً أمام أرواح شهدائنا وشهداء الأمّة العربيّة الّذين أضاءوا بدمائهم الطّاهرة شعلة هذا الفجر العتيد، واستشهدوا من أجل أن يحيا الوطن، ونرفع قلوبنا على أيدينا لنملأها بالنّور القادم من وهج الانتفاضة المباركة، ومن ملحمة الصّامدين في المخيّمات وفي الشّتات وفي المهاجر، ومن حملة لواء الحرّيّة: أطفالنا، وشيوخنا وسياسيينا، وأسرانا ومعتقلينا، وجرحانا المرابطين على التّراب المقدّس في كلّ مخيّم، وفي كلّ قرية، وفي كلّ مدينة، والمرأة الفلسطينيّة الشّجاعة حارسة بقائنا وحياتنا، وحارسة نارنا الدّائمة، ونعاهد أرواح شهدائنا الأبرار وجماهير شعبنا العربيّ الفلسطينيّ وأمّتنا العربيّة وكلّ الأحرار والشّرفاء في العالم على مواصلة النّضال من أجل جلاء الاحتلال، وترسيخ السّيادة والاستقلال. إنّنا ندعو شعبنا العظيم إلى الالتفاف حول علمه الفلسطينيّ، والاعتزاز به، والدّفاع عنه؛ ليظلّ أبداً رمزاً لحرّيّتنا وكرامتنا في وطن سيبقى دائماً وطناً حرّاً لشعب من الأحرار.

لقدّ ألقي هذا البيان وسط هياج شديد وشعر الموجودون أنّهم قد أقاموا الدّوّلة فعلاً من خلال التّصفيق والبكاء وتقبيل بعضهم بعضاً، وفي نفس

الوقت فقدّ وافق على قرارات الدّورة أكثر من ستمائة عضو، أيّ اعترض ٨٧ مقابل ٧٠٠، وهذا ما يشبه الإجماع لأوّل مرّة في تاريخ دورات المجلس الوطنيّ.

وفوراً بدأت الدّوّل بالاعتراف بالدّولة الفلسطينيّ، وكانت أولى هذه الدّوّل الجّزائر وتونس، ورفع المغرب العلم الفلسطينيّ لأوّل مرّة فوق قصر الضّيافة الّذي نزل فيه أبو عمّار كشكل من الاعتراف بالرّئيس الفلسطينيّ كرئيس دولة، وتتالت الاعترافات الّتي كانت م. ف تقيم معها علاقات دبلوماسيّة، وتحوّلت المقرّات للبعثات الفلسطينيّة إلى سفارات في مختلف دول العالم في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاّتينيّة باستثناء أوروبّا الّتي أعطت لنا تسميّات مختلفة، لكنّ دول أوروبّا الشّرقيّة والدّوّل العربيّة فقدّ اعترفت بمكاتبنا ومقرّاتنا كسفارات.

لا شكّ أنّ كلّ هذه الاعترافات بالدّوّلة الفلسطينيّة كانت مهمّة، ورفعت مستوى الحضور الفلسطينيّ إلى مرتبة عالية، لكن كان من الضّروري الاقتراب أكثر من الولايات المتّحدّة الّتي بيدها مفاتيح الاعتراف والحوار وحتّى الدّوّلة الفلسطينيّة، ولهذا قالوا لنا: «إنّ ما قمتم به شيء مهمّ، لكنّ من الضّروريّ أن تقوموا بإدانة الإرهاب ونبذ العنف، وبالطّبع هنا لا بدّ من الوقوف عند المفهوم الأمريكيّ للإرهاب ووقف العنف ونبذه، وللإجابة على الطّلب الأمريكيّ أعدّ أبو عمّار خطاباً أشار فيه إلى نبذ الإرهاب والعنف رغم انّ هذا يمكن أن يوجه الاتّهام إلى التّاريخ النّضاليّ لمنظمّة التّحرير الفلسطينيّة. وعندما تقرّر الذّهاب إلى الامّم المتّحدّة لإلقاء الخطاب الّذي هو تحوّل كبير في مبادئ وأخلاق وسياسة منظمّة التّحرير الفلسطينيّة، وعمليّة تغيير في خطابها السّياسيّ من خلال الاعتراف بقرار مجلس الأمن ٢٤٢، ونبذّ الإرهاب

والعنـف، رفضـت الولايـات المتّحدّة إعطـاء (أبو عمّـار) فيزا إلى نيويـورك حيث مقـرّ الجّمعيّـة العامّة ومجلـس الأمن.

لقـد كان صعبـاً أن يقـول أبـو عمّـار: «إنّـه ينبذ الإرهـاب»؛ لأنّ ذلـك يثبت أنّ كلّ نضـال الشّـعب الفلسـطينيّ ومقاومته يعتـبر إرهاباً، ولهذا وبعـد أن رفضت أمريـكا إعطـاؤه فيزا لإلقاء خطابه في مقـرّ الجّمعيّة العامّة للأمـم المتّحدّة، تمّ نقل أعمـال الجّمعيّـة العامّـة للأمـم المتّحـدة إلى مقرّها في جنيـف، وهناك ألـقى خطابه الشّـهير الّذي قـال فيـه: «لا تسـقطوا الغصـن الأخـضر من يـديّ»، لكنّه لـم يتطرّق إلى الإرهـاب ونبـذ الإرهـاب. وبالطّبـع لـم يكـنّ مرّحبـاً بالخطـاب مـن الولايّات المتّحـدّة لكنّهـم طلبـوا في المحصلّة أن يقـوم أبو عمّار في مؤتمـر صحفيّ في جينيف ويقـول بنبـذّ الإرهاب. وفعـلاً عقد مؤتمـرّ صحفيّ، لكنّـه تردّد في قولهـا، فأخرجها أحـد الإخـوة بجانبـه، وقال: إنّنا ننبـذ الإرهاب، لم يفكـرّ أبو عمّار بالكلمـات، وإنّما قـال: «نعـم مثـل ما قـال الأخ؛ وأنا موافـق على الـكلام» فصفّق الحضـور له، وقبلت تلـك الكلمـات مـن الإدارة الأمريكيّة، وفي نفـس الوقت كان الجانـب الامريكـيّ يريـد فتـح حـوار مع منظمّـة التّحريـر الفلسـطينيّة في تونـس، ويقود الحـوار بلترو السّـفير الأمريكـيّ في تونـس، ومن طرفنـا كان ياسر عبـد ربّه وحكـم بلعاويّ.

إعلان الاستقلال
وتطوير مفاهيمي السّيّاسيّة والقانونيّة

فـرض إعلان الاسـتقلال في ١٥/ تشرين الثّانيّ/ نوفيمـبر ١٩٨٨ الزاميّاً الدّخول في العديـد مـن الحـوارات مـع مجمـوعات كثـيرة مـن الإخـوة في القيادة، مـع كوادر سياسـيّة وقانونيّة وعسكريّة.

وكان الحمـاس الشّـديد يترافق مع بعض تلـك اللقاءات، وكان الـتّردّد والإحباط يترافـق مـع بعضهـا الآخـر. وبالطّبع كانـت التّسـاؤلات عديـدة، وكان أهمّهـا ما ورد بخاطـريّ بعـد هـذا الانفعـال العميـق والجّميـل الّذي رافـق إعـلان الاسـتقلال... وسـألت نفـسي: هـل يمكّننا تحويـل مـا ورد في إعلان الاسـتقلال إلى خيـار حقيقيّ وواقـعيّ؟ وهـل يمكّننـا تحويـل مطالبنـا إلى كيانيّـة حقيقيّـة يمكـن تطبيقهـا على الأرض، وتجسـيدها في عنـوان الدّولـة الفلسـطينيّة؟

ورغـم محاولاتنـا بنـاء مؤسّسـات لنـا في (الشّـتات) فهـل يمكـن أن نبـني مؤسّسـات لنـا في الوطـن المحتّـل، والّـتي تختلـف عمّـا اعتدنـا عليه في الخـارج... فللدولـة قوانـين ودسـتور وأجهـزة ومؤسّسـات تـأتي محصّلة للسّـيّادة المفقـودة منذ احتـلال بقيّـة أرضنـا عامّ ١٩٦٧.

كان هـذا التّفكـير في جوهـر السّـيّادة يعكّـره بالطّبـع الاحتـلال الجّاثـم على الأرض وصـدور شـعبنا. لكـنّ الاحتـلال لا يلـغيّ روح السّـيّادة على الأرض كمـا

يقـول روح القانـون، وبالتّـالي فالاحتـلال لا يلـغيّ الحقـوق المشروعـة للشّـعب الفلسـطينيّ، وهـو مـا عـرف في الأمّـم المتّحـدّة بـِ(الحقـوق الثّابتة، وغـير القابلة للتّـصرّف) وحـقّ الشّـعب الفلسـطينيّ في تقريـر مصـيره. ورغـم أنّ هنـاك تقصيراً واضحـاً جـدّاً في تنفيـذ قـرارات الأمّـم المتّحـدة وأهمّهـا القـرار (١٨١) الصّادرعن الجّمعيّـة العامّـة للأمّـم المتّحـدة/ تشريـن الثّـاني عامّ ١٩٤٧ إلّا أنّ ذلـك لا يعـفي المجتمـع الدّوليّ والأمـم المتّحـدة مـن مسـؤولياتها الدّعـوة مجـدّداً لتنفيـذ القـرار المذكـور، وإقامـة دولة فلسـطين في الحـدود الّتي رسـمها إعلان الاسـتقلال والبيان الصّـادر عـن المجلـس الوطـنيّ الفلسـطينيّ في دورتـه التّاسـعة عـشرة في الجّزائـر، والّـتي حدّدهـا البيـان بالضّفّة الغربيّـة وقطاع غـزّة، ومدينة القـدس عاصمة دولة فلسطين .

لقـدّ كان اعـتراف هيئـة الأمـم المتّحـدة خلال قـرار الجّمعيّـة العامّـة للأمم المتّحـدة في ١٥/كانـون الثّـانيّ (ديسـمبر) ١٩٨٨ باسـتبدال اسـم منظّمـة التّحريـر الفلسـطينيّة إلى اسـم فلسـطين له أهمّيّـة كبـيرة، وتجـدر الإشـارة أيضـاً إلى أنّ عدد الدّوّل الّـتي اعترفـت بدولـة فلسـطين بلـغ أكـثر مـن مائـة دولة.

ويبـقى عنـصر السّـيادة وهـو العنصر القانـونيّ لذلك وهـو ما دعا إليـه إعلان الاسـتقلال الّذي كان يسـعى إلى اسـتكمال عنـاصر الدّولـة الفلسـطينيّة من خلال تمكـين الشّـعب الفلسـطينيّ مـن العـودة، وتقريـر المصـير، واختيار نظـام الحكم الّذي يناسـبه بعـد اندحـار الاحتلال.

إنّ الدّعـم العـربيّ الّذي أقـرّه مؤتمـر الدّار البيضاء في آيـار ١٩٨٩، وتحويله إلى واقـع عمليّ وإمكانـات فعليّة مادّيّة، والإفـادة من الدّور الأوروبيّ، وكذلك اسـتخدام الحـوار الفلسـطينيّ- الأمريكـيّ من خـلال جولاته الأربـع، وتجهيز ذلـك لصالح

الخطّة الفلسطينيّة، وبالضّغط على إسرائيل وكشف ممارساتها المنافية لأبسط حقوق الإنسان على نطاق المجتمع الدّوليّ، وكذلك الضّغط على إسرائيل من خلال تطبيقه قرارات مجلس الأمن الدّوليّ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٠٨ الصّادر على التّواليّ بتواريخ ٢٢ كانون أوّل ١٩٨٧، و٥ كانون الثّاني ١٩٨٨؛ و١٤/شباط ١٩٨٨ أيّ الصّادرة بعد الانتفاضة والّتي تتحدّث عن الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة وهي الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة والقدس، وتلك الّتي توجّه إعلان الاستقلال والبيان السّياسيّ إلى المجتمع الدّوليّ وما سمي بالشّرعيّة الدّوليّة لتمكين الشّعب العربيّ الفلسطينيّ التّخلّص من الاحتلال الواقع على أراضيه بالقوّة... وبالتّالي تمكينه من إنهائه، وبسط سيادته الكاملة على أراضيه، وممارسة استقلاله وحقوقه عليها.

كلّ هذه المتطلّبات إضافة إلى شرط الانسحاب كان هو المدخل الرّئيس لاستعادة السّيادة المحتجبة، وبالتّالي توفير الإمكانيّة الواقعيّة والجّديّه لإقامة وتأسيس الدّولة الفلسطينيّة فعليّاً، وهي الخطوة الّتي تمثّلت بإعلان الاستقلال بعد تصاعد الانتفاضة، وعدم قدرة قوّات الاحتلال على تصفيّتها رغم الإرهاب والقمع، حيث جسّدت شعار الدّولة السّياسيّ بشكل ملموس، وهو ما ينبغي البدء بممارسته على الأرض خطوة خطوة، حلقة بعد أخرى لتأمين شروط النّجاح، والانتصار كخيار لا مناص منه.

إنّ إعلان الاستقلال وتأسيس الدّولة الفلسطينيّة كأساس لأيّ حلّ سياسيّ ينبغي أن يتحوّل في كلّ الظّروف إلى قوّة ماديّة وكفاحيّة هجوميّة والاستدلال بهذا المعنى شرط لا غنى عنه في الحلّ السّياسيّ المنشود، وهذا ما قمنا بتأكيده في كافّة المراحل الّتي مرّت بها معاركنا بكلّ أشكالها. وبناءً على القانون الدّوليّ واتّفاقيّات جنيف الصّادرة في ١٢/ آب أغسطس ١٩٤٩ الّذي أكّد

أنّ سلطات الاحتلال تدير ولا تحكم، وإداراتها مؤقّتة وإن طالت، والاحتلال لا يعني بأيّ حال من الأحوال انتقال السّيادة أو إنابتها أو تحويلها إلى سلطات الاحتلال.

وهكذا، فإنّ الأراضي العربيّة المحتلّة عامّ ١٩٦٧ بما فيها القدس الشّريف لم تنتقل، سيادتها إلى الإحتلال الإسرائيليّ بلّ أراض محتلّه وشعب تحت الاحتلال وهو ما يستوجب إعادته إلى أصحابه الشّرعيين، وعدم التّصرّف به بما يتعارض مع القانون الدّوليّ، وهذا ما أكّدته قرارات مجلس الأمن الّتي سبق وأشرنا إليها، وهي ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٠٨ على نحو واضح...

وتؤكّد قواعد القانون الدّوليّ موضوع حقّ الشّعوب والأمم في تقرير مصيرها باعتبار ذلك قاعدة ملزمة، وهو ما ينطبق على الشّعب العربيّ الفلسطينيّ الّذي أكّد مجلسه الوطنيّ تجسيده لهذا بإعلان الاستقلال.

لقدّ ازداد ايمانيّ بقيام الدّولة الفلسطينيّة المستقلّة لمعرفتي بعظمة وقدرات شعبنا على الصّمود والخلق والإبداع والإنتاج، والاستعداد لمواجهة العالم بأنّه شعب حيّ محبّ للحياة، وقادر على العطاء.

لقدّ آثّرت السّنوات الّتي سبقت إعلان الاستقلال وبعد الخروج من لبنان الّذي كان قاعدة هامّة لنضالنا وحضورنا السّياسيّ اقليميّاً ودوليّاً لإعادة تقويم أوضاعنا وخططنا وبرامجنا السّياسيّة.

البحث عن الذّات

الحضور - المشاركة

كان لقاء شولتز بالشّخصيّات الفلسطينيّة إشارة التقطها الأخ أبوعمّار، وكما أشرنا فلقد دعا المجلس الوطنيّ للانعقاد في دورته التّاسعةعشرة في الجزائر والّتي أعلن فيها عن الإستقلال، وأيضاً الإجابة على موضوع الإرهاب والقرار٢٤٢. لقدّ اعتبرت الإدارة الأمريكيّة ذلك تقدّماً إيجابيّاً، لكنّه أيضاً غير كافٍ.

لم تبادر الإدارة الأمريكيّة لأيّ خطوة، وعندما أراد عرفات إلقاء خطاب في الأمّم المتّحدة، رفضت الإدارة الأمريكيّة إعطاءه تأشيرة دخول إلى نيويورك لحضور الجمعية العامة للأمّم المتّحدة رغم عدم قانونيّة المسلك الأمريكيّ.

وهنا قرّرت الجمعيّة العامّة للأمّم المتّحدة بأغلبيّة كاسحة الوقوف في وجه القرار الأمريكيّ، والّذي كان خاضعاً لتأثير اللوبيّ الصّهيونيّ .

وتقرّر آنذاك أن تعقد الجمعيّة العامة للأمّم المتّحدة جلستها الخاصّة للاستماع لخطاب (أبوعمّار) في جنيف في ١٤/كانون الثّاني/ديسمبر ١٩٨٨.

الاعتراف بإسرائيل
الخطوة المؤلمة والقاسيّة والمجبر عليها

كان العالـم كلّه ينتظر كلّمـات ياسر عرفات في مقرّ الأمّـم المتّحدة في جنيف، وكان وزيـر خارجيّـة السـويد أكـثر المتحمسـين لأنّـه توصّـل إلى أنّ يعقـد الجـنرال (ولـترز) المنـدوب الأمريكيّ اجتمـاعاً مع عرفات بعـد الخطـاب، والّذي كانّ بيّده ورقـة مجـدداً فيهـا الـشّروط الأمريكيّـة للاعـتراف ب م.ت.ف وعرفـات، وإذا سـمعها على لسـان عرفـات فسـوف يقوم الجـنرال الأمريكـيّ المنـدوب بمصافحة عرفـات، وعقـد اجتمـاع معه .

كان عرفـات قلقـاً على أحـوال الشّـعب الفلسـطينيّ، وقبـل إلقـاء خطابـه بيـوم اتّصـل بكلّ مـن يعرفه ومـن لا يعرفه مـن القيـادات العربيّة والشّـخصيّات الفلسـطينيّة، وهـو الّذي حفـظ غيبـاً مراحل نضال الشـعب الفلسـطينيّ منذ وعد بلفـور وحتّى هـذه اللحظة الخطـيرة . كان عرفات هو النّاطق الأوّل باسـم فلسـطين وشـعبها، وكان مطلوبـاً منه الاعـتراف بالمحتلّ.

اتّصـل عرفـات بـكلّ أصدقائـه مـن السّياسـيين وبالزّعمـاء العـرب، وكان الجّـواب «إنّهـا فرصـة، فـلا تتركهـا تفلـت مـن يديك».

هل نحن بارعون في إضاعة الفرص؟

حضر جنيف قبل اللقاء الصّحفيّ الكبير الّذي شارك فيه معظم صحفيّي العالم المهمّين والمهتمّين بقضيّة الشّرق الأوسط (القضيّة الفلسطينيّة) عدد من رجال الأعمال الفلسطينيين الكبار الّذين تربطهم علاقات صداقة وعمل مع الأمريكيين والأوروبيين، وقالوا أيضاً لعرفات: « لا تدع هذه الفرصة تضيع من بين يديك».

وتحديداً كان المطلوب (الطّلب الأوّل) هو اعتراف م. ت. ف (وعرفات) بإسرائيل، ومعروف أنّ هذا الاعتراف صعب جدّاً ليس لعرفات فقط بلّ لكلّ الشّعب الفلسطينيّ، الأمر الّذي لم يطرق سابقاً، ولم يوضع على طأوّلة البحث.

الآن ليس أمام عرفات إمكانيّة المناورة، فلقدّ دقّت ساعة الحقيقة أمامه، والوقت يضيّعه، والعالم ينتظر عرفات في كلمته الّتي قدّ تفتح كلماتها بوابّة السّلام في الشّرق الأوسط، ويستطيع أن يحافظ على شعبه ويستعيد جزءاً من أرضه لإقامة دولته المستقلّة عليها؟

أعاد عرفات قراءة النّصّ مرّات، ولم يستطع أن يغيّر كلمة إلّا بكلمة مرادفة، وكان يعتصر ألماً وقلقاً في داخله، ولأوّل مرّة لم يستطع أن يخرج عرفات من حصار الكلمات الّتي طوّقته في ورقة صغيرة والّتي يجب أن يقرأها أمام الف صحفيّ.

وبكلّ الألم والمعاناة والقلق والشّدّ على عينيه من خلف نظاراته

والارتجاف في صوته وحركاته كالعادة، وأمام كلّ حدث جلل... قرأ عرفات النّصّ من تلك الورقة، وأجاب عن عدد قليل من الأسئلة. لم يستغرق المؤتمر الصّحفيّ أكثر من عشر دقائق ولقد كان برفقة الأخ أبو عمّار في جينيف عدد من رجال الأعمال الفلسطينيين، وبعض الكوادر الفلسطينيّة، وكان يمثّل رجال الأعمال في جينيف باسل عقل، الّذي كان ممثّلاً لرجال الأعمال، وكان يقوم بالاتصال مع السّيد ريتشارد مورفي في وزارة الخارجيّة الأمريكيّة، ويرسل إليه في واشنطن مسودات التصريح الّذي اتّفق أنّ يلقيه الأخ أبو عمّار، وعندما أثير موضوع موقف الأخ أبو عمّار من احتلال العراق للكويت ظلّ أبو عمّار متحفّظاً على التأييد الواضح للعراق، ولم يقم بذلك إلّا نتيجة لضغوط قويّة.

منذ الأسابيع الأولى لاحتلال العراق كان أبو عمّار قد اعتمد (ورقة موقف) أعدّها مكتب المستشارين ، من صفحة واحدة، تقول أن قضيّة فلسطين تستند إلى أساسين: الأوّل هو حقّ تقرير المصير للشّعب الفلسطينيّ قبل النّظر في إمكانيّة وحدته مع الأردن أو انتماءه لسوريّا الكبرى أو الأمّة العربيّة؛ والثّاني الإستناد إلى مبدأ عدم جواز الاستيلاء أراضي الغير بالقوّة. وما دمنا نطلب الأمرين لأنفسنا، فبالأحرى أنّ نطلبهما للشّعب الكويتيّ.

غادرعرفات القاعة بسرعة، وتوجّه إلى مطار جنيف حيث كان الرّئيس الألمانيّ/ رئيس جمهوريّة ألمانيا الدّيمقرّاطيّة والصّديق الحميم للأخ أبو عمّار إريش هونيكر بانتظاره في برلين، حيث استقبل بحفاوة بالغة.

وبعد مغادرة الأخ (أبو عمّار) جنيف بساعات قليلة أعلن وزير خارجيّة الولايّات المتّحدة جورج شولتز فتح الحوار بين الإدارة الأمريكيّة

ومنظّمة التّحرير الفلسطينيّة في تونس. وكما أشرنا سابقاً أيضاً فلقدّ تولّى السّفير الأمريكيّ في تونس بيلترو إدارة الحوار مع وفدّ فلسطيّنيّ شكّله أبو عمّار في نفس الليلة، وتكون من ياسر عبد ربّه، وعبد اللطيف أبو حجلة، وحكم بلعاويّ.

الفلسطينيّون بين نارين:
انهيار الاتّحاد السّوفياتيّ، وغزو العراق للكويت

لم يكن من المتوقّع هذا الانهيار المدوّي للاتّحاد السّوفياتيّ وكذلك انهيار الدّول الاشتراكيّه وحلف وارسو، وبسرعة مذهلة تبحث كلّ جمهوريّة سوفياتيّة سابقة عن موقعها، وحدودها التّاريخيّة، واستقلالها.

كان هذا الحدث صاعقاً رغم ظهور بوادرة منذ أنّ استلم غورباتشوف السّلطة كأمين عامّ للحزب الشّيوعيّ السّوفياتيّ، ومنذ بروز يلتسين الّذي تباهى بانهيار الاتّحاد السّوفياتيّ. كان واضحاً أنّ هذا الحلف وهذه الكتلة من دول أوروبا الشّرقيّة والجمهوريات الحديثة أصبحت كلّها تقع تحت العنايّة لزعامّة العالم، وهي بيد الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

انهارت الاشتراكيّه الدّوليّة، وانتهى تاريخ الشّيوعيّة بسرعة، وتوحّدت ألمانيا، وظهرت روسيا الاتّحاديّة وحيدة تحت علم القيصر الرّوسيّ... ولم تستوعب حركات التّحرّر الأمر، وكأنّه أسقط في يد الجميع، كما انتهت الحرب الباردة بين العالمين.

أمّا نحن فقد كانت لنا حساباتنا،إذ لم يعد لنا سند بقوّة الاتّحاد السّوفيتيّ، والأدهى والأقسى أنّه بعد انهيار الاتّحاد السّوفيتيّ فقد تمّ تهجير مليون مهاجر روسي يهودي ونصفهم غير يهود إلى فلسطين المحتلّة، كما أنّ

هنـاك عـدّد كبـير مـن العلمـاء والخـبراء الّذين لـم يكونـوا يهـوداً توجهـوا إلى إسرائيـل للعمـل في المجـالات كافّـة سـواء العسـكريّة أو غيرهـا.

وتـأتي الكارثـة الثّانيـة بقـوّة الأولى أو أكـثر، وهي قيـام العـراق باحتـلال الكويـت دون مقدّمـات باسـتثناء الخـلاف السّـياسيّ وادّعاء العـراق أنّ الكويت أنزلـت سـعر النّفط لتضغـط على العراق، وأنّ هنـاك خلافاً على المناطـق الحدوديّة.

وهنـا لا نريـد التّوقّـف عنـد الأسـباب، أو قصّة احتـلال الكويت في أسـوأ خطـوة لـم يحسـب لها حسـاب إلّا مـا تمّ تـداوله عـن لقـاء السّـفيرة الأمريكيّة الّـتي أغـرت الرّئيـس صدّام حسـين باحتلال الكويـت؛ لأنّ الولايـات المتّحدة لم توقّـع اتّفاقيّـة دفاع مشـترك مـع الكويت في إشـارة إلى أنّ صدّام حـرّ في التّصرّف.

جهّـز صـدّام نفسـه، وهاجـم الكويـت، واحتلّهـا بسرعـة (كقطعـة كيـك) دون أيّ حسـابات أو تفكـير في أنّ الكويـت واحـة أمريكيّة إلى جانـب أنّها واحة ديمقراطيّـة وحيـدة في كلّ الخليـج، وعلاقاتهـا واسـتثماراتها تمتّـد على كلّ الأرض.

كان يـوم الثّاني مـن آب ١٩٩٠ يوماً أسـود عند القيـادة الفلسـطينيّة، وحاول أبـو عمّـار -على إثـر ذلـك- أن يقـدّم حـلًّا عربيّـاً، وطالب بتشـكيل قـوّة عربيّة لإخـراج القـوّات العراقيّـة من الكويـت، لكـنّ صوتـه ومكانتـه وموقعه ضاع في زحمـة الأحـداث الّتي كانت تـشرف عليهـا الولايـات المتّحدة.

انتـهى الأمـر بتحريـر الكويـت، واحتـلال جنوب وشـمال العـراق، وتدمير الجيـش العـراقيّ تدمـيراً كامـلاً. ودون أنّ أدخـل في تفاصيـل احتـلال وتحريـر الكويـت، لكـنّ أشـير إلى أنّ الولايـات المتّحـدة حشـدت تحالفـاً لأكـثر مـن ثلاثـين دولـة لمحاربـة العـراق.

وفي هـذا الوقـت وصـل خـبر اغتيـال القيّـادي الفتّحـاويّ البـارز، رجـل الأمـن القـوي ورفيـق درب الأخ أبو عمّـار عبر المسـيرة الطويلة واغتيـل معه كلّ مـن القائـد أبو الهـول وأبـو محمّـد العمريّ.

وترافـق ذلـك مـع تهجـير عـشرات الآلاف مـن الفلسـطينيّين العاملـين في الكويـت الّذي قضـوا عمرهـم فيهـا، وعـشرات السّـنوات مـن الكـدّ والعمـل في كافّـة المجـالات، وتركـوا كلّ مـا يملكـون، حيـث قـدّرت خسـائرهم بأكثر من أربعـة مليـارات دولار.

كانـت الدّول العربيّـة كلّهـا -وبـلا اسـتثناء- ظالمـة في الحكـم على الفلسـطينيّين، الّذيـن لا ظهـر لهـم إلّا الله، وعندمـا كان أبـو عمّـار يجـد في بغداد ملجـأ له ضربـت بغـداد وضرب أبـو عمّـار معهـا معنويّـاً في القمّـة العربيّـة الّتي عقدهـا الرّئيس حسـني مبـارك في القاهـره، واتّخذ القـرارات فيها دون أنّ يسـمع صـوت أبي عمّار، وتحوّلت مواقف السّـعوديّة والكويـت ودول الخليج ضد م.ت.ف الحلقـة الأضعـف، رغم أن مواقـف بعـض الدّول العربيّة كان متناقضـاً مع موقف دول الخليـج ومـصر. أمّـا موقـف م.ت.ف فـكان البحث عـن قوّة عربيّـة لإخراج الجيـش العـراقي مـن الكويـت دون الاسـتعانة بالأجنبيّ.

وقفـت الكويـت موقفـاً معادياً لـكلّ الفلسـطينيّين بما في ذلك الّذيـن قاتلوا بجانبهـا في المعـارك ضـدّ العـراق، وتحاملـت الكويـت على الفلسـطينيّين لأنّهـم كمـا قلنـا الحلقـة الأضعـف، وطردت عـشرات الآلاف الّذيـن قضـوا أعمارهم في خدمـة الكويـت، ولـم يقفوا مـع المعتدي. لكـنّ هذا الموقـف من الكويـت يعود إلى أن م.ت.ف لـم تصـوّت في قمّـة القاهره للاسـتعانة بالأجنبيّ لتحريـر الكويت، وضـدّ التّدخـل العسـكريّ الأمريكـيّ.

مؤتمر السّلام- مدريد

أنّ نكون أو لا نكون!!

أعلن جورج بوش بأنّ الإدارة الأمريكيّة ستعمل على عقد مؤتمر للسّلام في الشّرق الأوسط يحضره جميع الأطراف بما في ذلك الفلسطينيّون، وبدأ جيمس بيكر التّحرّك بعد أقلّ من شهرين من نهاية الحرب، وبدأ جولات مكوكيّة بين الدّول المعنيّة لتحريك عمليّة السلام. لم يكن متوقّعاً أنّ تدعو الولايات المتّحدة م.ت.ف لحضور المؤتمر بشكل مستقلّ، وخاصّة بعد أنّ وقفت منظّمة التّحرير الفلسطينيّة إلى جانب العراق، وضدّ التّحالف الدّوليّ الّذي اتّخذ من حفر الباطن في المملكة العربيّة السّعوديّة مركز عمليات له... أو هكذا اعتبروا موقف المنظّمة.

لقد كانت الورقة -والّتي لم يعرف بها الكثيرون آنذاك- الرّسالة الّتي قدمها ياسر عرفات لأمريكا والّتي يوافقون فيها على الإعتراف بإسرائيل وبالقرارين ٢٤٢، ٣٣٨ ، والّتي أرسلها عرفات إلى شولتز، وفيها:

١. «إنّنا على استعداد للتّفاوض مع إسرائيل على أساس القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ ».

٢. «مستعدّون للتّفاوض ضمن مؤتمر دوليّ من أجل الوصول إلى تسوية دائمة للصّراع العربيّ الإسرائيليّ ».

٣. تتعهّد منظّمة التّحرير الفلسطينيّة (كممثّل شرعيّ للشّعب الفلسطينيّ)

أنّ تعيش بسلام مع إسرائيل وجيرانها، وأنّ تحترم حقّ الشّعب الإسرائيليّ والشّعوب المجاورة في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها.

في هذا الوقت كانت إسرائيل تحت حكم اليمين المتطرّف المتمثّل بالليكود برئاسة إسحق شامير، وفرضت الولايات المتّحدة وبموافقة سوفياتيّة على عقد المؤتمر الدّوليّ للسّلام في الشّرق الأوسط. بضيافة إسبانيا، وطلب إلى الدّول العربيّة الّتي كانت ترغب في اجتماع دوليّ للسّلام تريده أمريكا والاتّحاد السّوفياتيّ.

لكنّ إسرائيل كانت ترفض المؤتمر الدّوليّ وتريد الاستفراد بكلّ دولة عربيّة على حده، لكنّ الضّغط الأمريكيّ فرض انعقاد مؤتمر مدريد للسّلام في نهاية تشرين الأوّل- أكتوبر/١٩٩١.

استمرّ مؤتمر مدريد من ٢٨/تشرين أوّل- أكتوبر وحتّى ٣ تشرين الثّاني/ نوفمبر ١٩٩١، والّذي حضرة من العرب الأردنّ وفلسطين في وفد أردنيّ فلسطينيّ مشترك واحد كما حضر كلّ من سوريّا ولبنان. وتمّ الاتّفاق على استئناف مفاوضات السّلام بين الأردنّ وفلسطين من جهة، وإسرائيل من جهة ثانية، إضافة إلى لبنان وسوريّا وأمريكا والاتّحاد السّوفياتيّ في واشنطن.

وللأسف... فقد كان وفدنا يعتقد أنّ الجانب الأمريكيّ يريد أنّ يسهّل الأمر لهم، لكن في واقع الحال كان الجانب الأمريكيّ يريد مزيداً من التّنازلات من وفدنا لصالح الإسرائيليين، ولهذا كان لا يمكن الثقة بهم لأنّهم ظهروا وكأنّهم وفد واحد مع الإسرائيليين.

وعندما طلب رئيس الوفد الفلسطينيّ الدّكتور حيدر عبد الشّافي (وهو

سياسي محنّك وصاحب قدرات عاليه) أنّ تجري المفاوضات بين وفد فلسطينيّ بدون مشاركة أردنيّة مع وفد إسرائيليّ اعترض الإسرائيليون بشدّة على هذا الاقتراح، وقال رئيس الوفد الإسرائيليّ روبنشتاين بشيء من الحدّة: «ليس هناك شيء اسمه فلسطين ووفد فلسطينيّ، والّذي تسمونه فلسطين كان جزءاً من أرض احتلها الغزاة والحضارات المختلفة الّتي اجتاحت المنطقة، وآخر من احتلّ ما تسمونه فلسطين كان الأردنّ...»

وأراد أنّ يستكمل حديثه فحصلت مشادة كلاميّة حادّة كردّ على عنجهيّة روبنشتاين، والّتي لم تغلّف بالحدّ الأدنى من اللّغة الأدبيّة أو الدبلوماسيّة، بل كانت تعكس الفكر الصّهيونيّ ومسلكه.

لكنّ الأمريكيين تدخّلوا وتداركوا تفاقم الخلاف، وحدّدوا أنّ الوفد الفلسطينيّ هو جزء من الوفد الأردنيّ، لكنّه يتمتّع بالاستقلاليّة اللازمة.

كانت أجواء المفاوضات قاسية وهي استكمال لعنجهيّة الوفد الإسرائيليّ حتّى في مدريد الّذي تزعمه إسحق شامير المتطرّف والإرهابيّ الصّهيونيّ المعروف، والّذي وضع شروطاً مبالغاً فيها، ومنها:

- ممنوع أنّ يكون بين أعضاء الوفد الفلسطينيّ (الوفد الفلسطينيّ الأردنيّ المشترك) مقدسيّ، فخرج من الوفد كلاً من حنان عشراويّ، وفيصل الحسينيّ.

- ممنوع أنّ يأتي إلى المؤتمر أيّ فلسطينيّ من داخل أعضاء المجلس الوطنيّ أو منظّمة التّحرير الفلسطينيّة.

- ممنوع ذكر منظّمة التّحرير في الكلمات الّتي ستلقى.

مـن المحـزن أنّ الوفد الفلسـطينيّ وافـق على هذه الـشّروط مـبرّراً أنّ الوفد الأردنيّ الفلسـطينيّ المشـترك سـيضمّ عنـاصر فلسـطينيّة وطنيّـة لـن تخـرج عـن المسـلّمات (الثّوابـت) الفلسـطينيّة، وبالطّبـع كانـت الولايـات المتّحـدة موافقـة تمامـاً على شروط شـامير؛ لأنّهـا لـم تكن قد أقامـت بعد أيّ علاقـة مع م.ت.ف.

كان شـامير كبقيّـة العنصريـين اليمينيـين الإسرائيليـين يشـعر أنّـه ملـك إسرائيـل، وكان تصرّفـه حاقـداً تجـاه الفلسـطينيّين وبقيّة العـرب، فقـد كان فوقيّاً في تعاملـه... وهـو الّذي قـال في مدريـد: «إنّـه سـيبقي المفاوضـات مـدّة عـشرات السـنوات دون نتيجـة، حـتّى لا يجـد الفلسـطينيون مـا يفاوضـون عليـه».

لقـد أدّى موقـف شـامير وفريقـه إلى نشـوء خلاف مـع الفريـق الإسرائيليّ الآخـر مـن ممثّلي حـزب العمـل الّذي كان يواجـه حـزب الليكود. وبنـاء على ذلك، وبعـد انتهـاء مؤتمـر مدريـد وانتقـال المفاوضات إلى واشـنطن بـدأت الصعوبات تواجـه شـامير في وزارته الائتلافية، وكانـت العمليّة التّفاوضيّة تتطلّـب ديناميكيّة خاصّـة متعلّقة بضرورة الاعتراف بقيادة فلسـطينيّة تكون مرجعاً في المفاوضات، لكنّ شـامير رفـض، فاضطر للعـودة إلى الانتخابات المبكّرة، والّـتي أدّت إلى فوز إسـحق رابـين عـن حـزب العمـل والّذي كان يعـدّ بالنّسـبة للاسرائيليـين بطـلاً مـن أبطالهـم؛ فلقـد شـارك في الحـروب الإسرائيليـة مـع العـرب، وكان هـو قائـد الحملـة العسـكرية ضـدّ الانتفاضـة، لكنّـه قـدّم نفسـه للاسرائيليين رافعـاً راية السّـلام دون تقديـم أيّـة تنازلات وفاوض باسـم الإسرائيليـين دون ان يقترب من تطلعاتهـم... وكانـت لديه الجـرأة ليدخل بوابة السّـلام مع الفلسـطينيّين، وسـنورد لاحقـاً تفاصيـل ذلك.

وممّـا تجـدر الإشـارة إليه أيضـاً إلى أنّ رابين اعتقـل اكثر مـن ٤٠٠ قائداً من

الحركـة الإسـلامية في الضّفّـة الغربيّـة وقطاع غزّة، وقـام بنفيهـم إلى جنوب لبنان (مـرج الزهـور)؛ وهي منطقـة مكشـوفة وذلك في كانـون الأوّل/ ديسـمبر ١٩٩٢ في فـترة البرد الشّـديد، ولـم يكن هـؤلاء يملكـون إلّا الملابس الّتي على أجسـادهم.

كان رابـين يهـدف إلى إبـلاغ الإسرائيليين بهـذا الإبعاد لأنّ العالـم لم يعد يؤيّـد كل خطـوات إسرائيـل، وهـذا سـيصدم الإسرائيليـين. وهنـا تجدر الإشـارة إلى أنّ مجلـس الأمـن أدان عمليّـة الإبعـاد بجميـع أعضائـه بمـن فيهـم الولايات المتّحـدة الأميركيّـة... وبنـاء على ذلـك فقـد اجتمع الكنيسـت الإسرائيـليّ، وألغوا قـراراً سـابقاً يؤكّد على تحريـم التّعامل مع منظّمـة التّحرير الفلسـطينيّة، ومحاكمة كلّ إسرائيـليّ يلتـقي او يقيـم علاقة مـع المنظّمة.

دعا عرفـات إلى عقـد المجلـس الوطني الفلسـطينيّ في دورتـه العشرين في الجزائـر في أيلـول ١٩٩١، وكان جـدول الأعمـال يضـمّ البنـد الأهمّ وهو المشـاركة الفلسـطينيّة في المؤتمـر الدّوليّ للسّـلام. واسـتطاع «رغـم رفـض البعـض» انـتزاع الأغلبيـة لصالـح رؤيـة عرفـات في ضرورة المشـاركة ولـو بوفـد ضمـن الوفـد الأردنيّ الفلسـطينيّ المشـترك، وجـاءت نتائـج التّصويـت للمشـاركين على النّحـو التّـالي: (٢٥٦) عضـواً مـع المشـاركة، و(٦٨) عضواً ضدّ المشـاركة، و(١٤) عضـواً أمتنعـوا عـن التّصويت. ومن الجديـر بالاهتمـام أنّ عرفات رغم نشـاطه واتّصالاتـه وحديثـه المتواصـل لـم يكـن متوتـراً أو قلقـاً بـل كان هادئـاً. وافق المجلـس على الاتفـاق الأردنيّ الفلسـطينيّ لتشـكيل الوفـد المشـترك، وانعكـس ذلـك فرحـة في داخل الوطـن المحتلّ نتيجـة القرارات السّياسـيّة الهامّـة الصّادرة عـن المجلـس الوطـنيّ، وتـوّج أبـو عمّـار ذلـك برسـالة تحمـل توقيعـه تقـول:

«كلّ فلسطينيّ يمثّل المنظّمة، وكل الفلسطينيّين أعضاء في منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، والقضيّة في أعناقكم، وعلى بركة الله».

لقد أصبح واضحاً لجيمس بيكر ولإسحاق شامير رغماً عنه أنّ أسماء أعضاء الوفد الفلسطينيّ المشارك كان بقرار من عرفات وتوقيعه. وعندما أبعد فيصل الحسينيّ عن المشاركة في الاجتماعات داخل القاعه كان كلّ عضو في الوفد الفلسطينيّ يحمل في جيبه توقيع عرفات على عضويّته في الوفد. ومن الملفت للانتباه أنّ خطاب الدّكتور حيدر عبد الشافي رئيس الجانب الفلسطينيّ في الوفد المشترك جاء ليؤكّد الوحدة والتّناغم ما بين الوفد وقيادة م.ت.ف، وأنّ هذا الخطاب الّذي ألقاه (والّذي أثار الاعجاب) كان خطاباً تمّ حشد عدد من الكفاءات الفلسطينيّة في مجالات التّاريخ والقانون الدّوليّ والسّياسة والعلاقات الدّوليّة، وذلك من أجل أنّ يكون خطاباً فلسطينيّاً شاملاً في مدريد يوضح للعالم المأساة الفلسطينيّة بكلّ أبعادها: الإنسانيّة والسّياسيّة والقانونيّة والنّضاليّة، وقدّم كلّ الملحوظات والمعلومات مجدّداً للشّاعر الكبير محمود درويش من أجل الصّياغة، كما حصل مع إعلان الاستقلال في الدّورة الماضية للمجلس الوطنيّ الفلسطينيّ في الجزائر. وقد تمّ إعداد هذا الخطاب بجهد وحرص شديدين، وبإبداع الشّاعر الكبير محمود درويش. وتضمّن كذلك المقولة المشهورة الّتي ردّدها عرفات في الأمّم المتّحدة بقوله:» لقد جئتكم -سيدي الرّئيس- أحمل غصن الزّيتون بيد وبندقيّة الثّائر باليد الأخرى، فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي» و تضمّن كذلك المقولة المشهورة لعرفات «الحرب تندلع من فلسطين، والسّلام يبدأ من فلسطين».

الانتفاضة الفلسطينيّة الأولى

ليس لك إلّا أنّ تقف خاشعاً أمام عظمة أطفال فلسطين من النّهر إلى البحر، وليس أمامك إلّا أن تضع كلّ أفكارك جانباً أمام هذا الإبداع في مقاومة المحتلّ، ويكون الفلسطينيّون سبّاقين في وسائل المقاومة المختلفة في العالم كلّه؛ لكي تنتقل أساليبهم في ذلك لكلّ العالم كنموذج جديد فعّال اسمه الحجارة في مقارعة كلّ الأسلحة والآلّيات العسكريّة .

يعيد الفلسطينيّون المجد لمقلاع داوُد، لتضرب الدبابة والرّشّاش والجنديّ المدجّج بالسّلاح ، وتقف منحنيّاً لنساء فلسطين اللآتي يحملن الحجارة في حجورهن، بل وترى الرّوح العظيمة لامرأه تقاوم بعزم الرّجال ترمي جنود العدو بالحجارة، وترى كبار السّنّ يختلطون بالشّباب والفتيّات والأطفال، ويرمون حجارتهم نحو العدوّ.

كيف لنا أنّ ننسى صورة الطّفل فارس يحمل حجراً بعزم وحركة قتاليّة يواجه دبابة بدون وجل أو خوف وما بينهما إلّا بضعة أمتار! هذا هو الفلسطينيّ هاهو طائر الفيّنق الّذي ينهض من الرّماد مجدّداً.

ها هو هذا الشّعب الّذي لم يتوقّف يوماً عن الكفاح والمقاومة رغم كلّ الأعداء والأشقاء والأصدقاء الّذين كانوا ينتظرون انهيّار هذه المقاومة.

اعتقد الأعداء أنّنا انتهيّنا بعد اجتيّاح بيروت، واعتقد الأعداء أنّنا ضعفنا بعد أنّ صنعوا الانشقاق، واعتقد العدوّ أنّه باستعراضه قصف حمام الشّطّ في

تونس قد حقق شيئاً معنويّاً، لكنّ النّتيجة كانت دائماً عكسيّة، وهي تدّل على صبر وتحمّل وعذابات الفلسطينيّ الّذي يتجدّد ويتجدّد في مقاومته وأساليبه اللتين أذهلنا العالم كله، فمن أين لهؤلاء الحفاة العراة والملتصقين في مخيّمات الوّطن والشّتات هذا العنفوان، وكأنّ كلّ المصائب والقتل والتّشريد واللجوء كانت تعطيه فخراً ومجداً لاحدود لهما .

أمّا العدوّ الّذي اعتقد أنّه قضى على القضيّة الفلسطينيّة بخروج المقاومين من بيروت، فإنّه لمّ يحسب أنّ بعض المقاتلين البواسل ما هم إلّا جزءٌ من شعب عظيم لديّه تجربة مقاومة عبر مئات بل آلاف السنين منذ بداية البشريّة .

ها قد أصبح السّكين سلاحاً أبيضَ، وهاهي حجارة فلسطين تحولّت إلى كلّ أشكال القذائف والأحجام اللآزمة حسب نوعيّة السّلاح إذا كان يدويّاٍ أو مقلاعاً أومغيطة ... هاهو حجر فلسطين المقدّس انتقل إلى كلّ العالم كتجربة جديدة في مقاومة الاحتلال والّدكتاتوريّات والأنظمة القمعيّة.

لقد تعلّمت شعوب العالم استعمال الحجارة في المظاهرات، وفي أشكال التّصدّي لمواجهة العدوّان والطّغيان.

لقد أبدع الفلسطينيّون في اختيار الوقت واختيّار السلاح، فإنّ الأحداث الّتي سبقت الانتفاضة الفلسطينيّة كانت حروب شديدة القسّوة تهدف للقضاء على منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، وسلب حقّها المشروع في المقاومة، وتمثيل الشّعب الفلسّطينيّ، ومحاولة لطمس القضيّة الفلسطينيّة نهائيّاً، وزيادة تفتيت وتشريد الشّعب الفلسّطينيّ اللآجئ والمشرّد، واستعباد من تبقى منهم في الوطن، وهذا ما دعا إليه حاخامات اليهود، وليس استعباد الفلسطينيّن فقط بل وكلّ العرب.

كان كلّ ماسبق لمنع الشّعب الفلسّطينيّ من الوصول إلى حقوقه المشروعة في إقامة دولته المسّتقلّة وتقرير مصيره على أرضه.

فبعد اجتياح عام ١٩٨٢ ظنّ بعض العرب أنّ الفرصة سانحة لاحتواء القرار الفلسّطينيّ من خلال صناعة انشقاق حركة فتح، ومن خلال التنظيمات الّتي تنفذ الأوامر لهذه الدولة أو تلك من أجل السّيطرة على القرار الفلسّطينيّ. وعلى جانب العدوّ فقد خلق مجموعات عميله تدين بالوّلاء له، وكان أخر محاوّلات العدوّ تشكيل ماسمي «بروابط القرى» وعلى رأسها عدد من العملاء المعروفين للشّعب الفلسّطينيّ، وكانت إغراءات هذه الرّوابط في أكبرها هو إيجاد عمل في أراضي عام ١٩٤٨ في المخميّات، ومجال البناء والمزارع في الكيبوتسات، أو تجنيد عملاء صغار يحملون عن الكبار بعض الوّزر والذّنب.

وفي مواجهة كلّ ذلك هب الشّعب الفلسّطينيّ في كل الأرض، وردّ على محاولات النّظام السّوريّ في لبنان وعلى عملائه الّذين افتعلوا حرب المخيّمات، وأفشلوا هذا الهجوم الإجراميّ اللاّخلاقيّ من حركة أمل وفي كلّ الشّتات خرجت جموع الفلسطينيّن تندّد بكلّ هذه المحاولات.

أمّا داخل الوّطن فقد انطلقت المواجهات في انتفاضه تاريخيّة كانت تسير على ذكرى انتفاضة وذكرى إضراب وثورة عام ١٩٣٦ لكن بطريقة جديدة وفعالة، ووجدت في قيّادة فتح و م.ت.ف السّند والداعم والموّجه والمتابع ومن خلال رموز الثّورة كالأخ (أبوعمّار) الّذي أمر بتشكيل لجنة خاصة بالإنتفاضه لمتابعة كلّ تحركتها وأنشطتها وإحتيّاجاتها، وأيضاً الأخ (أبوجهاد) الّذي كان يشكّل أباً للانتفاضة وعلى اتصال يوميّ بقادتها؛ يتابع تفاصيل الأحداث ساعة بساعة في الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة.

لقد أصبحت كلمة الانتفاضة متداولة في كلّ وسائل الإعلام العربيّة والعالميّة، وكانّ هذا الاصطلاح الجديد يعبّر عن حركة الشّعب الفلسطينيّ وثورته الّتي لم تخمد، والّتي أخذت طابعاً جديداً أذهلت العالم.

جاءت الانتفاضة لتربك كلّ مخطّطات العدوّ الّتي رسمها لإنهاء القضيّة الفلسطينيّة، وتفاجأ العدوّ بالإسلوب الجديد للمقاومة، فكان الأطفال يتربصون لآليّاته في كلّ مكان، وفي لحظات تنهار على جنوده كل أحجام الحجارة. كانت دقّة الإصابة وسرعة الإطلاق هي العناوين الرّئيسة بمشاركة كلّ الشّعب الفلسّطينيّ وكلّ أعمار رجاله ونسائه، وأطفاله. لقد تحوّل أطفال فلسطين إلى رجال، ومزجوا الألعاب الّتي افتقدوها إلى حرب مقاومه وفعّالة، وأصبحوا يعرفون مقلاع داوُد وشمشون وأنواع حجارة فلسّطين الكلسيّة أو الصّوان والغرانيت، وأصبحوا يتقنون حركة الأيدي، وشكّل ذلك رياضة هادفة لهم.

كانت صورة جرحى الانتفاضة الأوّلى في العصر الجديد والحديث تأخذ مكانها وسط الشّعب الفلسطينيّ بكل مدنّه وقراه وبلداته الّتي كانت تتنافس فيما بينها، وأظهرت مخيّمات الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة حضوراً صارخاً.

وكانت الحجاره هي بنادق العوده ... كانت الوحدة الفلسّطينيّة بين كلّ الطوائف المسيحيّة والإسلاميّة مشتركتا بإيمان، ولم يظهر أيّ خلل طائفيّ كما كان هذا حال لبنان، فلم يعرف الفلسّطينيّون هذه التّفرقة، فقد كان الأذان يصدح والأجراس تقرع عند كلّ شهيد أو مواجهة، وهذا أيضاً أربك العدوّ، فلم يستطع أنّ يلعب لعبة التّناقضات الدينيّة، ولأهميّة هذه الانتفاضة في التّاريخ النّضاليّ الفلسطينيّ فإنّنا نؤرّخ هذا الحدث.

البداية

إنّ الفكـر الصّهيـونيّ يعطـي مـبرّرا لكلّ يهـوديّ للتّصرّف ضد الفلسـطينيين أوّلا والعـرب بشـكل عامّ بعدوانيّـة واضحة، بـل ويرافق ذلك فجـور في التّبرير، ولا شـكّ أنّ مـا قـام بـه غولدشـتاين في الحـرم الإبراهيـميّ في الخليـل هو مـن النّماذج الّـتي تتوافـق مـع هـذا الفكـر العـدائيّ. وعلى نفـس المنهـج وفي مسـاء الثّلاثـاء ٨/ ١٢/ ١٩٨٧ وفي الوقـت الّذي يعـود فيـه العمّـال الفلسـطينيون مـن مراكـز عملهـم في الأرض المحتلّـة عام ١٩٤٨ إلى قطـاع غـزّة مـن خـلال معـبر إيـرز قام مسـتوطن إسرائيـليّ يقـود شـاحنة عسـكريّة خارجـة مـن مسـتوطنة صهيونيّـة قريبـة مـن المعـبر بالانحـراف بالشّـاحنة نحـو تجمّع للعمّـال الفسـطينيين، فدهـس أربعة منهم استشـهدوا، وجـرح تسـعة آخريـن، وبعـد ذلـك ترجّـل هـذا السّـائق، واتّجـه نحـو سـيّارة تحمـل الرّقم الإسرائيـليّ واسـتقلّها، واتّضح أنّ هذه السـيّارة كانـت بانتظاره وعلى علـم بما سـيقوم بـه. وكالعادة- وكمـا حصل مع غولدشـتاين واتهامـه أنّه مختلّ عقليّـا- أهملـت الشّرطـة الإسرائيليّـة موضـوع هـذا القاتـل الجديـد، ولـم يقـدّم إلى المحكمـة إلّا بعـد مـا يقـرب العامـين حيث فقـد الاهتمـام بهـذه القضيّة عند المجتمـع الإسرائيـليّ، أمّا الفلسـطينيون فـلا أهمّيّـة لرأيهم.

وفي اليـوم التّـالي ٩/ ١٢/ ١٣٨٧ اشـتعلت الانتفاضـة أوّلاً في مـدن وبـلدات ومخيّمـات قطـاع غـزّة بحيـث انطلقت المظاهـرات من مسـجد مخيّم جباليـا، وتوجّه المتظاهـرون يـردّدون شـعارات المقاومـة نحـو مقـرّ الحاكـم العسـكريّ الصّهيونيّ، وقامـت القـوّات الإسرائيليّـة بالـرّدّ الفـوريّ على المتظاهريـن باسـتعمال الرّشّاشـات

والرّصاص الحيّ والقنابل المسيلة للدّموع، وكانت ردّة فعل المتظاهرين رمي الحجارة وزجاجات المولوتوف نحو القوّة الإسرائيليّة المهاجمة. وفي هذا الوقت استشهد حاتم السّيسّي، وجرح سبعة وعشرون من من المتظاهرين. وبعد وصول خبر الاستشهاد الثّاني لرائد شحادة انطلقت النّداءات من المساجد كافّة، وكانت مناداة (الله أكبر، الله أكبر) وبصوت تحدّ قويّ هي الإشارة الأولى لانطلاق الانتفاضة في كلّ قطاع غزّة، وزاد التّفاعل عندما اعتقلت قوّات الاحتلال الإسرائيليّ العشرات من الشّبان المشاركين في المظاهرات. وفي اليوم التّالي ١٠/ ١٢/ ١٩٨٧ اندلعت المظاهرات في كلّ مناطق قطاع غزّة، وقام العدوّ بإطلاق الرّصاص الحيّ وقنابل الغاز المسيّل للدّموع، فسقط خمسة جرحى، وتمّ اعتقال العشرات مجدّدا.

وصلت أخبار مظاهرات غزّة إلى الضّفة، وكان نداء (الله أكبر) قد وصل إلى مخيّم بلاطة في منطقة نابلس، فانطلقت المظاهرات في المخيّم بكلّ عنفوان شباب المخيّم، وسقط في مواجهة العدوّ خمسة شهداء. وتلبية لنداء الله أكبر ولشهداء مخيّم بلاطة انطلقت المظاهرات في نابلس، ومنها انتقلت إلى كلّ مدن وبلدات وقرى ومخيّمات الضّفة الغربيّة وبصوت مدوّ (الله أكبر)، وهكذا كان تفاعل الضّفة وغزّة عنوانا لوحدة الشّعب الفلسطينيّ في كلّ مناطقه. ولم يقتصر ذلك على طائفة محدّدة، بل كان الجميع يردّد «الله أكبر». لقد انفجر الغضب الفلسطينيّ في أعظم صور المقاومة الشّعبيّة، الأمر الّذي دفع قيادة العدوّ وأجهزته الأمنيّة وقيادة الجيش إلى بحث سبل مواجهة هذه الانتفاضة، وهم على اعتقاد أنّ هذه موجة شعب ستنتهي بعد عدّة أيام.

لقد كانت الانتفاضة مفاجئة للعدوّ، فلقد تواصلت قيادات الدّاخل مع قيادة م. ت. ف. في الخارج، وأصبحت هناك قيادة (لجبهة العنف المدنيّ الشّعبيّ)

وهـذا مـا أطلـق على تنظيم الانتفاضـة، ولم يكن العدوّ مسـتعدا لمثل هذا الشّـكل مـن الكفـاح والمقاومـة، وأصبح العالـم على معرفة بمـا يجري حـتّى أنّ الإسرائيلين أصبحـوا يعرفـون ما يجـري بدون توجيهـات قيادتهـم، وأصبح أطفال فلسـطين هم جـنرالات في هـذه المعركة وسـلاحهم الحجارة.

أصبحـت الانتفاضـة هي الهاجـس الدّائم عنـد (الأخّ أبو جهـاد)، وكان الأخّ أبـو عمّـار يـدرس السّـبل في الدّعـم الدّوليّ للانتفاضـة، أمّـا الأخّ أبـو جهـاد فقـد طلـب تشـكيل قيـادة موحّدة تضـمّ ممثلين عن فصائـل م. ت. ف.، ووضـع تعليمات واضحـة بعدم اسـتخدام السّـلاح في هذه الانتفاضـة وقال: «أنّ قوّتنـا لا تكمن في طبيعـة السّـلاح بـل في عدالـة قضيتنا، وسـلاح الحجارة سـوف يقـود إلى النّصر».

وأصبـح الأخّ أبو جهـاد يعيش حالـة الانتفاضة، ووصل إلى قناعـة أنّ العمل الفلسـطينيّ والكفـاح الفلسـطينيّ هـو داخل الوطـن المحتلّ وليـس خارجه، ورغم مسـؤوليّتة عـن جهـاز الأرض المحتلـة إلّا أنّ الشّـكل النّضاليّ الجديد شـكّل رافعة قويّـة للثّـورة الفلسـطينيّة وهـذا مـا كان يحلـم بـه بعـد الخـروج من بـيروت، وهو نقـل ثقـل المقاومـة إلى داخل الوطـن، وأعـدّ برامجه على ذلـك، ووضـع المراحل لكلّ مواجهـة مـع الاحتـلال بشـكل تصاعـديّ. وفي اجتمـاع المجلـس المركـزيّ لمنظّمة التّحريـر الفلسـطينيّة الّذي عقـد في بغـداد بتاريـخ ٦/ ١/ ١٩٨٨ قـدّم الأخّ أبـو جهـاد مذكرتـه حـول الانتفاضـة وإقامتهـا للاجتمـاع، وبعـد ذلـك بيـوم أصـدر برنامجـا محـدّدا مـن عشر نقـاط يحـدّد مهـام الانتفاضـة وواجباتهـا على الصّعيدين التّنظيـميّ والسّـياسيّ، وقـد بـثّ هـذا البرنامج عـبر إذاعـة صوت فلسـطين، وعبر الصّحـف ووكالات الأنبـاء بـكلّ الوسـائل المشروعـة. وهنـا أظهـر خليـل الوزيـر (أبـو جهـاد) قـدرة فتـح على إدارة معركـة جديـدة ومـن نـوع مختلف مـن النّضال

الوطـنيّ الفلسـطينيّ، وهو اسـتنزاف العدوّ من خلال شـموليّة الانتفاضـة ووجودها في كلّ مدينـة وبـلدة وقرية ومخيّـم، ووجودها في وجـدان كلّ فلسـطينيّ داخل الوطن المحتـلّ. وتجـدر الإشـارة إلى أنّ أوّل بيـان يحمل اسـم القيادة الوطنيّـة الموحّدة صدر داخـل الوطـن المحتـلّ في ٩/ ١/ ١٩٨٨.

لقد تشـكّلت هذه القيادة بشـكلّ سرّيّ، وشـملت ممثلين من فصائل م. ت. ف. مـن شـخصيات وقوى سياسـيّة وتنظيميّة فلسـطينيّة وقيادات مسـتقلّة، وأصبحت هـذه القيـادة هي (القيـادة الميدانيّة) المرتبطة مباشرة مـع قيادة م. ت. ف.

إنّ مـا يمـيّز (القيادة الميدانيّة) هـو العمل بسرّيّة تامّة بحيث لم يسـتطع العدوّ معرفـة الّذيـن يديـرون العمليّات والحركة اليوميّـة للمنظمين، كمـا أنّ قيادة الخارج وخاصّـة قيـادة الأخّ أبـو جهـاد راعـت الأوضـاع الدّاخليّـة، ولـم تظهـر إلى العلن للحفـاظ على الـكادر العامـل داخل الوطـن المحتلّ، بـل كانت تصـل التّوجيهات إلى القيـادة الميدانيّـة بسرّيّـة ودقّة، وهذا أنجـح الانتفاضة، وأطال اسـتمراريتها.

لقـد كان الأخّ أبـو جهـاد يقـف على رأس الهـرم الّذي يقـود الانتفاضة، ومن خـلال القطـاع الغـربيّ أيضـا قـام بالمهـام التنفيذيّة كلّ مـن الأخّ فيصل الحسـيني والأخّ مـروان البرغـوثي، ونتـج عن التّرتيبـات الجديـدة (تنظيم جماهـيري) يتحرّك بحريّـة ضمـن الضوابـط لخاضعـة (للآمركزيّـة)، وأفـرز ذلـك لجانـا شـعبية أيضـا تحمـل الشّـكل الهـرميّ، وكان أعضاؤهـا كادراً ملتزمـاً ومتدرّبـاً وجاهـزاً لتنفيـذ أيّة مهـام وأوامـر، وأيضـا ينفـذّ عملهـا بسرّيّـة كاملـة، وهـذا أربـك العـدوّ وقوّاتـه وعمـلاءه، فلـم يسـتطع فعل الكثـير إلّا زيـادة القمـع والحصـار لمواقـع المواجهات. وهنـا نشـير إلى أنّ القيـادة الفلسـطينيّة على مسـتوى المناطـق والشّـوارع والأحياء داخـل الوطـن المحتـلّ كانـت تنهـج منهـج مشـاركة كلّ الشّـعب بـكلّ اهتماماته

وأعمـاله وتخصّصاتـه ، وكان التّعامـل ودودا خاليـا مـن الفوقيّـة و (الانـا)، وهـذا فـرض على قيادة الخـارج المعاملة بالمثـل من المـودّة والتّفاعل وإعطاء قيـادة الدّاخل اللآمركزيّـة في اتّخـاذ القـرارات بناء على الواقـع الّذي تراه هذه القيـادة وأفضل ممّن هـم في خـارج الوطـن المحتلّ.

إنّ هـذا يذكّـرني بمسـلك القيادة الفلسـطينيّة في زمن الاجتيـاح كما أشرنا، لقـد تشـكّلت اللّجـان الشّـعبيّة رافعـة أساسـيّة لاسـتمرار الانتفاضـة وقيادتها من خـلال تجربتهـا المتراكمـة، وقامت بعـدّة نشـاطات أهمّها:

- توعية الجماهير وتثقيفها معنويّا وإداريّا.

- قيادة الجماهير لضمان استمراريّة الانتفاضة وفعاليتها.

- تأمين حلقة الوصل بين القيادة الموحّدة للانتفاضة واللّجان.

- الإشراف على التّمويـن في مواجهة الحصار الّذي فرضته سـلطات الاحتلال، وتأمـين المـوادّ التّموينيّـة الأساسـيّة وتوزيعهـا على جماهـير الانتفاضـة، والإشراف الطـبيّ على المصابـين.

- قيادة وتنظيم وتنفيذ عمليّة التعليم الشّعبيّ لتعويض تعطيل المدارس.

- تأمـين دوريـات ليليّـة (مناوبـات) لمواجهـة اختراقـات قوّات العـدوّ، وكان هنـاك لجـان أطلـق عليهـا (القـوّة الضّاربة)، كمـا عملت بعـض اللّجان على إفراز دوريات اسـتطلاع واستكشـاف لحمايـة الواجبات الميدانيّـة وتنفيذها وشـنّ الهجمـات على المراكز الحيويّـة للاحتلال.

التّكاتف والتّكافل المبدع

عاش الشّعب الفلسطينيّ منذ بداية الانتفاضة الأولى حالة فوق الواقعيّة المثاليّة من التّكاتف والتآلف والتّعاون والعطاء والتّنظيم الدّقيق والشّعور بالاعتزاز وبالتّضال وتقديم مصالح للآخرين على التّفس... كانت حالة راقية متطوّرة ومثاليّة، وكانت جوهرا للعطاء. وشاركت اللّجان الشّعبيّة في ترتيب البيت الفلسطينيّ في أقسى ظروف الحصار والقمع، فانطلقت اللّجان الشّعبيّة متحدّية العدوّ، ودخلت إلى كلّ بيت لتعرف احتياجاته وأيضا إمكانيّاته، وشكّلت الفرق الّتي يقوم أفرادها بتوزيع الموادّ التّموينيّة للعائلات المحتاجة، وفرقا لجمع ما يتبرع به الآخرون من الدّماء لحاجة الجرحى، وفرقا لتنظيف الشّوارع في كلّ المدن والمخيّمات، كما تمّ تنظيم دورات للإسعاف والدّفاع المدنيّ، ونظّموا الاحتفالات الثّقافيّة والفنيّة كشكل من التّعبير عن الحياة والتّحدّي للآخر.

كذلك تمّ تشكيل مجموعات محدّدة وباختيار دقيق لصناعة قنابل المولوتوف وإلقاء المسامير وخرق الأنابيب الواصلة للمستوطنات ووضع المعوقات من حجارة ودواليب محروقة في الطّرق الّتي يتحرّك فيها المستوطنون، ووضعت اللّجان الإعلاميّة الفسطينيّة، ونشروا في كلّ مكان المناشير الّتي توضح أساليب مقاومة الاحتلال، وكذلك نظّموا المناوبة بين مجموعات المقاومين بالحجارة والأدوات الأخرى بدون استعمال الأسلحة وسط ذهول العدوّ من تماسك عناصر الانتفاضة، فقد قال إسحق رابين: «إنّ نشاطاتنا في المناطق

تهـدف إلى مجابهـة العنـف والقضـاء على اللّجـان الشّـعبيّة الّـتي تعمـل على إقامة نظـام إداريّ وطـنيّ مـوازٍ لإدارة الاحتـلال المـدنيّ».

رافـق هـذا العمـل التّنسـيق بين حـركات الشّـبيبة الفلسـطينيّة والّتي تشـكّل قاعدة أساسـيّة للّجان الشّـعبيّة مع المنظّمات والاتحادات والنّقابـات المهنيّة والهيئات الاجتماعيّـة رافعـة للانتفاضة وبشـكل يـوميّ ومتواصـل، وهذه الحـركات هي: منظّمة الشّـبيبة الفتحاويّة، ولجان الشّـبيبة للعمـل الاجتماعيّ، وحركة الشّـبيبة في الجامعات والمعاهـد والمـدارس الثّانويّـة، ولجـان المـرأة للعمـل الاجتمـاعيّ، وحركـة الشّـبيبة العماليّـة، وأفراد الجيش الشّـعبيّ.

لقـد شـاركت اللّجـان خلال فـترة الانتفاضة كلّهـا بعمليّة تنظيف الشّـوارع في كلّ المـدن والمخيّمـات والقـرى، كمـا قامـت اللّجـان بترميـم بعض المنـازل الّتي كانـت متـضرّرة في فصل الشّـتاء ، والنّشـاطات الرّياضيّة في النّـوادي، وكذلك عمل دورات للتدّريب العسـكريّ بدون سـلاح، وتقديم العروض العسـكريّة للجماهير في الأنديـة وخارجهـا، وأيضاُ تشـكّلت الفـرق الّتي تشـعل الحرائق وتشـغل العدوّ في عمليّـة الإطفـاء واسـتنزافه، وتضرّرت قـوّات الاحتلال بكلّ هذه الأنشـطة لكن اللّجـان كانت تجدّد نفسـها.

وهنـا لا بـدّ مـن الإشـارة إلى أنّ الانتفاضـة الفلسـطينيّة عام ١٩٨٧ لـم تبـدأ بقـرار، وأعتقـد أنّ لا أحـد في القيـادة الفلسـطينيّة كان على علـم بانطـلاق الانتفاضـة، فـهي ردّة فعل للشّـعب الفلسـطينيّ ضـدّ الاحتلال وممارسـاته. وواضح أنّـه مـا دام هنـاك احتـلال فهناك مقاومـة، وحقيقـة ايضـاُ أنّ القيادة الفلسـطينيّة تلقّـت انطلاقـة الانتفاضـة بسرعة كبـيرة، وتبنتها ودعمتهـا بكلّ الوسـائل، وهذا أعطـى القيـادة الفلسـطينيّة حـقّ الحضـور، وحـقّ التّأثـير والتّوجيه.

وأيضا نشير هنا إلى أنّ الانتفاضة الأولى تميّزت بأنّها لم تستعمل إلّا الحجارة في مقاومة الاحتلال والتّصدّي له، وهذا جعل الانتفاضة تحوز على تعاطف عالميّ كبير، فشارك الآلاف في أنحاء العالم مع فلسطيني الوطن المحتلّ مشاعرهم من خلال تظاهرات عمّت عواصم العالم بما في ذلك في واشنطن ونيويورك ومدن أمريكية أخرى.

لقد دفعت الانتفاضة الشّعب الفسطينيّ ليكون في الطّليعة. فهو شعب بطل صامد، لديه القدرة على الصّبر الآمحدود؛ فقد منع التّجول عليه، ومنعت الأدوية، ومنع حتّى الغذاء، فزرع النّاس بعض الخضروات فوق أسطح البيوت وحولها، وكذلك قام بتربية الدّواجن والأرانب والطّيور في كلّ مكان... وكانت الانتفاضة هي سيدة مقاومة الاستيطان، وهي المنبر الإعلاميّ الصّادق في مواجهة الممارسات الصهيونيّة العنصريّة.

إنّ من أهم الإنجازات الّتي حققتها الانتفاضة ووصلت إلى الرأي العام العالميّ أنّها أكّدت على:

- الطّابع العنصريّ للدّولة الصهيونيّة.
- احتلال أرض شعب آخر.
- طرد أبناء الشّعب الفلسطينيّ.
- ارتكاب مجازر بحقّ الشّعب الفلسطينيّ.
- رفض إسرائيل لقرارات الشّرعيّة الدّوليّة.
- إنّ ميثاق الأممّ المتّحدة يقرّ بحقّ الشّعوب في مقاومة الاحتلال.

- رفض التّجاوب مع لجنة تقصي الحقائق.

- إنّ إسرائيل هي دولة الإحتلال التّقليديّ الباقي في العالم بعد تصفيّة ظاهرة الأستعمار التّقليديّ.

- التّمييز بين اليهوديّة كديانة وبين إسرائيل كدولة احتلال. ومن ثمّ يفضّل استخدام مصطلح الصّهيونيّة باعتبارها حركة عنصريّة سبق للأمم المتّحدة أن أدانتها، ووصفتها بالعنصريّة.

قائد الانتفاضة الأولى
الشّهيد والرّمز خليل الوزير (أبو جهاد)

شكّلت الانتفاضة الفلسطينيّة رافعة للمشاعر الوطنيّة العربيّة، وأعطت الرّوح العالية النضاليّة لكلّ الأطفال في العالم العربيّ الّذين كانو يشاهدون أطفال فلسطين ونساءها يقاومون الاحتلال الصّهيونيّ بصدورهم العارية والحجارة الّتي تحملها أيديهم. لقد رأت نساء العالم العربيّ نساء فلسطين وهنّ يحملن في حجورهن الحجارة الّتي تصل إلى أيدي الشّباب والأطفال الفلسطينيين، ورأت نساء العالم كيف تمسك السّيدة البطلة الإنسانة المجاهدة الأمّ الواقفة بجانب أولادها ترمي العدوّ بالحجارة من أجل الحرّيّة والاستقلال.

كانت النّساء العربيّات تقرأ تعابير وجوه نساء فلسطين وهي تواجه الجنود الصّهاينة... كانت الانتفاضة هي الثّورة، كانت حرب الشّعب الفسطينيّ الأعزل إلّا من الإيمان بالله وبوطنه وبتلك الأيدي الصّغيرة الّتي تقاوم وترمي الحجارة.

لقد شحن الشّارع العربيّ وكلّ فلسطيني الشّتات أمام صور البطولة الّتي تتجاوز حدود المعقول. وحاولت إسرائيل وقف اندفاع المقاومين أو تجميد أو إضعاف ثورة الحجارة، ولم تستطع... وكان الأمر الصّهيونيّ هو اغتيال قادة الانتفاضة في الدّاخل والخارج، ولهذا شهدت سنوات الانتفاضة الممتدّة من

عام ١٩٨٨ وحتّى ١٩٩٢ العديد من الاغتيالات مستهدفة قيادة حركة فتح حتّى بلغ الأمر الاشتراك بشكل مباشر أو غير مباشر مع صبري البنّا في عمليّات الاغتيال هذه.

لقد سقط العديد من الشّهداء في الانتفاضة (ثورة الحجارة) الّتي لم يحتمل العدوّ القدرة على وقفها أو امتصاص تأثيرها الّذي امتدّ على كلّ الأرض. فكان الاغتيال الأوّل للقائد الشّهيد الرّمز خليل الوزير أبو جهاد. فمن هو هذا القائد الّذي قاوم إسرائيل بكلّ صلابة وإيمان وقوّة عبر مسيرة طويلة منذ تأسيس حركة فتح، بل وقبلها؟

كان أبو جهاد متواضعاً في معاملته، غير محبّ للأضواء رغم أنّه كان نائب القائد العامّ ومسؤول جهاز الأرض المحتلة المختصّ بكلّ العمليّات العسكريّة والتّنظيم، والاهتمام بالكوادر في الدّاخل الّذي كان يشرف على كلّ العمليّات العسكريّة داخل فلسطين المحتلة، أو كان يعدّها ويدرّبها في معسكرات فتح في لبنان. أبو جهاد هو الرّجل الثّاني في فتح، وهو روحها.... لقد سبق أبو جهاد فتح في ممارسة العمل العسكريّ.

فلقد بدأ مشواره المقاوم بالمبادرة في حمل السّلاح وتنفيذ العمليّات العسكريّة قبل الانطلاقة، فقام بأوّل عمليّة عسكريّة وحده، وذلك بتفجير خزّان (زوهر) قرب بيت حانون عام ١٩٥٥، وكان هو ومجموعة من الشّباب الّذين قاموا بعدّة عمليّات عسكريّة دفعت إسرائيل إلى تهديد مصر، واتهامها أنّها وراء هذه العمليّات، وكان الرّد المصريّ ملاحقة (أبو جهاد) ورفاقه، ولكن في نفس الوقت شكّلت أقوى مجموعة فدائيّة، بقيت راسخة في قلب وعقل كلّ فلسطينيّ، وهي مجموعة مصطفى حافظ المصريّ البطل الّذي قام بعدّة عمليّات

مؤلمة للعدوّ آنذاك.

انتقل أبو جهاد إلى القاهرة، وتعرّف على أعضاء مجلس الطّلاّب الفلسطينيين في جامعة القاهرة وعين شمس، أيّ على المؤسّسين الأوائل لحركة فتح، وعقد أبو جهاد أوّل اجتماع تأسيسيّ مع ياسر عرفات في الكويت، وكان أحد الخمسة الأوائل المؤسّسين لحركة فتح، وهو الّذي ساهم في خلق أوّل صحيفة تتحدّث عن فلسطين في لبنان عام ١٩٥٩ وكان يساهم في كتابة الافتتاحيّة والموضوعات الأخرى فيها وهي مجلة (فلسطيننا – نداء الحياة)، كما قام بالاتّصال بالقيادة الجزائريّة، وتمّ افتتاح أوّل مكتب لفلسطين في الدّول العربيّة والعالم عام ١٩٦٣.

لقد كان أبو جهاد متأثرا بالثّورة الجزائريّة العظيمة وبالثّورة الكوبيّة وتشي غيفارا وبمقاومة الشّعب الفيتناميّ وثورة الصّين العظيمة، وكان يشعر بصلة القربى بكلّ حركات التّحرّر في العالم.

افتُتِح مكتب الجزائر في ١٩٦٣/٩/٢٣م حيث استطاع أبو جهاد إقامة علاقات ممتازة مع القيادة الجزائريّة و قيادات ثوريّة عالميّة مثل القائد (تشي جيفارا)، وقد عُقد عام ١٩٦٤م مؤتمر في الجزائر خصّص للبحث في نزع السّلاح النّووي بمشاركة العديد من قادة دول العالم وزعمائه، وكان من بينهم القائد تشي جيفارا الّذي شارك على رأس وفد كوبيّ، وكان من المقرّر أن يبقى جيفارا بعد المؤتمر عدّة أيام في الجزائر ، التقى أثناء ذلك الأخ (أبو جهاد) الّذي تجوّل معه في عدّة مناطق في الجزائر، وتوطّدت العلاقة من خلالها بينهما، حيث تعرّف على حركة فتح، وأهدافها، وسرّ قوّة إسرائيل عدّو الشّعب الفلسطينيّ، واعتبار النّموذج الجزائريّ في مقاومة الاستعمار الفرنسيّ هو الأنسب للشّعب

الفلسطينيّ، ممّا يوجب تطوير العمل الفدائيّ بكلّ الأساليب... وشكّل هذا اللقاء المبكر مقدّمة هامّة لدعم كوبا لنضال الشّعب الفلسطينيّ، وثورته ، وقضيّته العادلة.

كان أبو جهاد على اتّصال دائم مع الأخ (أبو عمّار) من أجل التّحضير لانطلاقة حركة فتح عسكريّاً، وعمل معه على البدء بتدريب الكوادر الفتحاويّة في الجزائر. كان تدريب الكوادر يتمّ بشكل فرديّ على السّلاح، ثمّ كمجموعات صغيرة إلى أن تمكّن الأخ (أبو جهاد) من عقد دورة عسكريّة للكادر الفتحاويّ في صيف عام ١٩٦٤م وصل تعدادها إلى (٩٧) فرداً من شباب تنظيم فتح في الجزائر، ومنهم عدد من الّذين أصبحوا قادة فيما بعد كممدوح صيدم، وأبو علي إياد،ومنهل شديد، و وديع عبد اللطيف، ومحمود الهمشري، ومحمّد أبو ميزر وغيرهم، وقد عقدت هذه الدّورة في (معسكر بوغار) واستمرّت مدّة خمسين يوماً، حيث تدّرب الكادر والعناصر الفتحاويّة خلالها على فنون قتال حرب العصابات كافّة من خلال التّجربة الجزائريّة ضدّ فرنسا، وقد أشرف الأخ (أبو جهاد) والقيادة الجزائريّة على تخريج الدّورة، وبعد هذه الدّورة فتحت أبواب الكليّة العسكريّة المعروفة في « شرشال»، فقد أرسل توفيق حوري من لبنان أعضاء الدّورة إلى الكليّة، وكان عدّدهم عشرين عنصراً وكادراً من فتح، وكان من أعضائها علي عبّاس، وزياد الأطرش، وفوزي السّكران، ومحمود عرسان، وأحمد عمر، ومنهل شديد، وقد استمرّت عاماً كاملاً قام بعدها الرّئيس هواري بومدين عام ١٩٦٦م بتخريج أوّل دفعه من دورة الضّبّاط الفلسطينين في كلّيّة شرشال العسكريّة.

كان أبو جهاد وبالتّنسيق مع الأخ (أبو عمّار) يشرفان على كلّ عمليّة

عسكريّة ضدّ الإحتلال الإسرائيليّ، وتتالت بعدها العمليات العسكريّة بعد الإعلان عن انطلاقة حركة فتح في ١٩٦٥/١/١م بعد الهزيمة الكبرى للجيوش العربيّة. فقد كانت العمليّات العسكريّة الفلسطينيّة البطوليّة هي صوت الكرامة للأمّة العربيّة أنذاك، ويقول أبو جهاد: «إنّ قوات العاصفة دشنت انطلاقتها الثانيّة بعد عام ١٩٦٧م بعمليّة فدائيّة ضدّ دوريّة لجيش الإحتلال في مدينة غزّة يوم ١٩٦٧/٨/٢٨م، وقد تزامن تاريخ هذه العمليّة مع انعقاد مؤتمر القمّة العربيّ في الخرطوم كرسالة لهذه القمّة العربيّة والمعروفة بقمّة اللآءات الثّلاثة : لا صلح، ولا اعتراف، لا مفاوضات.

بعد انتقال الثّورة وقياداتها إلى لبنان وسوريا بدأت عمليّة تثبيت قواعد الثّورة هناك والتّصدّي لمحاولات الاعتداء على الثّورة الفلسطينيّة من العدوّ الصّهيونيّ وعملائه لإزالة الوجود الفلسطينيّ من الجنوب اللبنانيّ ومن بيروت والشمال اللبنانيّ.

بعد استشهاد القائد كمال عدوان عام ١٩٧٣م في عمليّة فردان الّتي نفذها العدوّ ضدّ القادة الثّلاث أبي يوسف النّجار، وكمال عدوان، وكمال ناصر، تسلّم الأخ أبو جهاد قيادة(القطاع الغربي)، وقام بالتّنسيق بين الخلايا الّتي أعدّها منذ عام ١٩٦٧م في الأرض المحتّلة، ومع تجربة القطاع الغربي الّذي كان مسؤولاً عن جميع الخلايا الفتحاويّة في الأرض المحتّلة، وهنا قام الأخ أبو جهاد بالإشراف على العمليّات كلها وخاصّة الّتي كان يتمّ إعدادها في معسكرات فتح الممتدّة من بيروت حتّى نهاية الجنوب اللبنانيّ... وأذكر هنا عمليّة دلال المغربي والعشرات منها، والّتي أقضّت مضاجع الاحتلال، فلقد أدار كذلك كلّ العمليّات في الداخل. كان أبو جهاد هو الموجه للانتفاضة، وشكّل

القيـادة الموحّـده مـن التّنظيمات كافّة كمـا أشرنا، وأصـدر أوّل بيـان بعد اندلاع الانتفاضـة مؤلّفـاً مـن عـشر نقاط، حـدّد فيهـا مهـام الانتفاضـة، وواجباتها على الصعيديـن التّنظيـمي والسّـياسي حيـث قـال:» إنّ الانتفاضة قرار دائم وممّارسـة يوميّـة تعكـس أصالـة الشّـعب الفلسـطينيّ وتواصلـه التّاريـخي المتجـدّد... أبـو جهـاد الّذي كانـت بوصليّـة فلسـطين فقـط، كان يقـول:» كونـوا يسـاريين مـع الاتحـاد السّـوفياتي والصّـين، وكونـوا يمينيين مـع السّـعوديّة والكويـت، لكن أنا سـوف أبـقى متوجّهـاً دائمـاً إلى فلسـطين، ولا عمـل لي إلّا داخـل الأرض المحتلّه على تـراب فلسـطين، كان صاحـب الدّعـوة لـكي يتوجّـه الجميـع باتّجـاه فلسـطين رغـم كل التّباينـات والتّناقضـات الفكريّة ... كان دائمـاً مع البندقيّة الفلسـطينيّة الموجّهـة ضـدّ الصّهاينـة فوق أرض فلسـطين... وكان الشّـعار لا صـوت فوق صوت الانتفاضـة، ومصـير الاحتـلال يتقـرّر في فلسـطين المحتّلـة، وليـس على طاولـة المفاوضات.

وفي ١٩٨٨/٤/١٦م اغتـال العـدّو الصّهيـونيّ الرّجل الّذي قارع العـدّو بالعمل منـذ كان شـابّاً صغـيراً، وبـقي يقـاوم في كل مراحـل حياتـه بـكلّ الجهـد والجلد والـولاء والعطـاء حـتى استشـهاده، وهـو « أمـير الشـهداء»، وهـو حامـل وسـامة الانتفاضـة الأولى وكل الانتفاضـات، ويسـتحقّ أبـو جهاد أن يقـف وننحني لتلك القامـة الفلسـطينيّة الّـتي كانـت تعمل يـداً بيد مـع القائـد أبي عمّار، ولهـذا فإن شـخصيّة فـذّة قارعـت الاحتـلال والعـدوان الأمريكـيّ على فيتنـام « الجـنرال جيـاب» الّذي ذهـب إلى السّـفارة الفلسـطينيّة في فيتنام يرافقة وفـد كبير، ويؤدي بـكلّ تواضع القـادة الكبار التّحية العسـكريّة أمـام صورة الشّـهيد القائد الرّمز أبي جهـاد، ويكتـب في سـجل التّعازي مـا نصّه:

«قـدّم الرّفيـق أبـو جهاد دائمـاً الدّعم النّشـيط للشّـعب الفيتنـامي، وأَكنّ له المشـاعر الأخويّـه الحميميّـة... لقـد تـرك لي الرّفيق أبو جهـاد الذّكريـات العميقة، لقـد كان عبقريّـاً خلّاقـاً وله ثقـة كبـيرة بالانتصـار النّهائيّ للثّـورة الفلسـطينيّة، فاستشـهد القائـد البـارز الّذي يُعدُّ بشـهادة إخوانـه حميعهم بمن فيهـم رفيق دربه الطّوريـل (أبـو عمّـار) بمثابـة القابلـه الّـتي ولدت على يديهـا الثّورة الفلسـطينيّة المعاصرة.

عمليّة اغتيال أبي جهاد

اجتمع مجلس الوزراء المصغّر في الحكومة الإسرائيليّة، وكانت وجوه الحاضرين تنفجر غضباً وشعوراً بالإحباط. ورغم الانتكاسات الّتي سيطرت على القيادات الإسرائيليّة نتيجة خروج مقاتلي الثّورة الفلسطينيّة بأسلحتهم، ونتيجة للخسائر الكبيرة في صفوف الجيش الإسرائيلي، فإنّ الفلسطينيين يعودون بإصرار أكبر لاقتحام أهمّ قلعة محصّنه في الوجود الصّهيونيّ وهي وزارة الدّفاع، فهاهو القائد أبو جهاد يعدّ الخطّة، وينفذها، وهدفها إنزال مجموعة من الفدائيين على شواطئ تل أبيب، ثمّ التّوجّه إلى مقرّ وزارة الحرب الإسرائيليّة في منطقة (الهاكرياه) من أجل أسر كبار الضّباط والعاملين في الوزارة بمن فيهم إسحق رابين وزير الدّفاع أنذاك تنفيذاً لقول القائد الشّهيد: « سنجبر إسرائيل على البقاء في حالة استنفار».

لقد كانت خطّة خليل الوزير(أبو جهاد) تتجاوز العمليّات العسكريّة السّابقة كافّة، وخطوة جريئة تتجاوز شكل الصّراع مع العدوّ. لقد كانت خطّته تتمّثل في الوصول لشاطئ تّل أبيب، والتّوجّه إلى وزارة الحرب، والسّيطرة على حافلة، واقتحام مقرّ وزارة الحرب الإسرائيليّة، وأخذ رهائن، ومبادلتهم بأسرى فلسطينيين. شارك في الإعداد لهذه العمليّة (٣٨) شاباً فلسطينيّاً من أفراد النّخبة المسمّاه (الخدمة الخاصّة) من أجل تنفيذها، وأقيم معسكر خاصّ لهذه المجموعة على شاطئ البحر في وهران من أجل أن يتعايش المتدرّبون مع البحر.

كان أبـو جهـاد على تواصـل مع فريـق التّدريـب والمتدرّبين، وقـام بزيارتهم أكـثر مـن خمـس مـرات، وأطلـق على العمليّـة اسـم (فتح مـرّت من هنـا)، ولعلي أتذكـر جـدران بـيروت الّـتي كانـت مرسـومة بهـذا الشّـعار لـكّل فصيـل، فهنـاك المرابطـون مـرّوا مـن هنـا، والكتائب مرّت مـن هنا، وفتـح مرّت من هنـا، وهكذا كان كلّ فصيـل يكتـب هـذا الشّـعار في المنطقـة أو في الأماكن الّـتي يوجد فيها. لكـنّ البعـد المعنويّ والسّـياسيّ كان مفهوماً وهامّـاً فيما لو وصل هـؤلاء الأبطال الفتحاويّـون إلى سـاحل فلسـطين إلى سـاحل تـلّ أبيب المحـاذي ليافا.

اشـترى أبـو جهـاد سـفينتين، وأطلـق على السّـفينتين اسـم (أبتـبر يـوس) والثّانيـة (مـون لايـت). وللتّغطيّـة على هويّـة السّـفينتين، فقد كانتـا تتحرّكان في البحـر الأبيـض المتوسـط متنقلتـين ما بـين الجزائر ومـصر ولبنان وقـبرص ذهاباً وإياباً؛ لـكي تعتـاد البحريّـة الإسرائيليّة الّـتي كانت تراقـب كلّ حركـة الملاحة في السّـواحل القريبـة مـن فلسـطين المحتّلة وتصبـح مألوفـة. وفي هذا الوقت نفسـه تتابعـت عمليّـة تدريـب أفـراد الفريـق، الّذيـن انتقلـوا بعـد ذلك من وهـران إلى عنابـة، وأقامـوا على ظهـر إحدى السّـفن كتعويد للنّفـس والصّبر، وأيضـاً لتجهيز الطّاقـم وتأمـين السّـلاح الـلآزم، وكل ذلك كان بـإشراف الأخ (أبو جهـاد) الّذي بـقي مـع الفريـق، وكان يتـدوال معهـم الخطّة، ويـشرح لهـم التّفاصيل حـتّى لحظة دخـول وزارة الدّفـاع؛ لأن الدّليـل (شـحادة) الّذي كان يعـرف المنطقـة جيّـداً تـوفي أثنـاء التّدريـب، وبالتّالي كان لابـدّ أن يتـولى الأخ أبو جهـاد الأمر، ويشرح كلّ شيء على الخريطـة، ومجسّـم تـمّ إعـداده بشـكل دقيـق، وكان واثقـاً مـن نجـاح العمليّـة بنسـبة عاليّـة جـدّاً، وعيّن (الشّـيخ أبـو نبيل الهـرش) قائـداً للمجموعة، وحـدّد مـكان نـزول المجموعة جنـوب يافا.

كان كلّ عضو في الفريق مشغولاً بنفسه أو بمهمته على السفينة. كان حلمهم النّزول على شاطىء فلسطين، ولا شكّ أنّه كان هناك بعض القلق من نجاح العمليّة أو عدمها. هذا الفريق المكوّن من عشرين فرداً هم الّذين سينفذون المهمّة، وسبعة ضبّاط من البحريّة الفلسطينيّة الّذين تدرّبوا في دول صديقة عدّه كانت أوّلها في مصر قبل عام ١٩٦٧م. وكانت مهمّة الضّبّاط الهندسة والاتّصال والملاحة، وكان هناك ضابط من جهاز الأرض المحتله (الغزّي) يرافقهم في ١٩٨٥/٤/٢٠م صلى الفريق صلاة الجمعة، وخطب فيهم خطبة الجمعه المهندس أسامة، وجاء في الخطبة: «من كان في قلبه شئ من النّية فليخرجه... هذا العمل عمل خالص لوجه الله، وطريقه إلى الجنة، هذا وطننا، ونحن له فداء بأمر الله».

في السّاعة الثّامنة مساء تخطّت السّفينة قناة السّويس بإتجاه مدينة حيفا، الكّل في موقعه بناء على التّعليمات الصّارمة الّتي تقول بتقليص بالحركة إلى الحدّ الأدنى، ووقف كل رجل بجانب الزورق المطاطيّ الّذي سيقله، كان البحر مرتفع الموج، وفي الصّمت على سطح السّفينة والضّجيج النّاجم عن صوت الموج؛ وصدرت الأوامر بتجهيز المجموعة الأولى للإنزال... كان تفاعل أعضاء المجموعة فورّياً بصمت، وفتحت الأبواب الجانبيّة للسفينة، والجميع في أقصى حالة التّأهبّ لإنجاز المهمّة. أصبحت السّفينة في المياه الإقليميّة، وفي هذا الوقت ظهرت نقاط على رادار السّفينة تشير لوجود قطع بحريّة إسرائيليّة ما زالت بعيدة عن السّفينة، لكنّها بدأت تقترب منها، وصدر الأمر للسفينة بالتّوقف، وتمّت المحادثة بين الضّابط الإسرائيلي والكابتن عبد الناصر سائلاً إياه:» أين أنتم ذاهبون؟ ومن هو الوكيل لكم في حيفا...؟ وماذا تحملون...؟ «وأجاب الكابت عبد الناصر: أنا كابتن أردني متّجه إلى تركيا، وقال الضّابط

الإسرائيـليّ: «أنـت ذاهـب إلى حيفـا، وأنـت بمياهنـا الإقليميّـة؟!»، فقـال له عبـد النـاصر: « الأجهـزة الملاحيّة معطلة عندي، ولا أسـتطع السّـير في الميـاه العميقة»، فقـال الضابـط: « قـف إذن لإفتشـك»، فقـال عبـد النـاصر: «غـير ممكـن»، فـردّ عليـه الضابـط الإسرائيـلي: « إذن إتبعـوني على خـطّ سـير كـذا، واقـترب القارب الإسرائيـلي مـن السّـفينة، ففاجـأ بعـض أفـراد المجموعـة بقذائـف الأربي جي والرشاشـات، وابتعـد الـزّورق الإسرائيـلي، وجـاءت عـدّة زوراق إسرائيليّة خرى وبـدأوا بقصـف السّـفينة بالمدفعيّة والرشاشـات الثّقيلة، واسـتمرّ ذلـك حتّى بعد منتصـف الليـل، وأدى القصـف إلى احـتراق غرفـة المـولّدات، واشـتعل الوقـود والزّيـت، وسـقط الشّـهداء والجـرحى، ومالـت السّـفينه على جانبهـا، وغرقـت هي ومـن بـقي منهـم حيّـاً، والّذيـن انهمـرت عليهـم زخّـات الرّصـاص بقصـد القتل، وسـقط عشرون شـهيداً، وبـقي سـبعة تـمّ اعتقالهم.

بعـد هـذه العمليّة سـاد السّـاحل الفلسـطينيّ حالة اسـتنفار قصـوى، وكان قائـد سـلاح البحريّـة الإسرائيليّـة آنـذاك (بين شوشـان) قـد أمر بوضع سـلاح البحريّـة الإسرائيليّـة في حالة الاسـتنفار القصوى. وتحرّكت الدّوريّـات البحريّة، وأغلقت كلّ السّـاحل الفلسـطينيّ لقد شـكّلت هـذه العمليّة ناقوس خطـر للقيادة الإسرائيليّـة، وخرقـاً لطبيعـة الصّراع، وذلـك لأنّ هدف العمليّـة كان الوصول إلى الـرؤوس الكبيره في كيـان العدّو.

قرار الاغتيال

بعد اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيليّ المصغّر واتّخاذ قرار اغتيال القائد أبو جهاد تمّ تكليف الوحده الخاصّه لهيئة الأركان وسلاح البحريّة الإسرائيلي ،ووحدة « قيساريه» في الموساد بإعداد خطّة اغتيال الأخ أبي جهاد، وأعطيت مهمّة قيادة فريق التّنفيذ لنائب رئيس هيئة الأركان في الجيش الإسرائيلي آنذاك (ايهود باراك) الّذي شارك سابقاً في عمليّة عينتبي، والّتي أشرنا إليها كذلك في عمليّة اغتيال القادة الثّلاثة ، وشارك باراك في التّنفيذ كلاً من :

- الجنرال يؤاف غالا نت الّذي أصبح قائد المنطقة الجنوبيّة فيما بعد ومرشّحاً لرئاسة هيئة الأركان، وكان على رأس المجموعة المكونه من (٣٦) منفّذاً.

- الجنرال يوسي كوركن قائداً للوحده البحريّة (١٣) المشاركة في العمليّة، والّذي أصبح فيما بعد قائداً للقوّة البحريّة الإسرائيليّة، لكنّه قتل في لبنان في العمليّات البحريّة.

- الجنرال رام روتنبرغ الّذي أصبح قائداً لقاعدة حيفا في سلاح البحريّة الإسرائيليّة.

- موشيه يعلون رئيس هيئة الأركان الإسرائيليّة الّذي أشرف فيما بعد على سير العمليّة بالتّعاون مع (شبتاي شبيط) نائب رئيس جهاز الموساد آنذاك. وقد وردت هذه المعلومات في صحيفة معاريف الصّادره في ٢٠٠٨/٤/٢م.

من هو أبو جهاد
الّذي حشدت إسرائيل كل أجهزتها لإغتياله؟

هـو القائـد الرّمـز البطـل خليـل إبراهيـم محمـود الوزيـر مـن مواليـد عام ١٩٣٥م في مدينـة الرّملـة في فلسـطين المحتّلـة غادر الرّمله مـع عائلته عام ١٩٤٨م، وحمـل النّكبـة في قلبه وعقلـه وفكره لاجئـاً مع عائلتـه إلى غـزّة... وكان يراقب ما يجـري في وطنـه الّذي كان مكبّـلاً باحتـلال بريطـانيّ، ومن ثـمّ احتـلال إسرائيليّ صهيونيّ.

درس في جامعـة الإسـكندريّة، وذهـب إلى المملكـة العربيّـة السّـعوديّة الّتي كانـت أوّل محطّـة عمـل له بعـد تخرجّـه، ولكنّـه مرض هنـاك ولم يسـتمرّ، فذهب إلى الكويـت، وبـقي فيهـا حـتى عام ١٩٦٣م. وهنـاك التـقى يـاسر عرفات، وأسّسـا معـاً حركـة فتـح في أوّل اجتمـاع لهمـا ... وتلاه اجتمـاع مع ثلاثة آخرين ليشـكل الخمسـة عمليّة تأسـيس حركـة فتح.

وفي عام ١٩٦٣م غادر الكويـت إلى الجزائـر ليتسـلّم أوّل مكتـب لحركـة فتح كمـا ذكرنـا سـابقاً، وأسّـس هـذا المكتـب، وتسـلّم مسـؤوليّة إدارتـه، ونسـق مع الحكومـة الجزائريّـة في عقـد دورات عسـكريّة، وإقامـة معسـكرات تدريّبيـة للفلسـطينيين عام ١٩٦٥م، حيـث أنشـأ مقـرّ القيـادة العسـكريّة، وكلّـف بملّـف طلائـع الخلايـا الفدائيّـة في داخـل فلسـطين.

شـارك في حـرب عام ١٩٦٧م وقـام بعـدّة عمليـات ضد الجيـش الإسرائيلي في منطقـة الجليـل الأعلى الّتي سـبق وذكرناهـا، ثمّ تولّى مسـؤوليّة القطـاع الغربيّ بعد استشـهاد القائـد كمال عـدوان عام ١٩٧٣م.

عكـف على تطويـر قـوّات فتـح وإرسـال العديـد مـن المقاتلـين مـن لبنان إلى الوطـن المحتّـل وأشـهرها عمليّـة دلال المغـربيّ. كان له دورٌ مركـزيّ ومؤثـرٌ في معركـة صمـود بـيروت عام ١٩٨٢م الّـتي اسـتمرّت (٨٨) يومـاً .

خليـل الوزيـر هـو عضـو في المجلـس الوطـنيّ الفلسـطينيّ وهـو عضـو في المجلـس المركـزيّ الفلسـطينيّ، وعضـو المجلـس العسـكري الأعلى للثّـورة الفلسـطينيّة، ونائـب القائـد العـامّ لقـوّات الثّـورة الفلسـطينيّة... وهـو المهندس الأوّل للانتفاضـة الفلسـطينيّة الأولى/ثـورة الحجـارة.

هـذا هـو أبو جهـاد الّذي كلّـف إسرائيل جنـوداً أكثر مـن الجيـوش العربيّة عام ١٩٦٧م، هـذا هـو أبـو جهـاد الّذي كان يـؤرّق القيـادة الإسرائيليّة ليـل نهار، هذا هـو صاحـب البندقيّـة والحجر.

وحسـب مـا ورد في صحيفـة معاريـف الإسرائيليـه في ٢٠٠٨/٤/٤م فإنه وصلت قبـل تنفيـذ العمليّة بيومـين (مجموعة قيسـارية) التّابعه للموسـاد الإسرائيـلي، وفور الوصـول انقسـمت المجموعـة إلى مجموعتين على النّحـو الآتي :

- المجموعـة الأولى كانـت مهمتها اسـتئجار السّـيّارات وقيادتها ذهابـاً وإياباً من أجـل اسـتقبال فريـق التّنفيذ عند الشـاطئ وتعـود مع الفريـق المنفّـذ. وبالطّبع مـع العمـلاء الإسرائيليـين الّذيـن وجـدوا داخـل الأرض التّونسـيّة منـذ وصول قـوات م.ت.ف بعـد الخـروج مـن بـيروت وهم كثر.

- قامت المجموعة بالفعل باستئجار سيّارتي فوكس فاجن نوع(ترانسبورتر) حملتا لوحتين بأرقام (تي لاي ٤٨٣٢٨) و (تي آي ٥٣٨٤٠٥)، وكذلك سيّارة (بيجو ٣٠٥) تحمل الرّقم (تي آي ٢٥٠٥٦٦)، وكلّ سيّارة من هذه السّيّارات تمّ استئجارها من شركة مختلفة، وكانت أسماء المستأجرين كما طهرت في جوازات سفرهم اللبنانيّة المزوّرة هي :

جورج نجيب، وعايش السّريديّ، والمرأة عواطف علّام.

- المجموعة الثّانيّة تخصّصت بمراقبة منزل (الأخ أبو جهاد)، وتبقى في تونس بعد التّنفيذ وتغادر عن طريق الجوّ فيما بعد أمّا القوة المنفّذة للعمليّة فكانت خمس سفن صاروخيّة متّجهة إلى تونس، وكانت غرفة عمليّات قائد العمليّة أيهود باراك في إحداها.

توقّفت السّفن في عرض البحر على مسافة (٢٥) ميل بحري؛ أي ما يعادل (٤٦) كيلو متراً خارج المياه الإقليميّة التّونسيّة، وانطلقت طائرات حربيّة مقاتله وهجوميّة وحلّقت عالياً بجاهزية الهجوم. وضم فريق التّنفيذ (٣٦ منفذاً). يقول الموساد:» أقلع عدد من طائرات بودنغ (٧٠٧) التّابعة لسلاح الجوّ الإسرائيليّ من قاعدة تقع جنوب تل أبيب كانت إحداها تقلّ رئيس الوزراء وإسحق رابين وعدداً من كبار الضباط الإسرائيليين، وكانت على اتّصال دائم عبر اللآسلكي خاص بفريق الاغتيال الّذي اتّخذ أفراده مواقعهم بقيادة عميل اسمه الرمزي (سورو)، وكانت الطّائرة الأخرى مكدّسة بأدوات المراقبة والتّشويش، وكان هناك طائرتان أخريان تنقلان خزانات الوقود على ارتفاع شاهق. وفوق الفيلا حام أسطول الطّائرات، وهو يتابع كلّ حركة على الأرض عبر تردّد لآسلكيّ.

وللتّنفيذ انزلقت القوراب المطاطيّة من سفن الصّواريخ، ودخل إلى كلّ واحد منها مقاتلان من الوحده البحريّة، وستّة مقاتلين من دوريّة هيئة الأركان.

اقتربت القوارب إلى مدى قريب جدّاً من السّاحل، وانتظرت حلول الظّلام، الّذي كان دامياً لعدم وجود قمر، وبعد ذلك اندفع من القاربيين الأولين مقاتلو وحدة بحريّة مدججون بالسّلاح، واقتربوا بهدوء من الشّاطئ، ونزلو على الشاطئ وأمنوّه مع تواصل لآسلكي، وبعد ذلك التقوا مع رجال الموساد الّذين انتظروه مع السّيّارات، وكان الشّاطئ آمناً.

أبحرت القوراب إلى عمق البحر إلى منطقة آمنة، وحملت السّيّارات عناصر وحدة قيساريه من الرّجال والنّساء، ومجموعة من المحاربين الّذين سيسيرون في الشّارع مثل مجموعة من الرّجال والنّساء الّذين يتجوّلون ببراءة لبدء الهجوم، حيث بدلّوا ملابسهم، وانتشروا في المكان. وللتأكّد من وجود أبو جهاد في المنزل قامت القوات الإسرائيليّة باقتحام منزل المحامي فايز أبو رحمه الّذي تربطه صلّة قرابة مع أبو جهاد، وكان هدف الاعتقال أن يكون ذريعة لإجراء مكالمة هاتفيّة للتحقّق من وجود (أبو جهاد) في المنزل، وهكذا قام أحد أفراد وحدّة الاتّصالات الّذي كان يتقمّص شخصيّة عربيّه، وأجرى اتّصالاً عن طريق اوروبا مع منزل (أبو جهاد) صائحاً: « لقد اعتقلوا المحامي يا (أبو جهاد)»، وبدأ يردد عبارات متواصله من الشّتائم، وعندما جاء صوت (أبو جهاد) للردّ على المتكلم وتهدئته أطلقت وحدة الاتّصالات تشويشاً على صوت المتحدّث، وتمّ قطع المكالمة، وهنا تمّ التّأكد من وجود (أبو جهاد) في البيت، وأبلغ فريق التّنفيذ بذلك.

أنزلـت القـوراب، وكان في كلّ قـارب اثنان مـن الوحده البحريّـة، وأربعه من الوحـده الخاصّـه لهيئة الأركان ، واقتربت القوارب من الشّـاطئ عنـد نقطة محدّدة، وانطلـق قاربـان نحـو الشّـاطئ للتّأكّـد من عـدم وجود مـن يعـترض المجموعات، وكذلـك للالتقـاء مـع أعضـاء (مجموعـة قيسـاريه) المكلفين بنقـل القـوّة المنفذه إلى مـنزل (أبـو جهـاد) ، وإعادتهـم بعـد التّنفيـذ إلى القـوارب الّتي تحمـل ملابس للقـوة المنفّـذة، وهو الـزي يرتديه رجـال وحدة مكافحـة الأرهاب التّونسـيّة، وهذا مـا اكدّتـه ابنـة أبي جهـاد، وهـو: « إنّ المهاجمين كانـوا يرتدون زيّ رجـال مكافحة الإرهـاب التّونـسيّ» ... وعنـد وصـول القاربيـين، والالتقـاء مع مجموعة قيسـاريه أعطيت الإشـارة للقـوارب الأخـرى بالتّقدّم.

وفي هـذا الوقـت كانـت مجموعة الموسـاد الأخرى تراقـب منزل (أبـو جهاد) للتّأكّـد مـن عدم مغادرتـه للمنزل لأي سـبب قبل وصـول القوّة المنّفـذة. وعندما وصلـت السّـيارات الّـتي تقـل كانت القـوّة المنفّذه إلى مـكان قريب مـن منزل (أبو جهـاد) نزلـت مجموعـة من سـتّة أفراد، حيـث كان اثنـان يرتديان ملابـس مدنيّة و كان أحدهمـا متنكّراً بـزيّ امرأة.

جريمة الاغتيال

كانت خطّة تنفيذ الجريمة مدروسه، فقد تقدّم اثنان من قوّة التّنفيذ إحداهما بزيّ امرأة، وبقي أربعة على أهبة الاستعداد من أجل الهجوم، وتقدّم الّذي على شكل امرأة - وهو يحمل خارطة كأنه يبحث عن مكان ما ويريد معرفة ذلك المكان - من خلال سؤال للحارس الّذي يجلس في السّيّاره، وعندما وصل إليه تقدّم الّذي يحمل علبة كأنّها حلويات، وأخرج مسدساً كاتماً للصّوت وصوّبه نحو الحارس مصطفى فأرداه قتيلاً، ثم أعطى الأربعة الآخرين الإشارة للتّقدم، وكان الضّحية الآخرى أمامهم حبيب البستانيّ التّونسيّ، وبعد ذلك قامت القوّة التّنفيذيّة بخلع الباب لذلك المنزل المكون من طابقين، وصعد أحد أفراد القوّة المهاجمة بسرعة كبيرة إلى الطّابق الثّاني حيث غرف النّوم ومنها غرفة أبو جهاد. كان المهاجم يعرف تفاصيل الغرف مسبقاً من خلال جواسيسهم. كان أبو جهاد قد أحسّ بالحركة بعد خلع الباب، فركض إلى خزانته وأخرج مسدسه ، وركضت زوجته متساءلة، فدفعها أبو جهاد إلى الخلف، وحاول الاندفاع إلى خارج الغرفة لمعرفة ما يجري، وأصبح على باب الغرفة، لكنّه لم يخرج ، ثمّ هاجمه ذاك الّذي ذكرنا وأطلق الرصاص عليه، فسقط على الأرض ،وحاولت زوجته الاقتراب منه، وفأمرها القاتل بالعودة إلى الخلف، وبدأ الطّفل نضال الّذي كان عمره سنتن بالصّراخ، وهو الّذي حمل اسم أخيه الّذي سقط من بلكون بيتهم في دمشق، وخرجت ابنته حنان من غرفتها فصرخ أحد المهاجمين:» اذهبي عند أمّك».

وحسب الرّوايّة الإسرائيليّة بعد انتهاء عمليّة الاغتيال انسحبت القوّة المهاجمة بسرعة فائقة حيث توجد السّيّارات الّتي انطلقت أيضاً بسرعة نحو القوارب الموجودة على الشّاطئ، والّتي حملتهم ثانيّة نحو السّفن الرّاسية على بعد في البحر.

وفي هذا الوقت قام أحد أعضاء الموساد المشاركين في العمليّة بالاتّصال بمركز الشّرطة المحليّة عبر الهاتف مدّعيّاً أنّ المهاجمين شوهدوا يتوجّهون نحو مدينة تونس، لكنّ الخادمة في المنزل/ السّيّدة الفرنسيّة كانت قريبة من بيت أبي جهاد واتّصلّت بالشّرطة التّونسيّة رقم (١٩٧) منذ اللحظات الأولى، لكنّ الأمنّ التّونسيّ لم يجب.

الحرب العراقيّة على الكويت

إنّ من أسوأ الخطوات الّتي قام بها الرّئيس صدّام حسين بعد استنزاف القدرة العراقيّة الهائلة في حربه مع ايران هي الهجوم على الكويت تنفيذاً لإشارات أمريكيّة متعمّدة لتدمير العراق الّذي يشكّل القوّة العربيّة الأهمّ في منطقة الشّرق الأوسط إذا ماتمّ مقارنتها مع القوّات العربيّة الأخرى.

لقدّ كان الابتزاز هو الصّفة الأولى السّياسيّة العراق مع الدّول الخليجيّة والعربيّة الأخرى، ولم يكتفِ صدّام حسين بالمليارات الّتي حصل عليها من الإمارات العربيّة والمملكة العربيّة والسّعوديّة والكويت الّتي كانت على شكل توريط لصدّام حسين من أجلّ تدمير العراق وإيران معاً. وهو اليوم وقدّ استنزف تماماً ولم يكن يعلم ما تُعد له الولايات المتّحدة الّتي أشعرته عن طريق سفيرة الولايات المتّحدة في العراق (ايريل جلاسبي) الّتي التقت الرّئيس العراقيّ في ١٩٩٠/٧/٢٥ أيّ قبل الغزوّ العراقيّ للكويت بأيّام، والّتي قالت له:

«الرّئيس جورج بوش شخصيّاً يريد أن يطوّر ويعمّق العلاقات مع العراق.. وليس لدى الإدارة الأمريكيّة ما تقوله بخصوص الاختلافات العربيّة، مثل موضوع حدودك مع الكويت، ونحن ليس لدينا اتّفاقيّة دفاع مشترك مع الكويت، وكلّ ما نأمل فيه أن تحلّ هذه الأمور سريعاً»، وهذا ما ورد في (جريدة التّايمز يوم ١٩٩٠/١٠/١).

ابتلع الرّئيس صدّام حسين الطّعم بكلّ بساطة، وبدون ردّة فعل أو تفكير اعتبر أنّ أيّة خطوة له قادمة هي مقبولة من الولايات المتّحدة .

ومن هذا المنطلق أبدى تشدّداً في مسألة حصوله على تعويضات من دولة الكويت بحجّة أنّ الكويت زادت إنتاجها النّفطيّ للتّأثير على السّوق العالميّ، وضمان تدنيّ أسعار النّفط ؛ لحرمان العراق من عوائد ماليّة يعوّض من خلالها خسائره في الحرب مع إيران... أضف إلى ذلك حجّة أخرى وهي قيام الكويت بسحب نفط عراقيّ من حقلّ الرّميلة الحدوديّ.

لا أريد التّعليق على هذه الحجج، ولكنّ يحضرني قصّة الذّئب والخروف، حيث كان الذئب عند رأس منبع الماء والخروف في أسفلّ الجّبل، فقال له: «أنت تعكّر عليّ الماء»، ومعروف آنذاك كميّة إنتاج الكويت بالنّسبة لا وبيك، وأيضاً كيف تتمّ عمليّة سحب النّفط في الرّميلة.

وكالعادة استشعر الرّئيس عرفات الخطر القادم، وفهم الرّسالة الامريكيّة والولاء الخليجيّ، والمطبّ العراقيّ الّذي واصل تشدّده في المسائل السّابقة، فقام عرفات بزيارات مكوكيّة بين العراق والكويت آملا في نزع فتيل الحرب الّتي كانت تهدف إليها الولايات المتّحدة وخاصّة وأنّ صدّام حسين كان يعتقدّ أنّه بعد وقف الحرب مع إيران لديه قوّة كبيرة جدّاً، وأنّ أمره سيطاع وسيواجه العالم كلّه... وهكذا كان يتصوّر.

عندما التقى عرفات صدّام حسين بشكل عاجل حاول أن يشرح له مخاطر الحلّ العسكريّ، وطلب من صدّام منحه فرصة ليحاول إيجاد حلّ لهذه المشكلة، فكان ردّ صدّام: «قلّ لهم (أيّ الكويتيين) نحن طلّاب حقّ، ولا نريد سفك دماء

عربيّـة، نريـد حقوقنا لا أكـثر ولا أقلّ، وإذا رفضـوا فعليهم أن يعلمـوا أنّ الكويت سـتصبح في قبضتنا في أقلّ من سـاعتين».

انتقـل عرفـات إلى الكويـت حيـث قابـل الأمـير الشّـيخ جابر الأحمـد الّذي حـاول إقناعـه بتشـكيل لجنة لإيجاد حـلّ في لقاء جـدّه، كانت إجابة الأمـير فوقيّة، وتـوحيّ لعرفـات بعـدم التّدخـل؛ لأنّ الموضوع أكبر بكثـير من وسـاطة عرفات.

بعـد ذلـك قـام عرفـات بلقـاء وليّ العهدّ الشّـيخ سـعد العبدالله في رئاسـة الـوزراء حيـث تحـدّث ووليّ العهـد عـن آخـر محاولـة لإيجـاد حـلّ في لقـاء جّده الّذي كان مقـرّراً، وعندمـا حـذّر عرفـات مـن انعكاسـات نشـوب حـرب أجابـه وليّ العهـد: «الخـبراء يقولـون أنّـه لـن يتمكّـن أيّ صـدّام حسـين- مـن غـزوّ الكويـت إلّا بعـد مـرور أربعـة أيّـام، وسـتتدخّل خـلال الأيّـام الأربعـة قـوى أخـرى للدّفـاع عـن الكويـت» وبالطّبـع كان الشّـيخ سـعدّ العبـدالله وليّ العهـد على علـم باسـتعدادات الولايـات المتّحـدّة، والمملكـة العربيّـة السّـعوديّة، ودول مجلـس التّعـاون الخليـجيّ، وبعـض الدّول العربيّة الأخـرى، لكـنّ صدّاماً اسـتبق ذلـك، وفي السّـاعة الثّانيّـة والنّصـف من صباح يـوم ١٩٩٠/٨/٢ اجتاحـت القوّات العراقيّـة الأراضيّ الكويتيّـة، وكانـت هـذه أغـبى خطـوة قام بهـا النّظـام العراقيّ؛ لأنّ أمريـكا جرّتـه إلى هـذا القـرار، وقامـت بحشـدّ تحالـف دوليّ موّلتـه الدّول الخليجيّـة، ويزيـد عـدد دول التّحالـف عـن ثلاثـين دولة، وتـمّ حشـد أكثر من (٤٠٠٠٠٠) جنـديّ ، وبالطّبـع مـن كلّ القـوّات العسـكريّة لحلـف الناتو وعلى رأسـه أمريـكا مع تشـويش كامـل لأيّة اتّصـالات داخليّـة عسـكريّة عراقيّـة، وتجميد كلّ القـدرة العسـكريّة العراقيّـة.

لقـدّ سـبق الحـرب على العـراق مـن التّحالـف الدّوليّ حـرب أمريـكا على

ليبيا الّتي كانت تمتلك من الاسلحة والعتاد والأجهزة أكثر بكثير من العراق وحتّى الدّول العربيّة الأخرى، وعندما جاءت الطّائرات الأمريكيّة لقصف الأهداف الحيويّة في ليبيا تعطّلت الدّفاعات الجويّة كافّة، وتعطّلت شبكة الهواتف المدنيّة، ولم يعدّ يفيد الطّرف الليبيّ سوى رشاشات الدّوشا والشّيكا رباعيّة الرّشّاشات.

إنّ الأدهى من كلّ ما سبق أنّ الاستخبارات العسكريّة العراقيّة لم يكنّ في واردها أنّ هناك هجوماً شاملاً كاملاً قويّاً جدّاً على العراق، فلقدّ كانت قناعة العراقيين إنّه في حال نشوب حرب سوف يوقعون خسائر بشريّة في القوّات الامريكيّة، وأنّ وصول توابيت الجّنود والقتلى إلى الولايات المتّحدة سيكون كافياً لمطالبة الشّعب الأمريكيّ بسقوط بوش معتمدين على الذّاكرة الخاصّة بحرب أمريكا في فيتنام الّتي فرضت نفسها على المحتلّ الأمريكيّ وكان العالم كلّه مع فيتنام، ومعظم الشّباب الأمريكيّ، وصمود الشّعب الفيتناميّ فرض على ألولايات المتّحدة الانسحاب بدون قيدّ أو شرط.

اعتقدّ العراقيّون وكلّ أجهزة المخابرات لديهم بأنّ ضربة عسكريّة للعراق سترفع درجة الاستنفار في الخليج، وبالتّالي سترفع سعر برميل البترول إلى مئة دولار، وهذا السّعر سيضرّ بالاقتصاد العالميّ ، وسيؤثّر على الدّول الصّناعيّة وخاصّة أوروبا، اعتقدوا كذلك أنّ التّنظيمات المرتزقة الّتي لديهم كتنظيم أبي نضال وأبي العبّاس وعدد من تنظيمات الدّول الّتي كانت منضويّة تحت إطار مكتب حركات التّحرّر في العراق قادرة على توجيه ضربات موجعة للمراكز الحيويّة في العالم، وإشعال أوروبا في عمليّاتهم الخاصّة. وفي حال حصل ضرب العراق بقصف الطّائرات أو الصّواريخ فإنّ العراق سيقوم بقصف إسرائيل،

وبالتّـاليّ فـإنّ إسرائيل سـتدخل الحرب، وهـذا الواقـع سـيحرج الدّول العربيّة الّتي شـاركت في التّحالـف الدّوليّ ضـدّ العراق؟.

مـن ناحيـة أخرى اعتقدت القيـادة العراقيّـة أنّ إيران ستشـارك في ردّ الهجوم الأمريكيّ إن حصل من أجل الحاق الهزيمة بالشّـيطان الأكبر كما كانت الشّـعارات تـتردّد في إيـران، وكإغـراء لإيران بالدّخـول في صدّ هجـوم أمريكا وحلفائها أرسـل العـراق معظـم طائرانه الحربيّة بـلّ والمدنيّة إلى طهـران واثقين من مشـاركة إيران في الحـرب ضـدّ الحلفاء، لكـنّ ايران الّـتي خاضت حربـاً دمويّة لمدّة ثماني سـنوات مع نظـام صـدّام حسـين والّـتي راح ضحيّتها مئـات الآلاف من الايرانيين بدون سـبب سـوى التّحريـض الخليـجيّ ضـدّ ايـران، وتنفيـذاً لمصالـح الغـرب والنّظام العـراقيّ، قامـت بمسـاندة قـوات التّحالـف الّذي تقـوده أمريـكا، وأدخلـت قـوّات المعارضة العراقيّـة المسـلّحة الموجـودة على أراضيها مـن الطّائفة الشّـيعيّة كقوّات بـدر وقوّات الصّدرللمشـاركة في القتـال مع القوّات الأمريكيّة لإسـقاط صدّام حسـين.

إنّ كلّ مـا سـبق دفـع القيـادة العراقيّـة إلى مزيد مـن التّعنت وإسـاءة تقدير الموقـف، ولهـذا عندما أراد صدّام حسـين أن يلعب لعبة وطنيّة على مسـتوى الوطن العـربيّ قـام باقتراح أنّه سينسـحب مـن الكويت إذا انسـحبت إسرائيل مـن الضّفة الغربيّـة الّذي لـم يجـدّ أيّ تجاوب لا مـن العـرب ولا أمريكا، وكذلـك عندما كان يعتقـد أنّ إيـران سـتحارب إلى جانبـه، وجـد أنّ ايـران بـكلّ قوتهـا وحلفائها من المعارضـة العراقيّـة دخلـوا في القتـال ضـدّ النّظام العـراقيّ. أمّـا نحن فقـدّ وقعنا في حالـة مـن عدم التّـوازن مـن وجهة نظـر الآخرين.

لقـدّ شـعر عرفـات بالمؤامـرة الأمريكيّـة، وحاولـت بعـض الدّول العربيّـة زجّ اسـم منظّمـة التّحريـر الفلسـطينيّة في موقـف تأييـد الاحتـلال الأمريكـيّ،

وآخريـن مشـاركين لصدّام حسـين في عنـاده واحتـلاله للكويت. ولكـنّ عرفات كان واضحـاً وصريحـاً، فقـدّ كان رافضـاً للعـدوان العـراقيّ على الكويـت، وداعمـاً للحـلّ الغـربيّ، ورافضـاً أيضـاً للتّدخـل الأجنبيّ.

وخـلال أوّل لقاء بـين (أبو عمّار) وصدّام حسـين بعد غـزو للكويت خاطبه يـاسر عرفـات قائـلاً: «يكفينـا قضيّـة فلسـطين واحـدة يـا سـيادة الرّئيـس، ولا يجـوز لقضيّـة أخرى أن تشـغل العـرب جميعاً عـن القضيّـة الفلسـطينيّة المركزيّة، وبـدأت حكايـة تحريـر الكويـت هي الشّـأن الّذي لا شـأن بعـده لدى دول المنطقـة وكذلـك لدى العالـم بأجمعه».

حـاول يـاسر عرفـات أن يقـدّم صيغة أو موقفـاً عربيّـاً من أجل عـدم نزول قـوّات أجنبيّـة على الأرض العربيّـة لـكيّ تشـنّ حرباً على العـراق، وفي نفـس الوقت مـن الـضّروريّ العمـل على سـحب القـوّات العراقيّـة من الكويـت. لكـنّ الإدارة الأمريكيّـة كانـت تتحـرّك لمنـع أيّ دور عـربيّ في الحـلّ وكان النّائـب الأمريكـيّ على تواصـل دائم مـع القيـادة السّـعوديّة والمصريّة.

حـاول الرّئيـس عرفـات وبـذل كلّ جهـده مـن أجـلّ ايجـاد حلّ سـلمي، ولم تتوقـف رحلاتـه المكوكيّـة مـن أجل إقنـاع القـادة العـرب وكاد أن يصـل إلى نتيجة. فلقـدّ تـمّ الاتّفـاق على عقـدّ قمّة عربيّـة في القاهـرة يـوم ١٩٩٠/٨/١٠ لبحـث الوضع، ووضـع إقـرار مـشروع سـياسيّ، وفكـرة إرسـال قـوّات عربيّـة إلى الكويـت لنحـلّ محـلّ القـوّات العراقيّـة تمهيداً للوصـول إلى حلّ نهـائيّ. لكـنّ الضّغـوط الأمريكيّة فرضـت نفسـها بحرفيّـة الموقـف الأمريكـيّ والّذي لـم يترك مجـالاً لعرفـات لمجرد طـرح الحـلّ السّـياسيّ. وقدّ عقـدت القمّـة يـوم ١٩٩٠/٨/٩، وفوجئ الرّئيـس عرفات في القمّـة الاسـتثنائيّة هـذه بوجـود مـشروع قـرار جاهـز وكان يريـد أن تشـكّل لجنة

مساعيّ حميدة لإرسالها إلى العراق لسحب القوّات العراقيّة من الكويت، لكنّ أغلبيّة الأعضاء بعد مشاوراتهم لم يوافقوا على تشكيل هذا اللجنة، وقدّ دعم موقف عرفات كلّ من عليّ عبدالله صالح، و العقيد معمّر القذافيّ، والملك حسين، الرّئيس الشّاذليّ بن جديد وكذلك نائب الرّئيس صدّام حسين طه ياسين.

وعندما سأل الأخ أبو عمّار النّائب طه ياسين: « هل أنتمّ مستعدون أن تسحبوا القوّات العراقيّة إذا جاءت لجنة المساعيّ الحميدة إلى بغداد، وطلبت ذلك من صدّام.؟!

فقال: «نعم».

لكنّ رئاسة القمّة الّتي كانت بيد الرّئيس حسنيّ مبارك اتّخذت إجراء التّصويت قبل الانتهاء من الاتّفاق المذكور، وتمّ التّصويت على مشروع قرار يدين العراق، وقدّ نال هذا القرار (١١) صوتاً.

الفلسطينيون في الكويت

دفعت النّكبة الفلسطينيين إلى الهجرة إلى دول عدّة بحثاً عن الحياة والعمل، اضافة إلى الّذين اختاروا مخيّمات اللجوء، وكان فريق من أصحاب الجّبرة والكفاءة والتّعليم زأصحاب الحرف قدّ توجّهوا إلى دول الخليج ومنها المملكة العربيّة السّعوديّة والكويت وقطر، وكانت الكويت ودول الخليج مازالت خاضعة للاستعمار البريطانيّ. كانت الحياة صعبة جدّاً، ولم تتوفّر وسائل الحياة المريحة، وكان فصل الصّيف حارّاً جدّاً، فالحرارة والرّطوبة كانت ترهق الأجساد بسبب عدم وجود المكيّفات والثلاجات في ذاك الزّمن، ولكيّ يستطيع الشّخص النّوم فإنّه كان يرّش اللحاف بالماء. وفي الشّتاء كانت تبدأ القصّة العكسيّة؛ فالبرد قارص جدّاً لأنّ المنطقة صحراويّة والبيوت مبنيّة من الطّين والطّوب، لكنّ هجرة الفلسطينيين إلى الكويت أحيت دورة العمل في الكويت، وكذلك نمّت الكويت في قطاعات التّعليم والصّحة والتّجارة والعمران. وفي العام ١٩٦١ استقلّت الكويت، وأصبحت دولة، وأسهم البترول في إحداث قفزة نوعيّة حضاريّة.

ابتهج الفلسطينيون باستقلال الكويت، وكانوا أكثر الجّاليات توافقاً مع حكّام الكويت وشعبها، كما أنّهم وجدوا في الكويت نصيراً لقضيّتهم.

على أرض الكويت انطلقت بداية العمل الوطنيّ الفلسطينيّ، وتشكّلت أولى خلايا فتح وانطلاقة مرحلة تأسيسها الأولى، ووجد أيضاً على أرضها

مؤسّسو حركة فتح وكان أبو عمّار وأبو جهاد وأبو إياد من الذّين عملوا في الكويت، وكانوا مؤسّسين أوائل.

لقدّ ساهم الفلسطينيون في مجالات الحياة في الكويت؛ كان المعلّمون يلعبون دوراً في نهضتها التّعليميّة رغم كلّ الصّعوبات الّتي ذكرنا، وإلى جانب التّعليم كانت قطاعات الأطّباء والصّيادلة والمهندسين وكذلك قطاع التّجارة والذي أبدع فيه الفلسطينيون.

وعندما وصلت مجلّة (فلسطيننا- نداء الحياة) في أعدادها الأولى –كان لها إصدارات أخرى فيها مجلّة الصّخرة، ومجلّة الحصاد الصّادرتين عن حركة فتح في الكويت، والتي ساهمت في تعريف الجّمهور الكويتيّ في حركة فتح. ومن الأسماء الّتي تكرّرت إلى جانب ياسر عرفات وخليل الوزير، وصلاح خلف، وفاروق القدّوميّ، وخالد الحسن، وسليم الزّعنون، وعبدالله الدّنان، ومحمود مسودة، وعلي الحسن، ومحمود الوزير، وفتحي عرفات، ومختار، وعلي جادالله، ومحمد حرب، وموسى قنيبي. وبعثت هذه الأسماء ذاكرة للكويت رغم انتقال الأغلبيّة إلى سوريا كقاعدة آمنة على جانب حدود الارض المحتلّة.

لقدّ بلغ عدد الفلسطينيين آنذاك (٣٥٠ ألف نسمة) كانوا سنداً للثّورة، ويردفون الثّورة بالمال بعد أن اقتطفوا نسبة مئويّة من رواتبهم لصالح دعم الثّورة وصمود الأهل تحت الاحتلال.

وليس بعيداً عن الواقعيّة الّتي وردت في مذكّرات (أبو إياد) الّتي يشير فيها إلى أنّ الثّورة الفلسطينيّة وخاصّة حركة فتح مع دول الخليج العربيّ وبالذّات الكويت والسّعوديّة كانت اكثر اتّزاناً واستقراراً في علاقاتها من الدّول

«الثّوريّة» في العالم العربيّ، ويرى أبو إياد أن الكويت وفّرت لفتح الحاضنة الأولى الماليّة الّتي بدأت تتدفّق على فتح منذ العام ١٩٧٢.

لقدّ جاء غزوّ العراق للكويت مأساة للفلسطينيين والمقيمين لفترة طويلة في الكويت بشكل خاصّ، وأيضاً شؤماً على الثّورة الفلسطينيّة، فلقدّ خسر الفلسطينيون المقيمون أموالهم وأعمالهم واستقرارهم، ولأنّ الفلسطينيين لم يصوّتوا على القرار الكويتيّ الّذي بفسح المجال للتدّخل الأجنبيّ في جامعة الدّول العربيّة، أخذت الكويت موقفاً معادياً من منظّمة التّحرير الفلسطينيّة بلّ ولكلّ الفلسطينيين حتّى الّذين قاوموا الإحتلال العراقيّ مع المجموعات الكويتيّة المقاومة، وأيضاً أخذت الكويت موقفاً معادياً ؛ لأنّ عرفات لم يسمح بمشاركة ولو فصيل في التّحالف الدّوليّ ضدّ العراق، ولم يكنّ منطقيّاً ولا بأيّ شكل أن يقاتل الفلسطينيون دولة معادية لإسرائيل كالعراق.

لقدّ كان الفلسطينيون الحلقة الأضعف في هذا الوسط العربيّ، فلم تصوّت تونس أو اليمن أو الجّزائر ودول عربيّة عديدة، لكنّ اللوم كان ينصبّ على الفلسطينيين، فلقدّ أعادت العلاقات مع كلّ الدّول العربيّة إلّا مع الفلسطينيين، وكانت توجّه الاهانات لأيّ فلسطينيّ يدخل إلى الكويت تحت أيّة ذريعة.

لقدّ جاء ترحيل الفلسطينيين من الكويت بعد تحميلهم مسؤوليّة ما حدث بالرّغم من أنّهم كانوا ضدّ الاحتلال، بلّ أنّ عدداً كبيراً منهم قدّ انضمّ للمقاومة الكويتيّة كما أشرنا وقاتل ضدّ الاحتلال . لقد كان قرار التّرحيل مجحفاً وظالماً ضدّ الشّعب الفلسطينيّ الّذي ساهم إلى حدٍ كبير في نهضة الكويت، والّذي كان دائم الشّكر للكويت لموقفها الداعم للثّورة الفلسطينيّة،

وهـو موقـف الفلسـطينيين في أيّـة دولـة عربيّـة يوجـدون فيهـا، حيـث كانـوا ويسـاهمون في بنـاء نهضتها وعلمهـا ومعرفتها، ولـكلّ من يقدّم خدمة ومسـاعدة للشّـعب الفلسـطينيّ وفي أيّ مجـال.

لقـدّ كان أحـد مبـادئ حركة فتح «عـدم التّدخل في شـؤون الدّول العربيّة، بـلّ كانـت فتـح تدعـم أيّ موقـف يخـدم الموقف العـربيّ، لقـدّ سـاهمت الكويت والدّول الخليجيّـة الأخـرى كالسّـعوديّة والإمـارات وقطـر ووقفـت مـع العـراق داعمـة له في حربـه مـع ايران لقـدّ دعمته بالمال والسّـلاح الاعـلام وكان الخلاف بـين الكويـت والعـراق ماليّـاً ونفطيّاً، وحـاول عرفات بـكلّ جهده المسـاهمة في حـلّ هـذا الخـلاف ، ولم يكـن متحـيّزاً لأيّ طـرف، وهـو الّذي عمـل كلّ جهده لإطـلاق سراح الأسرى الكويتيـين، وردّ عليه طارق عزيز بـأنّ الكويتيين عرضوا على العـراق ٥٠٠ مليـون دولار كان العـراق بأشـدّ الحاجـة لهـا كما أبلـغ عرفات.

وهنـا يجـب التّوقّـف عنـد موقـف الكويـت وعقابه للشّـعب الفلسـطينيّ، فهـلّ وفـاء الفلسـطينيين للعـراق وللكويـت في وقـت واحـد يفرض على الشّـعب الفلسـطينيّ أن يدفـع ثمن ذلـك، ولماذا لم تتخـذّ أيّة اجراءات ضـدّ الدّول العربيّة الّـتي اتّخـذّت نفس الموقـف لمنظّمة التّحريـر الفلسـطينيّة ولم تصـوّت هذه الدّول لقـرار حسـنيّ مبارك والّـتي أشرنا إليهـا كاليمن والجّزائـر وليبيا وتونـس والأردنّ ودول عربيّـة أخـرى، لكـنّ اتّضـح أنّ الكويـت قـدّ وجـدت في الفلسـطينين الحلقـة الأضعـف لممارسـة قوتّها.

إنـني أؤكّـد أنّ الفلسـطينيين لـم يقفـوا يومـاً ضـدّ الكويـت، وأنّ الموقـف الفلسـطينيّ كان يتّمثـل في دعـم وحـده الصّفّ العربيّ الّذي يشـكّلّ دعمـاً للقضيّة الفلسـطينيّة.

السّائح الأستراليّ في تونس ومحاولة اغتياليّ

لم يكن يدور في خلدي يوماً أنّ هناك عميلاً استرالياً يتربّص بي، فأنا لم أعمل في الأجهزة العسكريّة والأمنيّة، لكنّ كنت على معرفة دقيقة ومفصّلة بكلّ ما يجري فيها. في تونس كانت مهمّاتي اقتصاديّة،ومالية وتنظيميّة، وإقامة علاقات اقتصاديّة مع دول صديقة، وتوثيق المعاهدات الّتي عقدتها صامد مع العديد من الدّول، والّتي كانت صنعتها كأنّها دولة كاملة أثناء توقيع تلك المعاهدات... وهذا أعطى زخماً للعلاقات الثّنائيّة الدّوليّة في أفريقيا خاصّة دول أوروبا الشّرقيّة، وأعتقد أنّ وراء محاولة الاغتيال كانت الخطط الإسرائيليّة الّتي كانت تستهدف كلّ كادر أو مسؤول له نشاط أو مساهمات في مسيرة الشّعب الفلسطينيّ.

لازلت أذكر التّفاصيل الكثيرة، لكنّ موجز القصّةهو: كنت أسكن في تونس في منطقة هادئة تكثر فيها أشجار الياسمين والحمضيّات، كانت روائح ذلك الشّارع، المنحدر من أعلى إلى أسفل تغطّي ليلاً كلّ من كان يقطن في الشّارع وكان هناك أيضاً شبه جدران يمكن الجلوس عليها للغريب أو لكبار السّنّ للاستراحة، والجالس هناك يمكنه مراقبة الشّارع كلّه؛ وكلّ من يأتي أو يذهب، ويعرف حتّى أرقام السّيارات ومواعيد حضورها وذهابها.

كنت أحبّ اللوحات التّشكيليّة، وأقتني بعضاً منها، وقد استطعت أنّ أنّقل اللوحات الّتي كانت عندي مثل جمل المحامل (تلك اللوحة الّتي يحمل يحمل فيها العتّال القدس على ظهره بحبل يطوّقها، وهي لوحة الفنّان المّميز

سـليمان منصـور، وكذلك كان لديّ بعـض لوحات رائعـة للفنّان المميّزالفلسـطينيّ الكبيرإسـماعيل شـمّوط وزوجتـه الفنّانة الرّائعه تمام شـموط، وكانـت موضوعاتها فلسـطينيّة بالكامـل... وعندمـا ذهبـت إلى تونـس اخـترت مسـكني وهـو مـنزل لأسـتاذ يـدرّس في جامعـة تونس.

كانـت جـدران المنزل عاريـة، والفراغ واسـع، ورغـم وجود فنّانين تونسـيين رائعـين إلّا أنّ شـاباً أجنبيّـاً أسـتراليّاً كان يبيـع اللوحـات الفنيّة في شـارعنا. ومع تركـيزة على شـارعنا وفي محيـط المـنزل الّذي أسـكن فيـه أصبـح معروفاً لسـكّان الـحي كمـا يقال.

كان الكثـيرون يقفـون عنـده وهـو يعـرض لوحاته، بـل كان كثـيرون يدعونه للدّخـول إلى بيوتهـم، وبعضهـم كان يشـتري منه اللوحـات، وتمكّن مـن الدّخول إلى بيتنـا، وأحـضر معـه عدداً مـن اللوحـات، وتطوّعت أم عـلاء بالقهـوة، ووقفت بجانـبي تلاحـظ كلّ لوحـة، وتبـدي رأيهـا الّذي كنـت اتّفـق فيـه معهـا في بعـض اللوحـات، فـهي تقـوّم اللوحـة مـن ألوانهـا وتناسـقها مـع الجـدران، أمّا أنـا فكنت أبحـث عن اللوحـات ذات الفكرة الهادفة أو الأرض الواسـعة بـكلّ ألوانها... كانت تلـك الزيـارة أوّل زيـارة لهـذا الأجنبيّ، وكنـت أراه فيما بعـد في أول الشّـارع، ولم أفكـر يومـاً أنّ مثلـه يقـوم بعمليـات إرهابيّـة، وأنّ وجوده هو لي شـخصيّاً.

وفي إحـدى المـرّات - وأثنـاء غيـابي- في العمل قـام بعرض بعـض اللوحات على أمّ عـلاء بسـعر أقـلّ مـن قيمـة اللوحـة، وأثنـاء الحديـث المتبـادل اسـتطلع كلّ شيء في البيـت. كان يعلّـق على كلّ قطعـة، وكان يتكلّـم الإنجليزيّـة مـع عربيّـة مكـسرة مـع أم عـلاء حـتّى أنّهـا اعتـادت الحديـث العـربيّ الخاضـع للاتّجاهات الأربعة.

وفي إحدى المرات دخل، وكان يحمل معه وسائل للقتل بدون صوت المسدسات والرّشاشات وانما بحبل خفي، ينفذه من الخلف، ويقوم بعمليّة شنق عندما لا يكون أحد معنا بالغرفه. كان الحرس عندي يراقبون كلّ شاردة وواردة في الشّارع، ولم أكن أحبّ ظهورهم واستعراضهم، لكنّ السّائح الأستراليّ لفت انتباههم. فهو موجوددائماء وكانت عيونه مقروءة لدى الحرس، إضافة أنّ الأمن التّونسيّ أصبح يراقب بدقّة كلّ بيوت المسؤولين، ويتوقّف عند أوّل شبهه، ولهذا ما إنّ دخل بيتي ذلك السّائح الأستراليّ بلوحاته وأراد أنّ ينفّذ عمليّة الاغتيال حتّى كانت حراستي بجانبه، فقام مسؤول الأمن عندي أبو صخر (وهو شاب قويّ مدرّب بشكل جيد، أمسك به بقوّة، وطلب منه عدم التّحرّك إلى أن حضر الأمن التّونسي الّذين حضروا على عجل، واقتيد إلى مركز الأمن التّونسي القريب من منزلي، وهناك اعترف بمحاولة اغتيالي، وأنّ له مدّة طويلة كان يراقب فيها بيتي والشّارع والحراسات وكل شيء، وأوضح أنّه كان يريد قتلي بحبل مصمّم خصيصاً حتّى لا يحدث جلبة أو يلفت انتباه الحرّاس أو سكّان المنطقة.

فوجئت بالمعلومات الّتي قدمها الأمن التّونسيّ، وبدأت أهتمّ بالحراسات عندي؛ لأنّني لم أكن أكترث سابقاً حتّى أنّني أصبحت أناديهم بالأسماء الّتي يحبون أن أناديهم بها، وبالطّبع فقد كان الأخ الرّئيس أبوعمّار أكثر من أبدى اهتماماً، حيث جاءني إلى البيت، وحذرني بضرورة الانتباه وعدم التّساهل وعزز الحراسة على منزلي، وتطوّع عدد كبير من أصدقائي لاستضافتنا في بيوتهم، وبالغ بعضهم في تفسير الخطر الّذي يحيط بي حتّى أنّني بدأت أنظر في وجود النّاس والمحيطين نتيجة حماس أصدقائي في التّطوّع بتقديم المعلومات الأمنيّة من باب الحرص عليّ. ولا أدري فقد كانوا يتلذذون في سرد القصص للاغتيالات،

وكيفيّة مواجهتها، بل نصحوني بقراءة بعض الكتب ، ومنها أشهر الاغتيالات في التّاريخ والأسماء العالميّة، وكذلك الأساليب الّتي تستعملها المخابرات، وكان يلفت انتباهي دور(C.I.A) في عالم الاغتيالات حتى أنّني كنت سعيداً لأنّ فيديل كاستروأفشل كلّ محاولات اغتياله العديده من قبل (C.I.A)، بالطّبع قبلت البقاء في بيت أحد الأصدقاء مدّة ثلاثة أيام، ورغم كلّ وسائط الرّاحة الّتي قدمت لنا،و رغم محاولات أمّ علاء تقديم بعض الخدمات لكنّهم رفضوا.

لكنّني - ورغم الجوّ الفكاهيّ حولي- لم أستطع البقاء أكثر من ثلاثة أيام، وأحسستها ثقيلة، وعدت إلى البيت، وقد حاول بعضهم دفعي لاستئجار بيت آخر، لكنني رفضت، وعدت لحياتي الطّبيعيّة مع زيادة في الانتباه و مرارة زائده عن تقلّبات السّلطة وأنواعها والّتي تسبّب عمليّات الاغتيال، أو ما يرتبط بالاغتيالات السّياسيّة، واغتيالات المافيا ... الخ.

إنّني اليوم -وأنا أستذكر ذلك الحدث الهام في حياتي- أحنّ لتلك القصص والحيّويّة الّتي كنا نعيش فيها، وخاصة أنّ أم علاء لاتنسى تفصيلاً واحداً من ذلك .

أمّا بالنّسبة لهذا الجاسوس الاستراليّ فقد أخذته الأجهزة الأمنية التّونسيّة، وأبقته ليلة عندهم حتّى استكملت كلّ التّحقيقات اللاّزمة، ومع الأسف وبعد أنّ استكملت تحقيقاتها وتأكدت من مهمّته الّتي تمثّلت في بيع لوحات زيتيّة كوسيلة للوصول إلى الهدف ، طلبت منه مغادرة البلاد فوراً، وفعلاً نقلته فوراً إلى مطار تونس حيث غادر البلاد .

الغارة الإسرائيليّة على (مقرّات فتح) في حمام الشّط

في السّاعة العاشرة والنصف من صباح ١٩٨٥/١٠/١ قامت (١٦) طائرة من نوع (F-16) تزوّدت بالوقود بالجوّ بشنّ غارة جوّية عنيفة على مقرّات (م.ت.ف) في منطقة حمام الشّطّ الّتي تبعد عن العاصمة التّونسيّة مسافة (٤٢) كلم.

وأسفرت هذه الغارة عن مصرع أكثر من ستّة وخمسين فلسطينيّاً، وخمسة عشر شهيداً تونسيّاً، وكذلك أكثر من ١٠٠ جريح، وقد تمّ تدمير مقرّ عرفات.

نجاة الأخ أبو عمّار

لقد عاد الأخ أبو عمّار من زيارة إلى المغرب، وفور وصوله انتقل إلى منزل سفير فلسطين في تونس ليترأس اجتماعاً للقيادة الفلسطينيّة، -وكالعادة- استمرّ الاجتماع حتّى السّاعة الثّالثة صباحاً ١٩٨٥/١٠/١، وطلب دعوة المجلس العسكريّ للاجتماع يوم ١٩٨٥/١٠/١ السّاعة الحادية عشرة في مقرّه في حمام الشّطّ.

غادر منزل حكم بلعاوي /سفير فلسطين تونس متوجّهاً إلى مقرّ قيادته في حمام الشّطّ ليأخذ قسطاً من الراحة، إلاّ أنّه عدل عن التّوجّه إلى حمام الشّطّ، وقرّر التّوجّه إلى أحد البيوت المستأجرة بمنطقة المرسى، وهو منزل الأخ أبوجهاد خليل الوزير.

كان قد تمّ إبلاغ جميع العسكريّين المطلوب حضورهم للاجتماع الّذين كانوا يتوافدون على حمام الشّطّ حيث مقرّ (الأخ أبوعمّار) في التّاسعة والنّصف من صباح ١٩٨٥/١٠/١؛ أي قبل موعد الاجتماع المقرّر السّاعة الحاديّة عشرة.

وعند اقتراب السّاعة العاشرة كان الجميع بانتظار حضور الأخ أبي عمّار. وبعد عشر دقائق بدأت غارة الطّيران الإسرائيليّ على المنطقة، فسقط العشرات من العسكريّين الّذين توافدوا لاجتماع مع عدد من الإخوة التّونسيّين، وهكذا وبقدرة الله لم يكنّ الأخ أبوعمّار موجوداً في حمام الشّطّ انذاك، وكان هذا الأمر يذكرني بعدد المحاولات الّتي قام بها العدوّ لاغتياله.

كانـت ردود الفعـل على الغـارة قويّة جداً، فلقـد تقدّمت الحكومة التونسـيّة بشـكوى لمجلـس الآمـن الدوليّ، وظهـر الفيتـو الأمريكـيّ، ومنـع إصـدار قرار بإدانـة إسرائيـل مـع العلـم أنّ بورقيبه وافـق على حضور الفلسـطينين محـذّراً من مثـل هـذا العمل الإرهـابيّ الإسرائيـليّ على تونس.

أسباب الغارة المعلنة

قام جهاز الأمن الفلسطينيّ الموجود في قبرص بالقضاء على مجموعة من عملاء الموساد في عمليّة سريعة أوما عرف بعمليّة اليخت ردّاً على الاعتقالات والقتل للكادر الفلسطينيّ المتوّجه من قبرص إلى لبنان، ولهذا قرر العدوّ الانتقام لإظهار قدراته بالوصول إلى مقرّ ياسر عرفات وتدميره وقتله وكلّ من حوله، ولم يكن يتم ذلك لولا المساعدة اللوجستيّة الأميركيّة من خلال عمليّة التّشويش المتواصلة، وتزويد الطّائرات الإسرائيليّة في الجوّ عدة مرات ومن خلال صهاريج جويّة كانت موجودة في قاعدة جويّه عسكريّة في إيطاليا الّتي لم تكن تعلم بخروج الطّائرات ، وبعد العمليّة الّتي أدانتها إيطاليا بدأ تشديد في المواقع العسّكريّة كافّة ، والّتي كان لها علاقة بحلف النّاتو.

كانت محصلة الغارات الإسرائيليّة العدوانيّة (٥٦) شهيداً تونسيّاً، وجرح (٢٨) شخصاً ، وقد أطلق الإسرائيليّون على العمليّة اسم (السّاق الخشبيّة)، وأعتقد أنّ هذه التّسميّة تعني أنّنا سنكسر أرجلكم ... لكن هذه العمليّة أعطت قوّة للثّورة الفلسطينيّة.

اغتيال القادة
أبي إياد، وأبي الهول، وأبي محمّد العمريّ

رغـمّ أنّنـا كلّنـا في (فتـح) وفي العمـل الوطـنيّ الفلسـطينيّ مشـاريع شـهادة إلّا أنّ المـوت -وهـو حكـمّ الله- يسـتفزّ في الواحـدّ منّـا الغضب ليـس من الموت المكتـوب، ولكـنّ في سرعـة الحـدث غـير المنتظـرّ أو المتوقّع أو المحسـوب.

وهكـذا حصـل مسـاء ١٩٩١/١/١٤، فقـدّ تناقـل الأخـوة بالمشـاهدة أو عـبرّ الهاتـف حدثـاً جلـلاً وهـو فقـدان شـخصيّة فريـدة في الثّـورة الفلسـطينيّة كان حضورهـا طاغياً على السّـاحة الفلسـطينيّة والعربيّـة والدّوليّـة، وكان كذلك قائداً مـيّزاً مـن المؤسّسـين، وهـو القائـد صـلاح خلـف (أبـو إيـاد) الّذي كان سياسـيّاً متمـيّزاً، وكان أحـد أبـرز أعمـدة الجّهـاز الأمـنيّ الفلسـطينيّ، والمقرّب مـن رفيق دربـه أبي عمّـار، والشّـهيد الّذي سـبقه أبـو جهـاد، والّذي سـقط إلى جانبـه الأخ القائـد الشّـهيد هايـل عبدالحميـد (أبـو الهـول)، وفخـريّ العمـريّ (أبـو محمّد).

إنّ شـخصيّة صـلاح خلـف فـذّة، وحضـوره كان لامعـاً وطاغياً؛ فهـو عضوّ اللّجنـة المركزيّـة لحركـة «فتح»منـذ التّاريـخ الأوّل للحركـة، وهـو المسـؤول الأوّل في الأمـن الموحّـد في منظمّـة التّحريـر الفلسـطينيّة، وكان دائـم الحضـور، سياسـيّاً شـجاعاً متمـيّزاً، وكان يؤمـن كذلـك أنّـه سـيكون مشروع شـهادة.

من هو صلاح خلف (أبو إياد)؟

ولد صلاح مصباح خلف (أبو إياد) في مدينة يافا بتاريخ ١٩٣٣/٨/٣١ من أصول قادمة من غزّة كان جدّه عالماً أزهريّاً، وكان ذلك يضعه في مرتبة متقدّمة اجتماعيّاً آنذاك، وأنعكس ذلك على الشّاب صلاح. ومع أيّام النّكبة الأولى عامّ ١٩٤٨ انتقل صلاح وعائلته من مدينة يافا إلى غزّة حيث أنهى دراسته الثّانويّة في عامّ ١٩٥١، وبعدها التحق بكليّة دار العلوم التّابعة لجامعة القاهرة، وفي نفس العامّ التقى ياسر عرفات حيث نشأت بينهما علاقة خاصّة، وأفكار وأهداف وطنيّة واحدة، مع مجموعة أخرى من طلبة فلسطين في القاهرة انبثق عنها تأسيس الاتّحاد العامّ لطلبة فلسطين أو (رابطة الطّلبة الفلسطينيين)، وفي هذا الاتّحاد التقى كلًّا من ياسر عرفات، وصلاح خلف، وعبدّ الفتّاح الحمود، وزهير العلميّ، وسليم الزّعنون، حيث كان الاتّحاد يشكّل النّواة الأولى لأوّل خليّة استقلاليّة تشعّ في وسطها روح الانتماء الفلسطينيّ الحرّ المستقلّ، والّذي يحمل في الآفاق أحلاماً بلّ أهدافاً وضعت فلسطين في مقدّمّة كلّ شيء، وصاغت الهويّة الوطنيّة الفلسطينيّة في فكر كلّ منهم.

تخصّص صلاح خلف في الفلسفة، وتخرّج من كليّة دار العلوم عامّ ١٩٥٧، وعاد بعد ذلك إلى غزّة، وعمل مدرّساً في مدرسة الزّهراء الثّانويّة للبنات، وانتقل بعدها إلى مدرسة خالد بن الوليد الثّانويّة للبنين.

وفي العامّ ١٩٥٧ انعقد الاجتماع التّأسيسيّ الأوّل لحركة فتح، وبعد اللقاء

الثّاني بين ياسر عرفات وخليل الوزير، جاء هذا الاجتماع الّذي ضمّ كلًّا من ياسر عرفات، وخليل الوزير، وعادل عبدالكريم، وعبدالله الدّنّان، ويوسف عميرة، وتوفيق شديد. وفي هذا الوقت تمّ وضع مسودّة (هيكل البناء الثّوريّ) و(بيان حركتنا) وتمّ الاتّفاق على اسم الحركة بالأحرف الأولى للتّنظيم (فتح).

غادر صلاح مصباح خلف (أبو إياد) غزّة عامّ ١٩٥٩، وتعاقد للعمل في الكويت. وفي مطار القاهرة صعد (أبو إياد) مكبّلاً بالأغلال تحت الحراسة الأمنيّة المصريّة حتّى سلّم الطّائرة؛ نظراً لنشاطه السّياسيّ وخطاباته في غزّة الّتي كانت تخضع للحكم الاداريّ المصريّ، وبالتّالي سجّل تحت عنوان (خطر سياسيّ).

وفي الكويت انضمّ صلاح خلف وخالد الحسن وسليم الزّعنون إلى من سبقوهم من المؤسّسين الّذين ذكرنا، وكان للإعلان عن انطلاقة فتح ١٩٦٥/١/١ صداه في الكويت، وغيرها من الدّوّل العربيّة بما في ذلك الدّوّل الأوروبيّة حيث الطّلبة الفلسطينيون، وبالطّبع كان الحراك قويّاً بعد هزيمة الجّيوش العربيّة والدّوّل العربيّة عامّ ١٩٦٧ الأمر الّذي دفع اللّجنة المركزيّة لحركة فتح بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٢ إلى الاجتماع من أجلّ مناقشة جدوى الكفاح المسلّح. وفي هذا الاجتماع تمّ تكليف كلّ من محمّد يوسف النّجار، وصلاح خلف، وعبدّ الفتّاح الحمود بالعمل على تنظيم (حركة فتح) بما يتناسب والمرحلة الجّديدة على أن يتمّ تفرّغهم لهذه المهمّة، وقدّ أعلن(أبو إياد) قرار تعيين ياسر عرفات ناطقاً باسم حركة «فتح»، وبهذا ألغى الاحتمالات الخلافيّة الأخرى حول ذلك ودون مشاركة الآخرين حتّى عرفات نفسه.

إنّنا الآن -ونحن نستعيد ذكريات هذا الرّجل القائدّ- نؤكّدّ على أنّه كان

خطيباً مفوّهاً، وكان قائداً صلباً جريئاً، ومفاوضاً قديراً، ومحاوراً مقنعاً، وعلى مصاف رفاقه عبد الفتّاح عيسى الحمود وكمال عدوان اللذين تميّزا بنفس المواصفات.

تفرّغ أبو إياد للعمل الوطنيّ الفتحاويّ المخلص رغم وجود عائلة مكونّة من والده ووالدته وإخوته وزوجته وستّة أولاد يتحمّل كلّ مسؤوليّتهم. في تشرين الأوّل/١٩٦٨ صاغ أبو إياد الهدف الاستراتيجيّ للمقاومة، وهو تحويل فلسطين إلى دولة ديمقراطيّة.

استلم أبو إياد جهاز (الرّصد الثّوريّ) من أبي يحيى، وتسلّم بعد الخروج من الأردنّ جهاز شؤون الأردنّ، وفي العامّ ١٩٧٣ تسلّم مسؤوليّة (الأمن الموحّد) في منظمّة التّحرير الفلسطينيّة، وأثناء وجود المقاومة في لبنان نجح أبو إياد في إقامة علاقات دوليّة هامّة تصبّ كلّها في مصلحة الثّورة الفلسطينيّة وأهدافها.

كان أبو إياد ضدّ الاحتلال العراقيّ للكويت، وكان آخر لقاء له مع الرّئيس العراقيّ صدّام حسين، في كانون أوّل/١٩٩١ مع وفدّ برئاسة الرّئيس ياسر عرفات، وكان بصحبة كلّ من أبو إياد، وأبو الهول، و(أبو علاء) أحمد قريع، ونصر يوسف، وعزّام الأحمد، وقدّ تعامل الرّئيس صدّام حسين مع الشّهيد (أبو إياد) بشكل متميّز، علماً بأنّ (أبو إياد) كان ضدّ غزوّ الكويت. وبعد اللقاء عدنا، الأخ أبو عمّار وأبو إياد وأبو علاء، إلى تونس. وفي السّاعة الحاديّة عشرّة من مساء ١٩٩١/١/١٤ أقدم حارس هايل عبدّ الحميد (أبو الهول) على جريمة اغتيال أبو إياد وأخويه أبو الهول وفخري العمريّ في منزل الأخ أبو الهول في تونس. وكانت فعلاً جريمة نكراء، وكارثة بشعة أفقدت العمل الوطنيّ الفلسطينيّ واحداً من أهمّ أركانه ورموزه.

قصّة الاغتيال

الشّريك أبو نضال والنّظام اللّيبيّ

الاهتمام الإسرائيليّ من خلال الموساد

مـن اعترافـات القاتـل حمـزة أبـو زيـد أثنـاء التّحقيق معـه هـو أنّ الاغتيال تـمّ بنـاءً على الأوامـر الّـتي صـدرت إليـه من صـبريّ البنّـا (أبـو نضـال) وباهتمام ودعـم ليـبيّ. وهنـا نقـدّم (القاتـل الّذي خضـع للتّحقيـق مـن الجّهـات القضائيّة الفلسـطينيّة)، حيـث قـدّم اعترافـات دامغة بأنّـه قام بهـذه المهمّة القـذرة والخيانة الوطنيّـة بتكليـف مـن قبـل صـبريّ البنّا (أبـو نضـال) الّذي كانـت إقامتـه في ذلك الوقـت في ليبيـا في أغلـب الأوقـات، عميـلاً مـع المخابـرات الّليبيّـة وغيرها.

في العامّ ١٩٨٢ غادر حمزة أبو زيد الأردنّ متوجّهاً إلى سـوريّا بشـكل غير رسـميّ (تهريـب)، والتحـق بمعسـكر للتّدريب، وتمّ اختيـاره لدورة خاصّة في يوغسـلافيا، حيـث كانـت تتـمّ في يوغسـلافيا دورات عسـكريّة عـدّة في مختلـف التّخصّصات ومنهـا دورة تدريـب الطّيارين الفلسـطينيين. وبعـد انتهاء حمزة مـن الدّورة التحق بالسّـفارة الفلسـطينيّة هنـاك كمرافـق لمدير مكتب يوغسـلافيا. ومـع بداية عمله اختلـف مع مدير المكتب، فأعيد إلى دمشـق، واسـتطاع العـودة إلى العمل كمرافق في مكتب الباكسـتان برعاية (أبو بشـير) المسـؤول عن أمن السّـفارات، وبقي هناك مـدّة قصـيرة، وأعيد إلى تونس حيـث التقى زكريا بعلوشـة الّذي سـاعده بالعودة إلى

العمـل في جهـاز الأمـن والحمايـة في مكتـب هنغاريا بودابسـت.. وكالعـادة اختلف مـع مديـر المكتـب الّذي أعاده إلى تونس، وحقّـق معه في مكتب الأمـن المركزيّ.

في حمّـام الشّـطّ، التحـق حمـزة أبـو زيـد بعـد ذلـك بمجموعـة حراسـة (أبو الهـول)، وأقنعـه حسـنيّ عبيـد بـترك (أبـو الهـول) والالتحـاق بهـواري في بغـداد. وهنـاك أخضعـه هـواري لفـترة تدريبيّـة، ثمّ -وبسـبب رغبة هـواري في عـدم بقاء عنـاصره في العراق- أرسـله مـع مجموعة من الشّـباب إلى هنغاريّـا، وانتقل بعد ذلك إلى بولنـدا حيـث اختلط مـع الطّلبـة هناك.

ويضيـف حمـزة أبو زيـد بأنّه خلال وجـوده في بولندا تعـرّف على المدعوّ ناصر الرّاشـد وهـو مـن مسـؤوليّ تنظيـم أبي نضـال، ثـمّ تـمّ ترحيلـه إلى يوغسـلافيا مرّة أخـرى، وتقابـل مع المدعـوّ كمال شـكريّ، كما أرسـل في مهمّه اختبـار إلى اليونان والفليبـين في شـهر ١٩٨٨/٧. و١٩٨٩/٥/١٤ تقرّر سـفره إلى ليبيا، يقـول: «عند وصولي إلى مطـار طرابلـس اسـتقبلني المدعوّ عيسـى جـرادات، وبقيت في الفندق خمسـة عـشر يومـاً، ونقلـت بعـد ذلـك إلى مقـرّ اقامة جماعـة أبو نضـال. وفي أواخر شـهر ١٩٩٠/٤ حـضر الأخ أبـو عمّـار والأخ أبـو الهـول إلى ليبيـا لإحيـاء ذكرى استشـهاد الأخ خليـل الوزيـر فكانـت تلك فرصـة لي لأقابل الأخ (أبـو الهول) لطلـب العمل معـه. فذهبـت صباحـاً حامـلاً في رأسي الرّواية الّتي سـاعدني نعيم يوسـف بتأليفها لأسردهـا أمـام أبـو الهـول، وأسـتطعت لقـاء الأخ أبو الهـول، وقلـت له: «أنـا بدي أرجـع، وبـدي أعيـد علاقاتي، وأنـا أخطـأت في السّـابق، وإنّني على اسـتعداد لتلقي أيّـة عقوبـة تفرضهـا عليّ، وأنـا مسـتعدّ لأيّـة محاكمـة، وأن تحاسـبني على أيّ قصور سـابق ارتكبتـه، وأتمـنى أن تقبـل عـودتي مـرةً ثانيـة لعنـدك، ولـم أحـدّث الأخ أبـو الهـول عـن الأماكـن الّتي تنقلّـت وتمشـيّت فيهـا»، واختصر الأخ أبـو الهول

الجّلسة قائلاً: «اذهب لأحمد سعيد»، ورويت له القصّة الوهميّة، وطرديّ من بولندا إلى يوغسلافيا، وهروبيّ من ألمانيا إلى ليبيا، وإنّني كنت أريد الهجرة إلى أستراليا، أيّ أخبرته بالقصّة الّتي ساعدني بتأليفها نعيم يوسف.

وفي يوم سفر (أبو الهول) رافقته إلى باب الفندق في ليبيا، وقال: «لا تنسى أن تأتي إلى تونس»، وعدتّ وأخبرت نعيماً أنّ (الأخ أبو الهول) وافق على اعادتي، وعمليّ كحارس في بيته».

ربما يمكن التّوقف عند سردّ التّفاصيل حول لقاء (أبو نضال)، وتكليفه بمهمّة اغتيال (أبو إياد)، والصّياغات المرادفة الّتي بالتّأكيد ليست دقيقة لأنّه تشّع بالكذب، لكنّه القاتل حمزة أبو زيد وصل إلى تونس، والتحق بحراسات أبي الهول. وكانت التّعليمات لديه بتنفيذ جريمة اغتيال (أبو إياد) عندما يأتي فقط إلى بيت أبي الهول. وفي ١٩٩١/١/١٤: «يضيف عرفت أنّ الأخ (أبو إياد) هو الّذي يزور أبو الهول، وتأكّدت من ذلك عندما رأيت (حراسة الأخ أبو إياد) يجلسون في غرفة المرافقة، ودخلتّ إلى باب منزل (الأخ أبو الهول)، وقرعتّ الجّرس، وبعدما فتحت الخادمة الفليبينيّة الباب. دخلت إلى المنزل ومباشرة دخلت إلى الصّالة وكان الأخ أبو محمّد العمريّ موجوداً والّذي لا أعرفه.

كان أبو إياد وأبو الهول جالسين وبينهما الطّاولة الصّغيرة، فقلت: «مساء الخير»، ووجّهت بندقيتيّ إلى (أبو إياد)، وأطلقت النّار بغزارة باتّجاهه، وأكيد أصيب أبو محمّد بطلقاتيّ في كتفه اليسار، وأبو الهول أصيب بطلقاتي عند مروره من أمام النّيران، واستمرّ سائراً على قدميه، وخرج من الباب. وعندما تأكدتّ من موت (أبو إياد) أسرعت إلى باب المنزل، فسمعت صوت المرافقين لا بلّ الشّباب قادمين، وانا لا أريد اطلاق النّار عليهم، فدخلت المنزل، وأطلقت

طلقة على الأرض، ثمّ صعدتّ الدّرج إلى الطّابق العلويّ لأقفز من باب البرندا إلى الشّارع».

احتجز حمزة أبو زيد زوجة الأخ أبي الهول وابنيه خلال الفوضى في الطّابق السّفليّ، وكان جرس الهاتف يدقّ، وبكلّ هدوء أجاب حمزة أبو زيد قائلاً: «لقدّ قتلت (أبو إياد)، وأنا الآن احتجز عائلة (أبو الهول) كرهائن، ولن أطلق سراحهم إلّا إذا أتيتني بعاطف أبو بكر.. لديّ رسالة له». وتدخلّت الشّرطة التّونسيّة وغمر المكان بالضّوء ونادى حمزة: «أترك النّساء لا نريد منك شيئاً»، وكرّروا النّداء مدّة نصف ساعة، وقالت الشّرطة لحمزة: «ما هي مطالبك؟»، وعلى طريقة الأفلام الّتي كان يشاهدها طلب طائرة تقلّه خارج البلاد، فطلبوا منه هويّته، وعندما أراد القائها إلى الخارج قالوا له: «إنّ المطر المنهمر سيخرّبها»، وطلبوا منه تسليمها من خلال شقّ باب الغرفة. وعندما اقترب من الباب سمعته زوجة أبو الهول وهو يغلق الباب، ويعود إليهم بجرّ أقدامه، ثمّ سمعت رشّاشاً يسقط على الأرض، فأندفعت نحوه، فوجدته ممّدّداً على السّلّم فاقداً الوعيّ، وظهر أنّ البوليس وجّه إليه غازات مخدّرة، وأسرعت وفتحت الباب، فدخل البوليس، وألقى القبض على القاتل، ونقلوه إلى مقرّ الدّاخليّة التّونسيّة.

من المرافعة الختاميّة للنّائب العامّ الفلسطينيّ

الأخ/ رئيس المحكمة العسكريّة الدّائمة.

الإخوة/ القضاة المستشارين.

من يهن يسهل الهوان عليه، ولا عزّة ولا كرامة ولا رحمة لمرتزق مأجور رخيص، فنحن أمام جريمة بشعة ومروعّة، ارتكبها مارق متنكرّ لآمال شعبه باغتياله لرموزه وقادته، اقترفها عن سابق تخطيط وإصرار وتصميم وترصّدّ، اقترفها بكامل وعيه وارادته، قرّرها آدميّ دمويّ سافل، هو المتّهم الفارّ صبريّ البنّا، والمتّهمين الفارّين من أفراد عصابته: نعيم يوسف، وعيسى جرادات عن طريق استخدام هذا المتّهم الّذي نفذّ مجزرته بكلّ طواعيّة واختيار وبدمّ بارد وأعصاب هادئة، فكان الأداة السّافلة لقتل أعزّ الرّجال.

لقدّ باع هذا المجرم نفسه لخونة بثمن بخس بعد أن أوقع نفسه في شباكهم العنكبوتيّة طائعاً مختاراً بعد أن جاب الآفاق كأيّ أفّاق ممّا أوقعه فريسة سهلة في شراك القاتل المهووس صبريّ البنّا، وعصابته الغادرة.

أمّا وقدّ اعترف المتّهم بتفاصيل تكليفه وطريقة تنفيذه أمام المحكمة بعد أن أضحى شعب فلسطين بشيبه وشبّانه وأطفاله وحرائره يعلم من هو صبريّ البنّا، وكمّ أراقت يداه من الدّماء الطّاهرة الزّكيّة، وكمّ من الثّكالى والأرامل والأيتام قدّ خلّف، فإنّ النّيابة العامّة لمنظمّة التّحرير الفلسطينيّة تشدّد على ما ورد في لائحة الاتّهام، وعلى تطبيق أقصى عقوبة قانونيّة نصّت عليها موادّ قانون العقوبات

الثّوريّ ل (م. ت. ف)، وخاصّة المادّة (١٢٤) مكرّر بالنّسبة للمتّهم الأوّل، والمادّة (١٢٠) عقوبات بالنّسبة للمتهمين الثّاني والثّالث والرّابع. لقدّ رحل أبو إياد وأبو الهول وأبو محمّد، وأنّهم ليسوا آخر الشّهداء من القادة الّذين سقطوا على طريق تحرير فلسطين فقدّ سبقتهم كوكبة من الشّهداء، لن نرّتبهم بالكلمات المنمّقة، ولا نبحث عن المفردات البليغة لنقول لهم وداعاً، ولا نبكيهم بالدّموع المرّه، وإنّما نفتّش عن أصدق الوعود، ووعد أن نقتصّ من القتلة الأوغاد، وعد أن نرّد ما بأعناقنا نحو الشّهداء الاكرم منّا جميعاَ. فليكنّ في حكمهم قصاص.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب...)

صدقّ الله العظيم

لائحة الاتّهام

المشتكي: الحقّ العامّ ممثلًّا بالنّائب العامّ.

المتّهمون:

المتّهم الأوّل/ حمزة محمود عبدالله (أبو زيد).

المتّهم الثّاني/ صبريّ البنّا (أبو نضال).

المتّهم الثّالث/ نعيم يوسف/ ويعمل في مجموعات صبريّ البنّا في ليبيا.

المتّهم الرّابع/ عيسى جرادات/ ويعمل في مجموعات صبريّ البنّا/ في ليبيا.

التّهم :

١. القتل العمد مع سبق الإصرار والتّرصد سنداً لأحكام المادة/٣٧٨/ فقرة/أ/، وبدلالة المادّة/٣٧٩/ من قانون العقوبات الفلسطينيّ، وذلك بالنّسبة للمتّهم الأوّل:

٢. الاشتراك والتّحريض والتّدخّل في القتل العمد مع سبق الإصرار والتّرصّد سنداً لأحكام الموادّ/٣٧٨/فقرة/ا/و٣٧٩/، وعطفاً على الموادّ ٨٦/و/٨٧/و/ وفقرة /ا/، و٨٨ و٨٩ فقرة /ا/ وبدلالة المادّة للمتّهمين الثّاني والثّالث والرّابع.

الأدلة الثّبوتيّة :

١. اعترافات المتّهم أمام النّيابة العامّة.

٢. أيّة أدلة أخرى تقدمها النّيابة العامّة .

الطّلب :

ممّا تقدّم فإنّي باسم الله وباسم الثّورة الفلسطينيّة/

أطلب بتوقيع العقوبات المنصوص عليها في فقرة /التّهم السّابقة الذّكر بحقّ المتّهمين الأربعة

المحاكمة

انعقـدت جلسـة محاكمة حمـزة أبـو زيـد يـوم ١٩٩١/٣/٢٨، وكان مـكان انعقاد المحمكـة في مقـرّ قـوّات شـهداء صبرا وشـاتيلّا في اليمـن. وبنـاءً على اعترافات حمزة أبـو زيد صـدر الحكـمّ حضوريّاً بإعدامـه، والإعدام غيابيّـاً للمحرّضين والمخطّطين، وهمّ:

- المتّهم الثّاني/ صبري البنّا/ أبو نضال.

- المتّهم الثّالث/ نعيم يوسف/ ويعمل في مجموعات صبريّ الينّا في ليبيا.

- المتّهم الرّابع/ عيسى جرادات/ ويعمل في مجموعات صبريّ البنّا/ في ليبيا.

النّائب العامّ

خلاصة:

إنّ مراجعـة اعترافـات حمزة أبـو زيد تؤكّـد في كلّ بنودها أنّـه كاذب، ويتناقض في الأحاديـث والتّواريـخ والأفـراد الّذيـن أقـام معهـم علاقـة. لقـدّ ظهر واضحـاً أنّه وخـلال وجـوده في دول اوروبّـا الشّرقيّـة: بولنـدا ويوغسـلافيا وقـبرص، وهنغاريّا قدّ تـمّ تدريبـه أمنيّـاً بشـكل دقيـق وليـس عشـوائيّاً، وكانت خلـف ذلك إسرائيـل الّتي كانـت تريـد منه اخـتراق مجموعات أبو نضـال، وهذا مفيـدّ جـدّاً في متابعة وملاحقة كلّ نشـاط هـذا التّنظيـم. وعندمـا تعقّـب أبـو نضـال كان الهدف أبـو ايـاد، وهذا ما ينسـجم مـع أهداف الموسـاد، ولكـن بيـدّ صبريّ البنّـا.. إنّ القاتل هو حمـزة أبو زيد

المولـود في بـلدة سـعير/ منطقة الخليل، واسـمه الحقيـقيّ موسى عيسى جـرادات، ومن المثـير معرفـة أنّ الأمـن التّونـسيّ أعلـن أنّـه حمزة أبـو زيد وأنّـه طلب منه تسـليمه للسّـفارة الأمريكيّـة في تونـس، وقـدّ قـام الأمريكيّيـون بالضّغـط على الحكومـة التّونسـيّة بعـدم السّـماح بإعـدام القاتـل بعـد اجـراء المحاكمـة على أرضهـا ولهـذا رفضـت الحكومـة التّونسـيّة أن يبقى على أرضهـا أو إعدامـه على أرضها.

إنّ المثـير للاهتمـام أنّ الحكومة اليمنيّـة اتّخذّت نفس الموقف بسـبب ضغوط تعرّضـت لهـا، الأمـر الّذي دفع أجهـزة الامن الفلسـطينيّة إلى تنفيذ حكـم الإعدام في الميـاه الإقليميّـة قبالة محافظـة الحديدة الّتي يقع فيهـا الميناء البحـريّ الأوّل لليمن أو بالأحـرى اليمـن الشّـماليّ وعدن الميناء الرّئيس لحكومة اليمـن الجّنوبيّ.

لقـدّ علّمونـا في أيّـة ظـروف كان عملهم فقـدّ كانـوا في مواجهة المـوت كلّ يومّ وسـاعة ولحظـة. لهـمّ المجدّ والخلـود والرّحمـة من الله.

البداية- الصّدفة- الموافقة والبناء على اللّقاء

انتشرنا في أرجاء الأرض، وتوزّعت قوّاتنا العسكريّة في صحاري الوطن العربيّ، وأصبح أهلنا في لبنان يعانون من الخوف مجدّداً بعد مجزرة صبرا وشاتيلا، وتلا ذلك حرب المخيّمات، وفضّل كوادر فتح المقيمين في لبنان من شباب المخيّمات خاصّة الهجرة إلى الدّول الأوروبيّة، وحوصرنا عربيّا وعالميّا، وأخذ بعض العرب قراراً بإنهاء قيادة منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، لا بل إلغاء الكلمة والمعنى لمنظّمة التّحرير، وكنّا نعدّ الأيام ونتلطّى هنا وهناك، ونتلقّف خبراً من هنا ومن هناك بلا معنى، ونعزّي النّفس بوجودها... أصبحنا ظلّا ثقيلا في الدّول الّتي استضافتنا. وكان الأخ أبو عمّار يتنقّل من بلد إلى آخر ويبحث في الكرة الأرضيّة عن دولة ترحب به وبنا، فيذهب إليها ليعلن حضوره ووجوده، وكانت رحلته إلى الدّول الإفريقيّة الّتي لم تر يوما زعيما عربيّا على أراضيها يخرج شعبها عن بكرة أبيه لاستقباله لاستقبال المناضل الثّائر المقاوم الّذي يتحدّى العالم، فيعيد لهذه الشّعوب ذكريات كفاح باتريس لومومبا وأحمد سيكتوري وأميلكار كابرال بكوفيّته يأسر قلوب الأفارقة حتّى زعماءهم، وكانوا يعتقدون أنّ ياسر عرفات يمكن أن يقدّمهم إلى الدّول العربيّة وخاصّة الدّول الخليجيّة الغنيّة ليحصلوا على بعض المساعدات المفقودة، وكان يريد منهم أن يبقى اسما في الأمم المتّحدّة، وفي صحافة العالم، وحجر عثرة لنفوذ إسرائيل في القارّة السّوداء، وكانت أيضا زياراته لتأكيد الدّعم للثّورة الفلسطينيّة في الأمم المتّحدة والمنظّمات الدّوليّة.

وفي هـذه الظّلمـة الّـتي كانـت تحيـط بنـا، والّتي كانـت تأكلنـا كلّ يـوم أكلاً قاسـياً انطلقت الانتفاضة الفلسـطينيّة. وبـدون بدايات ومقدّمات أصبح الشّـعب الفلسـطينيّ وأطفـاله وحجارتـه وانتفاضته ونضـاله العنـوان الأوّل في صدر نشرات الأخبـار العربيّـة والدّوليّـة، وأصبحـت حجارة فلسـطين أقـوى من أسـلحة العدّوّ الإسرائيـليّ النّوويّـة والصّاروخيّـة، بـل إنّ صـورة الطّفل الفلسـطينيّ الّذي يمسـك بيـده حجـراً ويرجـم دبّابـة ويواجـه الجيـش الّذي لا يقهـر... أصبحت شـعار تلك المرحلـة على امتـداد العالـم. وهكذا أعادت الانتفاضة اسـم فلسـطين واسـم م. ت. ف. واسـم يـاسر عرفـات إلى الحيـاة مجـدّدا، وهنـا لا بـدّ مـن التّأكيـد على أمريـن، وهمـا: أنّ (الأخّ أبـو عمّـار) أصبـح يدخـل في كلّ حـوار لنا شـفهيّا أو تحريـراً، فهو في الدّائـرة والمربّـع والمثلّـث وفي كلّ أشـكال الحسـابات حاليّـا ولاحقـا، وأنّ هـذه الانتفاضـة المجيـدة لـم تكـن لتسـتمرّ لـولا العنايّـة الدّؤوبـة الفائقـة التّركيز من القيـادة الفلسـطينيّة وفي المقدّمـة التّفـرّغ التّـام لـلأخّ أبي جهـاد مـع الإشـارة إلى وجـود بعض الأفـراد الانتهازيين والمتسـلّقين والمسـتغلّين لهذه الانتفاضـة المجيدة. ومـا كنـت لأقـول هـذا إلّا لأنّـني كنـت على تواصل لحظـيّ وليـس يوميّـاً فقط مع الدّاخـل ومـع الأخويـن أبي عمّـار وأبي جهـاد، وكنـت ألمس مـا أوردتـه يوميّا.

وفي خضـمّ هـذه الانتفاضـة والمعنويّـات المرتفعـة لدينـا حدثـت هزّتـان خطيرتـان كلّ منهمـا أخطـر من الأخـرى، وقد أشرت إليهما سـابقا، وهمـا: احتلال صـدّام حسـين للكويـت، وانهيـار الاتّحاد السّـوفياتيّ على يـدّ كلّ من غورباتشـوف ويلتسـين، ممّـا أفضى إلى تفرّد الولايـات المتّحدّة بقيادة العالم نظـراً لانهيار القطب المنافـس لهـا، وهذا بالطّبـع أعطى إسرائيل قـوّة فـوق قوّتها وحرّك أكـثر من مليون مهاجر سـوفياتيّ إلى فلسـطين المحتلّة، وجميعهـم حمل الجنسـيّة الإسرائيليّة. وتجدر الإشـارة إلى أنّـه كان من بينهم الكثير مـن العلماء في المجالات العسـكريّة والمدنيّة

والبحثيّة كافّة، الّذين أنفقت عليهم ودرّستهم الدّولة السّوفياتيّة، وكذلك كان هناك جنود متطوّعون أو مجبرين على الخدمة في الجيش الإسرائيليّ. ودون التّوقّف طويلا، فلقد تركّزت سهام العرب من الطّرف الآخر على الفلسطينين لسبب واحد، وهو أنّ الأخّ أبا عمّار لم يكن يريد جيوشا أجنبيّة لإخراج الجيش العراقيّ من الكويت بل أن يتمّ ذلك عربيّا.

في هذه الأجواء جاء مؤتمر السّلام في مدريد ليظهر صورة الضّعف العربيّ، وفرض شامير رأيه بعدم استقلاليّة وفدنا في المباحثات الثّنائيّة مع إسرائيل، والمشاركة في مؤتمر مدريد للسّلام رغم معرفتنا بالتّلازم والأخوّة والمودّة بيننا وبين الوفد الأردنيّ. كان ممنوعا علينا أن يكون هناك مندوبون من القدس أو الأرض المحتلّة عام ١٩٤٨، وكان أيضا محرّما علينا المشاركة بوفد مستقلّ، ولهذا كان هناك امتهان بالغ عندما أصبحت مباحثاتنا في واشنطن تجري في كاردورات وزارة الخارجيّة الأميركيّة وممرّاتها بدون الاقتراب من أيّ حلّ، أو حتّى دراسة وجهة نظر رغم قدرات رئيس الوفد الفلسطينيّ الدّكتور حيدر عبد الشّافي الّذي قال: «إنّ إسرائيل تتصرّف من منطلق أنّ الأرض لها، أمّا سكّانها فستقرّر لهم مصيرهم عن طريق منحهم بعض الصّلاحيّات الإداريّة، أي باختصار إنّها تحاول الانتقال من الاحتلال المؤقّت إلى الضّمّ النّهائيّ».

كان سبب ذلك كلّه تواطؤ أميركيّ تامّ، وعجز عربيّ عن التّأثير. ولربّما يقول بعضهم: «إنّ هناك وراء كلّ ما سبق تقصير فلسطينيّ»، وهذا يتطلّب بعض التّوضيح.

إنّنا وبعد الاجتياح وتوزّع قوّاتنا على عدّة أقطار عربيّة ظهر بعض الانتهازيين والمستفيدين ومن لهم ارتباطات خارج حلقة الثّورة والمقاومة،

لكنّ الفلسطينين الّذين قاوموا الإسرائيليين بالحجر والسّكين والبندقيّة القديمة، وسكب الزّيت على طرق المستوطنات، وبال أربي جي والكلاشنكوف والصّواريخ والمدافع متعدّدة العيارات لم ينهزموا، بل استمرّوا حتّى في تلك المعسكرات المحاطة بالرّمال في ليبيا والسّودان والجزائر واليمن البعيدة عن حدود فلسطين. ورغم كلّ هذا الحصار الجائر بعد حرب الخليج ماديّا وعسكريّا وسياسيّا، وفي ظلّ انقسام عربيّ في المواقف السّياسيّة، توجّهنا نحو بعض الدّول الإفريقيّة البعيدة الّتي رحّبت بنا... وكما قلت سابقا كان الأخّ أبو عمّار والشّعب الفلسطينيّ (جمل المحامل)، وكانت حجارة أطفال فلسطين أعلام الثّورة والوجود الفلسطينيّ على كلّ أرض، ولولا حجارة أطفال فلسطين لما قبل وفدنا حتّى ولو مشتركا مع الوفد الأردنيّ، ولما بقيت القضيّة الفلسطينيّة هي القضيّة المركزيّة، ولما أعيد الاعتراف بمشروعيّة نضالنا وعدم مشروعيّة الاحتلال. ورغم الحرب الّتي شنّها العدوّ علينا عام ١٩٨٢، وصمودنا الأسطوريّ أمام القوّة العسكريّة والصّمت العربيّ لأكثر من ثمانين يوما، فكانت حجارة أطفال فلسطين تعادل فعل المدافع والرّاجمات، وتفضح هذه الرّوح العدوانيّة الصّهيونيّة على كلّ أرض. وهكذا فأنا اليوم أقرّ وكما كان يقول الأخّ أبو عمّار بأنّ الشّعب الفلسطينيّ كان دائماً أقوى من قيادته، وسباقا للعطاء والنّضال عبر تاريخ فلسطين.

لقد كنت على تواصل يوميّ مع الأخّ أبي عمّار في مكتبه وفي تحرّكاته، وعندما كنت أغادر مكتبه لأقوم ببعض الأعمال كنت أعود إليه، كثيراً ما كان يغلق الباب، ويشرح الكثير من المواقف والاتّصالات الّتي كانت تأتيه من كلّ الأرض. كان يشتم بدون أن يرفع صوته، ويضحك بصوت عالٍ فرحا لموقف أو صورة أتت من الأرض المحتلّة، وكانت صورة الطّفل الّذي يواجه الدّبابة بحجر عنوانا سياسيّا مهمّا جدّا عنده، ويقول: «ما دام هناك طفل مثله في فلسطين

فلـن يسـتقرّ هـؤلاء المجرمون على أرض فلسـطين»، وكان يـردّد دائما: «سـيأتي اليوم الّذي يرفـع فيـه طفل فلسـطينيّ علم فلسـطين على أسـوار القدس ومـآذن القدس وكنائـس القـدس، يرونهـا بعيدة ونراهـا قريبة، وإنّـا لصادقون». كنّا نتابـع مع الأخّ أبي عمّـار كلّ كلمـة وعنـوان ومعلومـة عن حركة وفدنا في واشـنطن ونشـاطه، وكان يصيبـه الغيظ مـن أيّ تصريح لشـامير.

في هـذا الوقـت وبعـد الجلـوس مبـاشرة مـع الوفـد الإسرائيـليّ ووفدنـا في واشـنطن، كان بعضهـم يقـول: «إنّ قـدرة وفدنـا نابعـة عـن الاحتـكاك المبـاشر مع المسـؤولين الإسرائيليـين لأنّهـم تحت الاحتـلال»، وتطـوّع بعضهم الآخـر للتّذكير باستشـهاد سـعيد حمامي وعصـام السّرطاويّ وعلي ياسـين وكوادر أخرى تـمّ اغتيالها على يـدّ المجـرم أبي نضـال، بينما تـمّ اغتيال قيادات فلسـطينيّة بـارزة في أوروبا على يـد الاحتـلال الإسرائيـليّ المجـرم، وقد كان هـذا الكادر يحـاول فتح قنـوات اتّصال مـع بعـض اليهـود والإسرائيليـين التّقدميـين وغـير المتشـدّدين. ومـن أبـرز الّذين كانـوا على تواصـل مـع الإسرائيليـين بشـكل غـير مبـاشر الرّئيـس محمـود عبّـاس، والّذي كان على تواصـل مـع سـعيد حمـامي وعصـام السّرطـاويّ وعـز الدّيـن القلـق وغيرهـم مـن سـفارئنا في الدّول الأوروبيّة.

الضّرورة الواقعيّة

أعتبر أنّ تجديد كتابيّ عن المفاوضات الفلسطينيّة الإسرائيليّة رغم تناولي ايّاها بالتّفصيل في كتابي (الرّواية الفلسطينيّة الكاملة للمفاوضات من أوسلو إلى خريطة الطّريق مفاوضات أوسلو -١٩٩٣)، والصّادر عن مؤسّسة الدّراسات الفلسطينيّة هو تقديم جديد للأجيال الصّاعدة الّتي تحمل في ذاكرتها الشّابّة الأحداث والوقائع والأسماء. ولهذا وأثناء عمليّة التّدوين والتّأريخ فضّلت اللغة المباشرة في الكتابة لتصل إلى الفئات الاجتماعيّة والمستويات التّاريخية والعلميّة والثّقافيّة وبشكل مبسّط بعيداً عن فذلكة اللغة، وقسوتها في بعض الأحيان، وفضّلت كذلك السّرد القصصيّ في المواقع والمفاصل الّتي لا تحتاج إلى حرفيّة النّصوص، وأردتّ مخاطبة القارئ مباشرة وبصدق وبساطة، وتقديم الحقائق والوقائع كما هي مع العلم أنّني أيضاً أنا المتحدّث عن المراجع الّتي أصدرتها في تلك المرحلة، ومع احترام وجهات نظر المنتقدين من السّياسيين وبعض القيادات من الفصائل الفلسطينيّة الّتي تهوى التّنظير دون الاقتراب من جوهر المشاكل والواقع الفلسطينيّ، وفي نفس الوقت فأنا أرى أنّ انهيار قواعد اتّفاقيّات أوسلو بسبب عدم التزام إسرائيل لتنفيذها وخاصّة بعد اغتيال اسحق رابين، وسقوط شمعون بيرز في الإنتخابات وتولّي قيادة الحكومة في إسرائيل من قبل الليكود الإسرائيليّ، الّذي كان يناصب أوسلو الرّفض التّام، ولم يكن الرّفض الإسرائيليّ (الليكود) لهذه الاتّفاقيّات من حزب الليكود الّذي صوّت ضدّها في الكنيست الإسرائيليّ للمناكفة وإنّما من موقف أيدولوجي إستراتيجي.

كما أنّ جانبي الاتّفاق (م.ت.ف وحزب العمل) لم يبذلا الجهد التعبويّ والتوّعويّ لشرح ماهيّة المرحلة الانتقاليّة وما هيّة مستحقّات الوضع الدّائم. ومن جهة أخرى، نجح الجانبان المعارضان للاتّفاق والرّافضان له، اليمين الإسرائيليّ من جهة والمعارضة الدّاخليّة الفلسطينيّة الممثّلة لبعض الأجندات الإقليميّة) في خلق الظروف الّتي تدفع لتعطيل تنفيذ الأمين لبنود الاتّفاق، عبر العمليّات التفجيرات الانتحاريّة الّتي تعطي اليمين الإسرائيليّ الذريعة في الضّغط على الحكومة للرّد العنيف وغير المتناسب ولرفض تنفيذ بنود هامة من الاتّفاق، وهو ما بدأ في عهد رابين وتصاعد بعد إغتياله، ممّا دفعه إلى الفول عن الالتزام بالمواعيد غير المقدّسة قائلاً «لا يوجد مواعيد مقدّسة»، جوهر الأمر أنّ المعارضة الفلسطينيّة للاتّفاق، وهي الأساس معارضة لمنظّمة التّحرير، كانت غير قادرة على اسقاط المشروع السّلمي استناداً إلى قواها الذّاتيّة، فاستخدمت العمليات التّفجيريّة لدفع اليمين الإسرائيليّ إلى القيام بتدمير السّلطة وتعطيل تنفيذ بنود الاتّفاق.

ومن جهة أخرى، ومع أنّ التّسعينات كانت قد شهدت تنفيذاً جزئياً، للاتّفاقيات، إلّا أنّها شهدت انجازات هامّة، مثل إعادة توطين ما يزيد عن ربع مليون فلسطينيّ في الوطن، ومثل بناء المؤسّسات الفلسطينيّة، ومثل التّواجد الشّرطيّ والجمركيّ الفلسطينيّ على الحدود الدّوليّة، والممر الآمن بين الضّفّة وقطاع غزّة، وخصوصاً ما له علاقة بالقدّس، أيّ تعزيز وجود مؤسّسات وطنية مثل بيت الشّرق والمؤسّسات التّابعه لها في القدس، والّتي كانت مقصد الوفود الدبلوماسيّة الدّولية، وقد شرحنا بالتّفصيل في كتابنا من أوسلو إلى خارطة الطّريق هذه الأحداث، وما تبع أوسلو من مفاوضات.

لا شكّ أنّ الزّمن الّذي مرّ بين توقيع الاتّفاقيّة واليوم هو زمنٌ طويل رغم عدم فقدان أهمّيّة الاتّفاقيّات بتقادم الزّمن اذا لم يلغها أحدّ الطّرفين وخاصّة اذا كانت مدوّنة ومصدّق عليها في البيت الأبيض الأمريكيّ بحضور ممثّلين عن أكثر من أربعين دولة.

واليوم مجدّداً أضع أمامي كلّ الدّفاتر الصّغيرة والأوراق المجموعة غير المتناثرة الّتي تنصّ على كلّ كلمة قيلت أو أضيفت أو حذفت من المفاوضات الّتي قامت قيادة م. ت. ف. وفتح بتكليفي برئاستها، بكلّ قوّة ووضوح كخطوة ومرحلة جديدة في تاريخ الصّراع الفلسطينيّ الإسرائيليّ. وخلال المحطّات كافّة الّتي بدأت فيها المفاوضات المتعدّدة الأطراف لعمليّة السّلام، والنّاتجة عن إطلاق عمليّة السّلام في مؤتمر مدريد برعاية أمريكيّة روسيّة ومشاركة أوروبيّة يابانيّة كنديّة، ودول عربيّة ودوليّة أخرى.

قدّ نشأت هذه المفاوضات المتعدّدة الأطراف بهدف إيجاد آفاق سياسيّة واقتصاديّة أمنيّة واجتماعيّة بين الأطراف المشاركة في مؤتمر مدريد والجانبين الفلسطينيّ والإسرائيليّ، ولتعزيز الثّقة بين الأطراف المشاركة والمساهمة في حلّ مشكلة الإقليم النّاجمة عن هذا الصّراع، والّتي تتناول الحدود والسّيادة والتّرتيبات الأمنيّة، وكذلك الحقوق السّياسيّة للفلسطينيين والعلاقة بين الجانبين الفلسطينيّ والإسرائيليّ، بالإضافة إلى تحقيق الأمن والتّنمية الاقتصاديّة الّتي تسبق إيجاد تسوية شاملة.

لقد بدأ المؤتمر للمفاوضات المتعدّدة الأطراف في موسكو نهاية كانون الثّاني يناير ١٩٩٢، ووجّهت الدّعوات للمؤتمر من الرّاعيين لعمليّة السّلام الولايات المتّحدة وروسيا إلى كلّ من لبنان وسوريّا والأردنّ وفلسطين وإسرائيل

ومـصر والجزائـر وتونـس والمغـرب وموريتانيـا والسّـعوديّة والكويـت والبحريـن والإمـارات العربيّة المتّحـدة، وقطر وسـلطنة عمان واليمن والمجموعـة الأوروبيّة، واليابـان والصّـين وتركيّا وكندا، وقـد عارض هذه المفاوضات سـوريّا ولبنان حيث كانـت سـوريّا تطالـب الدّوّل العربيّة بعدم المشـاركة في هـذه المفاوضات كوسـيلة ضغـط على إسرائيـل مـن أجـلّ الانسـحاب مـن الاراضي المحتلّـة. ونظـراً لأنّ الوفـدّ الفلسـطينيّ المشـارك في مؤتمرّ مدريد هـو ضمن الوفدّ الأردنيّ الفلسـطينيّ المشـترك كمـا فرضـت إسرائيـل ذلـك، فلم يحـضر مؤتمر موسـكو، وجـاءت ردود فعـل لعـدم المشـاركة الفلسـطينيّة على النّحـو التّالي:

أعـرب وزيـر الخارجيّـة الأمريكيّـة جيمـس بيكـر عـن أسـفه لِـ (عدم حضـور الفلسـطينيين)، وإنّهـم بعـدم حضورهـم قـد فوّتـوا فرصـة مهمّـة، إذ كان يمكنهـم الإفـادة كثـيراً مـن هـذه المفاوضـات الّـتي تقـدّم حلولاً لمشـكلات رئيسـيّة، والّـتي يمكـن أن تؤثّـر على الفاوضـات الثّنائيّـة، وإنّـه كان بإمـكان الفلسـطينيين اسـتغلال اجتمـاع موسـكو لمخاطبـة جمهـور عالـميّ مثلمـا فعلـوا بنجـاح في المحادثـات العربيّـة الإسرائيليّـة في مؤتمـر مدريـد».

وقـال وزيـر الخارجيّة عمر موسى:» إنّ مؤتمر موسـكو يمثّـل مفارقة تاريخيّة نـادرة، وقـال: أنّ التّعـاون الإقليـميّ لا يمكـن أن يشـكّل وحـده إطار سـلام من دون إنّ يكـون مؤسّسـاً على قوانـين العدالـة الّـتي تقـوم على انسـحاب إسرائيـل مـن الأراضي العربيّـة المحتلّـة عامّ ١٩٦٧، والاعـتراف بالحقوق المشروعة للشّـعب الفلسـطينيّ في مقابـل الاعـتراف لإسرائيـل بوجودهـا وحقّهـا في العيـش بسـلام داخـل حدودهـا المعـترف بها طبقـاً لمبـادئ القانـون الدّوّليّ وأهدافه.

وقـال الأمـير سـعود الفيصـل وزيـر الخارجيّـة السّـعوديّة:» إنّـه ليؤسـفنا

بشكل خاصّ أنّ الوفد الفلسطينيّ لم يتمكّن من الحضور وبخاصّة أنّهم الضّحيّة الأولى والحقيقيّة للنزاع العربيّ الإسرائيليّ، وهو ما يتعيّن معه ضمان مشاركتهم من داخل الأرض المحتلّة ومن خارجها».

وأضاف: « إنّ السّلام هو كلّ لا ينفصم، ولا يمكن أن يقوم ويستمرّمن دون عدالة، وأعتبر غياب الفلسطينيين تحذيراً إلى المجتمع الدّوليّ».

أمّا وزير خارجيّة قطر مبارك بن عليّ فقدّ شدّد على أنّ الحديث عن الموضوعات الّتي ستناقشها المفاوضات المتعدّدة الأطراف يصبح لامعنى لها في ظلّ الاحتلال وإنكار حقوق المواطنين الفلسطينيين.

وحاول وزير الخارجيّة الإسرائيليّة عدم الاقتراب من الموضوع الفلسطينيّ بدعوة الدّوّل العربيّة المجاورة للتّعاون في مجال حمايّة الشواطئ من التّلوّث وخفضّ التّسلّح، وقال :» لقدّبلغت تكلفة الأسلحة الّتي اشترتها الدّوّل العربيّة منذ بداية النّزاع العربيّ الإسرائيليّ سنة ١٩٤٨ حتّى سنة ١٩٩٠ أكثر من ٥٠٠ مليار دولار، وهذا المبلغ يساوي ضعف نفقات حلفيّ شمال الأطلسيّ وأوروبا مجتمعين»

وهكذا توالت الكلمات الّتي كانت تؤكّدّ على ضرورة البحث عن سبلّ السّلام من خلال مجالات التّعاون المختلفة، بالإضافة إلى ذلك تمّت الإشارة إلى إخلاء منطقة الشّرق الأوسط الأسلحة الفتّاكة النّوويّة والكيميائيّة والبيولوجيّة.

وكما أشرت لقدّ أوردت التّفاصيل المتعلّقة بالمفاوضات المتعدّدة الأطراف لعمليّة السّلام، واعتبر أنّ كثيراً من المواقف الإيجابيّة الّتي تمّ اعتمادها

لاحقاً جاءت بعد بروز جديّة الطّرف الفلسطينيّ في هذه المفاوضات، كما أنّ الدّراسة الّتي قدّمت حول الآفاق الاقتصاديّة لما بعد عمليّة السّلام في الشّرق الأوسط والفوائد الّتي ستجنيها جميع الأطراف والّتي راجعها شمعون بيريز، واطّلّع عليها أيضاً اسحق رابين كان لها أثر في وضع اللقاءات الأولى بين الطّرف الإسرائيليّ والطّرف الفلسطينيّ الّذي كنت أقوده ممثلًّا لمنظمّة التّحرير الفلسطينيّة.

لقدّ جاءت المفاوضات المتعدّدة الاطراف في زمن الانقسام العربيّ الشّديد بعد غزوّ صدّام حسين للكويت واجتياحه والغزوالأمريكيّ للعراق في فترة قياسيّة، فوقع أكثر من أربعمائة الف فلسطينيّ كانوا يعيشون ويساهمون في كلّ نواحي الحياة في الكويت في ظلّ ظروف صعبة وبالغة التّعقيد سواء من ناحيّة العمل أو الإقامة، وكذلك وقعت قيادة م. ت. ف. في نفس الأزمة، وفي نفس الوقت انهار الاتّحاد السّوفياتيّ الّذي كنّا نعتقد أنّه سندٌ لنا في مراحل نضالنا، هذا الانهيار الّذي جاء أيضاً ليعزّزالقدرات الإسرائيليّة في كلّ المجالات، سواء العسكريّة أو الاقتصاديّة، وردف الكيان الصّهيونيّ بمليون مهاجر روسيّ حصلوا على الجّنسيّة الإسرائيليّة رغم أنّ نصفهم من اليهود، والنّصف الآخر ليسوا يهوداً.

كان مؤتمر مدريد محلّ اهتمام بالغ للأخ (أبو عمّار)، وبعض الإخوة الأخرين الذين اطّلعوا على الطّريق الجديد للقاء مع الإسرائليين.

كنت أتصوّر أنّ الوفد الفلسطينيّ في المفاوضات المتعدّدة الأطراف- كما أشرت وهذا وضعني مع الأخ أبوعمّار- والأخ أبو مازن في حلقة ثنائيّة ودوائر مغلقه ، وكان أبو عمّار متفتّح العقل لمتابعة كلّ خطوة وكل موقف في

تلـك المفاوضـات . واليـوم وانـا أسـتعيد بدايـات الانتقـال الى مفاوضـات ثنائيّة، لا أضـع نقـاط انتقـاد أو اعـتراض على تلـك البدايـات، ولا أبحـث عـن مبرّرات ربمـا تكـون متجـاوزة المنطق، أو الإعجـاز في تقديـمي للطّريق الى أوسـلو . فعلى المسـتوى الشّـخصيّ ورغـم معرفتي اليوميّـة والتاريخيّـة للقضيّة الفلسـطينيّة الّتي عشـتها لحظـة بلحظـه، ويومـاً بيوم،وأعـددت نفسي للقـراءة عن الحـاله اليهوديّة بعمقهـا التّاريـخيّ والديـنيّ والفلسـطينيّ والسّـياسيّ والمَمّـت بهـا، فقـد وجـدت نفـسي في مواجهـة الحركـة الصهيونيّـة وجهـاً لوجـه، واضعـاً أفـكاراً خاصة بي عن هـؤلاء الّذيـن احتلّوا أرضاً، وقتلوا شـعبنا، ومارسـوا كلّ أنواع المجـازر ولا يزالون، وأنـا الآن أسـتعدّ للحديـث معهـم خارج دائـرة المفاوضـات المتعـددة الأطراف.

كنـت أنـا والأخ أبوعمارو الأخ أبومـازن نضع اللبنـات الأولى للحلم الذي يرسـم الكيّـان الفلسـطينيّ الّذي يجـب أنّ يقع بوضـوح ولمعان علىخارطـة العالم السيّاسـيّة، ويمثّـل شـعباً مناضـلاً معطـاء ذكيـاً دائـم الحضـور على وجـه الأرض، والّذي يسـتحق بعـد هـذه العذابـات والتّـشرّد والقمع مـن عـدوّ شرس إلى أنظمة لاتحكـم إلّا ضمـن محدوديّـة السيّاسـة الاسـتعماريّة، يحـق له أنّ يحكـم نفسـه بنفسـه، ويسـتقلّ بكيانـه، وينـتزع حريتـه المفقودة.

لا أبـرّر أو أدافـع عن تلـك المفاوضـات، ولو أنّهـا البديل الوحيـد والأفضل في تلـك الظـروف، بل ولـم يكن لدينـا أية خيارات أخـرى بعد أنّ وقـف العرب ضدنـا، وبعـد أنّ إنهار الإتحاد السـوفيّاتيّ، وبعد أنّ تـوزع مقاتلونا على كل الأرض العربيّـة الـتي قبلتهم دون أنّ يكـون بإمكانهم الوصـول الى أرض الوطن.

وبعـد الانشـقاق الكبير في حركة فتـح و الّذي رعته سـوريا ودفعت بمجرميّ حركـة أمـل لشـن حـرب على مخيماتنـا ، ومجـزرة صـبرا وشـاتيلا وكأن العالـم كلّه

كان يقف ضدّ وجودنا؛ فلقد أوقفت دول الخليج الدعم المالي، وعشنا عشر سنوات عجاف منذ الإجتياح الإسرائيليّ للبنان عام ١٩٨٢، وترددت عبارة ياوجدنا مجدداً حتّى ومع تسلسل الأحداث الّتي ذكرت وحتّى القمة العربيّة التي عقدت في عمان عام ١٩٨٧ والتّي كانت تشير الى محاولة إلغاءم.ت.ف، لولا تلك الحجارة التي انطلقت في الوطن المحتلّ بأيدي أطفال فلسطين، انتفاضة الحجارة الّتي منعت مجدّداً القضاء على الثّورة الفلسّطينيّة وقيّادة م.ت.ف .

وبعد أنّ كنا في أسوأ وضع سيّاسيّ على المستوى الدّولي والعربيّ رغم هذه التّضحيات الجسام وعبر عشرات السنين الّتي لم يتوقف فيها الدم الفلسّطينيّ عن النزف، وكانت القيّادة الفلسّطينيّة -كمن فيها ماء- لاتستطيع الصراخ أو الكلام ... كانت حجارة أطفال فلسطين وكأنّها في الروح التّي أعيدت إلى الجسد الفلسّطينيّ لتجدّد دورة الحياة في روح المقاومة والقيّادة الفلسّطينيّة.

لقد أعطت هذه الانتفاضة إمكانيّة عودة مكانة م.ت.ف والشّعب الفلسّطينيّ الى إشعاع تشير إلى الكيانيّة الفلسّطينيّة القادمة .

لقد جاءت الانتفاضه والقيّادة الفلسّطينيّة والشعب الفلسّطينيّ بحاجة ماسة إليها وأتت في الوقت الّذي أصبحت فيه وسائل الإعلام المرئيّة تدخل كلّ بيت في العالم، وأصبح العالم يرى ويسمع كل حركة يقوم بها الطفل الفلسّطينيّ الّذي قدّم وعَرّف العالم بالهمجيّة الإسرائيلية والعدوان والاحتلال والقهر الإسرائيليّ للشعب الفلسّطينيّ، ودفعه للتّعاطف معه، وتأييده وكشف هذا الإجرام والصّلف الصّهيونيّ، وسبق هذه الانتفاضة جهاد شعب فلسطين ومعاناته، والمجازر الصّهيونيّة التّي مارسها ضده دون أنّ يرى العالم تلك

الفظائع، بل وكان من السّهل التعتيم عليها، وكان الشّعب الفلسطينيّ وحده ودائماً وحده في كلّ المعارك حتّى أنّ القوّة العربيّة التّي جاءت عام ١٩٤٨ تقاتل العدوّ الصّهيونيّ لم تتمكّن من تحقيق الأهداف التّي جاءت من أجلها، لضعف شديد في الإمكانيّات، وإلا كيف يواجه جيش من ستّة دول عربيّة والّذي يبلغ عدده سبعة آلاف جنديّ عربيّ،مقابل سبعين ألف جنديّ صهيونيّ .

لقد لعبت الفضائيّات دوراً هاماً جعلت الرّأي العامّ العالمي بل وجزء كبير من الرأي العام الإسرائيليّ يراجعون مواقفهم وسياساتهم تجاه خطط القيادة العسّكريّة الإسرائيلّة ، ودفع المعارضة الإسرائيليّة للبحث عن وسيلة اتّصال مع قيادة الإنتفاضة من أجل إيجاد حلّ ومخرج سياسيّ لهذا الاشتباك المتواصل.

لقد كان واضحاً للإسرائيليّين أنّ الشّعب الفلسطينيّ مستمرّ في نضاله لتحقيق حقوقه الوطنيّة المشروعة، بل أنّ هذا الشعب يجدّد مقاومته بأشكال جديدة متعدّدة ولا تنقصه الحيله في الابتكار، وتصعيد المقاومة الشعبيّة باساليبها المختلفة استكمالاً للعمل العسكريّ فلقد حدّد شعب فلسطين في الوطن المحتلّ أسلوبه في مقارعة الإحتلال وقواة المدجّجين بالسلاح، بالحجاره والدّواليب المحروقه، والمقلاع (مقلاع داوُد) والنقيفه، وامتلاء ثياب نساء فلسطين بالحجاره ليحملها أطفال فلسطين وشبابها في مواجهة البنادق والرّشاشات من العوزي حتّى G٣-وحتى M١٦، وكذلك الرّصاص الحيّ والمطاطيّ.

وانطلقت المقاومة الشّعبيّة دون بنادق، بل استعلمت المسامير في طريق

المستوطنين، والسّكاكين، وبعض الحرائق، وإهدار مياه المستوطنات ووضع الحجارة في الطّرق أمام قوات الإحتلال وكانت هذه الإساليب تدهشّ العالم عند رؤيته أشكال هذه المقاومة الشّعبيّة في وجه الألة العسكريّة الإسرائيليّة.

لقد عاش كلّ فلسطينيّ بهذا العالم تلك الحالة ، وشعر أنّه جزء من الحجر والسّكين، ولم يعد دخان الإطارات المتصاعد يضايق الرّؤيا، ولاحاويات القمامه الّتي تحوّلت الى متاريس تحمي الأجسّاد الصغيرة من الرّصاص القادم من بنادق جنود الاحتلال. وهنا يبدع الأخ أبو عمار عندما يقول عن أطفال الحجارة إنهم جنرالات فلسطين، فالشّتات لم يبق لنا إلا الحلم، والإيمان بحقنا ووطننا . ولهذا عندما بدأت الإشارات الأولى لعقد مؤتمر مدريد للسّلام، ولم يكن هناك رفضٌ فلسطينيٌ للمشاركة حتّى عند (الرّافضين جبهة الرّفض الفلسّلطينيّة).

وأعتقد جازماً أنّه لولا الانتفاضة لما ظهرت ملامح اللقاءات الأولى والمفاوضات الّتي امتدّت من عام ١٩٩٢ وحتّى تواصلها، وصعود توقّعات نتاائجها عام ١٩٩٣، وما سميّ ب (مفاوضات أوسلو).

لقد شجّعت مفاوضات مدريد- واشنطن على قبول اللقاء ولو بطرق غير طريق مدريد- واشنطن، والبحث عن بوابة جديدة للخروج من المأزق الّذي صنعه شامير وفريقه، والعقبات الّتي وضعت أمام الفريق الفلسطينيّ المفاوض، وعدم وجود دعم عربيّ عبر وزير الخارجيّة السّوريّ آنذاك فاروق الشرع بقوله :» كلّ واحد يقلعّ شوكه بإيده « ويحضرني خطاب الأخ (أبو إياد) آنذاك في جمهور فلسطينيّ سبق مفاوضات أوسلو حول الدّولة:» هذه الدّولة لكلّ الفلسطينيين، هذه الدّولة لنا جميعاً».

عـدة اطـراف هي المعنيـة بالتّخلـصّ مـن القائـد العسـكري لحركة فتح وللثـورة الفلسـطينية والحركـة الوطينيـة، هو القائد اللواء سـعد صايـل الّذي كان يفخربـه الملـك حسـين ويعتبره جنرالاً عنـده، وبالتّـالي فهنالك الأطـراف المعنية للتّخلـصّ منـه وهي: الولايـات المتّحـدة وإسرائيـل، وكذلـك الاسرائيليـون الّذين نسـعى اليهـم بعـض القـوى اللبنانيّـة ليصبحـوا هـم القـوة الأساسـيّة في الجنـوب اللبنـاني مـن خـلال عدم عـودة منظّمة التّحريـر الفلسـطينيّة وبالطّبـع قائدها في لبنـان اللواء سـعد صايل.

الاهتمام الأمريكيّ والإسرائيليّ

خلال فترة وجيزة جدّاً بعد مغادرة بيروت استطاع الأخ سعد صايل (أبو الوليد) من إعادة التّنظيم السّياسيّ، وتنظيم القوّات العسكريّة لحركة «فتح» وبالتّالي وبسرعة مذهلة أصبحت هذه القوّات تقوم بعمليّات عسكريّة خلف خطوط العدّو الّتي تمتدّ من صيدا وحتّى صور والبياضة والنّاقورة.

وقد أوقعت هذه القوّات التي تجدّدت فيها روح المقاومة خسائر فادحة بقوّات العدوّ، وبالذّات في منطقة الجبل، حيث كان يتمّ تنسيق العمليّات مع قوّات الحركة الوطنيّة اللبنانيّة الّتي بدورها اعادت تنظيم صفوفها، لتعميق عمليّة التّشاور والتّنسيق مع حركة فتح في بيروت. لهذا وضعت إسرائيل «أبا الوليد» على رأس قائمة الاغتيالات الّتي أعدتها لاغتيال القيادة اللبنانيّة والفلسطينيّة، وكان اغتيال أبو الوليد رحمه الله مخطّطاً ومصلحة إسرائيليّة.

وبما أنّ الولايات المتّحدة كانت الرّاعي والضّامن لاتّفاقية وقف إطلاق النّار، فقد كان من ضمن اتّفاقية فيليب حبيب عدم وجود أيّ من أفراد المقاومة الفلسطينيّة على السّاحة اللبنانيّة باستثناء الفلسطينيين الّذين يحملون بطاقة لاجئ فلسطينيّ وبطاقة الأنروا للإغاثّة. لذلك فإنّ الولايات المتحدة اعتّبرت أنّ وجود اللواء سعد صايل « أبو الوليد» على الاراضيّ اللبنانيّة وتحركاته لإعادة تشكّيل قوّات «فتح» مخالفة صريحة و خطيرة للاتّفاق الّذي وقّع مع قيادة م.ت.ف لهذا كان الهدف الإسرائيليّ الامريكيّ للتّخلّص من القائد (أبو الوليد) و منسجماً ذلك مع الهدف السّوريّ وتابعيها.

اللـواء سـعد صايـل (أبـو الوليد) هو سـعد وليـد صايـل «أبو الوليـد»، ولد في قريـة (كفـر قليـل) الواقعـة على السّـفحّ الـشّرقيّ لجبل جرزيـم أحدّ جبـال مدينة نابلـس عام ١٩٣٢، والتحـق بالكلّيّـة العسـكريّة الأردنيّـة عام ١٩٥١ في بداية مرحلة تأسـيس الجيش العـربيّ الأردنيّ .

- أرسل إلى بريطانيا عام ١٩٥٤ في دورة عسكريّة.

- أرسل إلى مصر عام ١٩٥٦ في دورة عسكريّة.

- أرسل إلى العراق عام ١٩٥٨ في دورة عسكريّة.

- أرسـل إلى الولايـات المتّحدة الامريكيّـة في دورة عسـكريّة عام ١٩٦٠، ومرّة أخرى عام ١٩٦٦.

- تـدرّج في عـدّة مناصب عسـكريّة في الجيش العـربيّ الأردنيّ وأسـندت إليه قيـادة لـواء الحسـين بن علي وهـو يحمل رتبـة عقيد.

- اشـترك في معركـة الكرامـة الخـالدة عام ١٩٦٨ وكان دائم التّنسـيق مـع القائد مشـهور حديثـة أحدّ أبـرز قيـادات الجيش العـربيّ الأردنيّ .

- أصبح قائداً للواء الهاشميّ، ومستشاراً للملك حسين.

- في أيلـول عام ١٩٧٠ تـرك منصبـه الهامّ في الجيـش الأردنيّ، والتحق بالمقاتلين الفلسـطينيين. وأسـندت إليـه فتـح عـدّة مناصـب نظـراً لقدراته العسـكريّة منها :

- عضو في القيادة العامّة لقوّات العاصفة.

- عضو في قيادة الأرض المحتلّة و رقيّ إلى رتبة عميد.

- مديراً لهيئة العمليّات المركزيّة لقوّات الثّورة الفلسطينيّة.

- اختير عضواً في المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ، وشارك في مؤتمرات وزراء الدّفاع ورؤساء الأركان العرب.

- تمّ انتخابه عضواً في اللّجنة المركزيّة لحركة فتح، ونال أعلى الأصوات في المؤتمر الرّابع لحركة فتح الّذي عقد في دمشق عام ١٩٨٠. كان (أبو الوليد) مثال الشّرف والانّضباط والالتزام، وقد نال العديد من الاوّسمة لتفوّقه في الدّورات العسكريّة أثناء وجوده في الجيش العربيّ الأردنيّ تقديراً على مستوى قدراته وكفاءته العسّكريّة.

- كان القائد العسكريّ الأوّل إلى جانب الأخّ القائد العامّ أبو عمّار والأخ أبو جهاد الّذي أعدّ الخطّط لمواجهة عدوان شارون وجيشه في بيروت وأسقط كلّ محاولته الدّخول إلى بيروت الّتي بلغت ١٧ محاولة.

في ١٩٨٢/٩/٢٩ توجّه الأخ أبو الوليد إلى سهل البقاع ليبارك لمقاتليه العيد. ورغم تحذيره مسبقاً من قوّات الأخوين (أبو عمّار) و(أبو جهاد)، لكنّه أبلغهم أنّه ليس هناك من القيادة من يهنّئ الفدائيين المقاتلين في عيدهم في البقاع وسيقوم هو بالمهمّة مفضّلاً ذلك على عمرة للبلاد المباركة. وهناك في البقاع، تمّ اغتياله حيث تجمّعت المصالح في قتله، وتمّ توديعه في دمشق في جنازة مهيبه شارك فيه الفلسطينيون بكل انتماءاتهم وكذلك السّوريّون وبمشاركة كلّ من الأخوين أبي عمّار وأبي جهاد.

إلى متى ستبقى إسرائيل متعنّتة؟ وماذا تهدف؟

عند الحديث عن بقاء إسرائيل أو نفي دورها، فإنّ الأمر يتطّلب ظروفاً وإمكانات جديدة ومستجدّة، وليس هذا بالأمر الهيّن في ظلّ واقع ومتغيّرات متواصلة، بلّ وحادّة على كلا الطّرفين العربيّ والإسرائيليّ، وخاصّة على الطّرف الفلسطينيّ الّذي اعتقد الكثيرون أنّه انتهى من خلال الضّغط على القيادة الفلسطينيّة ومحاربتها سياسيّاً وماليّاً، وكما نقول دائماً: « إنّ الفلسطينيين كطائر الفينيق ينهض من الرّماد مجدّداً»، وهكذا سُجّلت سنوات مقاومة الشّعب الفلسطينيّ منذ أوائل القرن التّاسع عشر وحتّى اليوم ثوابت لا يمكن تجاوزها، حيث تؤكّد أنّ شعبنا لا يتنازل عن حقوقه المشروعة ويمارس من أجل تحقيق ذلك كلّ الوسائل والأدوات والامكانيّات، ولن تتمتّع المنطقة بالهدوء والاستقرار بدون أن يحقّق الشّعب الفلسطينيّ حقوقه الوطنيّة المشروعة في العودة، وتقرير المصير، وإقامة الدّولة الفلسطينيّة المستقلّة وعاصمتها القدس.

لقدّ سقط مشروع إسرائيل الكبرى الّذي كانت تفكّر أنّها تقترب من تحقيقه بصمود الفلسطينيين على أرضهم المحتلّة عامّ ١٩٤٨، وعامّ ١٩٦٧، وإسقاط مشروع التّهجير الّذي اتّبعته إسرائيل على أمل إخلاء الأرض من سكّانها.

المهمّة الصّعبة

لـمّ يكـنّ سـهلاً عليّ اسـتيعاب تلـك المهمّـة الّـتي كلّفـت بهـا بعـد لقاء لارسـون والأخ أبا عمّار في تونس رسـميّاً، فأنا الآن أواجه ذاتي وشـخصيّ وروحي، وأسـتعرض وجـوه أطفـالي وزوجتي وأهـلي، وكلّ الوجوه الّـتي أحببتها خـلال حياتيّ ومراحـل نضـاليّ. وكذلك اسـتعرضتّ أسـماء الأبطال من شـعبنا.

وقابـل ذلـك قـراءتي للواقـع الّذي نعيشـه في منظّمـة التّحرير الفلسـطينيّة فقـدّ كنـت ألتـقي الأخ (أبـو عمّـار) بشـكل شـبه يـوميّ، وألتقيـه مبـاشرة بعد كلّ رحلـة يقضيها بـين المعسـكرات البعيـدة في الدّوّل البعيدة.. ونتـدارس كلّ ما يحيط بنـا؛ فنحـن محـاصرون، ونحـن في أضعـف وقـت عاشـته م. ت. ف، ونعيـش مـع انقـلاب عالـميّ جديد لـم يخطرّ ببـال أحـد، وهو انهيـار الاتّحـاد السّـوفيّاتيّ بدون مقدّمـات إلى خـداع غورياتشـوف (بالبرتسـترويكا) « البناء الجّديـد»، والّذي على إثـره تـمّ توجيه يلتسـين لتدمـير الاتّحاد السّـوفيّاتيّ «العظيـم». كان هـذا التّحوّل قدّ أدّى إلى تهديد شـطب القضيّة الفلسـطينيّة عن السّـاحة الدّوليّـة وإلغاء حضورها، وبالطّبـع لـم يكـنّ قـادة تنظيمات المقاومـة وفصائلها الأخرى وحـتّى بعض قيادات حركـة فتـح قادريـن على اسـتيعاب التّغـيّرات والتّحـوّلات الّـتي صعقـت العالـم، ووضعتـه في يـدّ دولـة واحدة هي الولايّـات المتّحدة صانعـة إسرائيـل وحاميّتها منذ عامّ ١٩٤٦ وحـتّى اليـوم. أضـفّ إلى ذلـك الانهيـار في العلاقـات العربيّـة بعد حرب صـدّام حسـين على الكويـت واحتلالها، ووضـع قيادتنـا في فوهّة مدفع العـداء، وما ترتّـب على ذلـك مـن حصـار سـياسيّ ومـاليّ، بـلّ وأكـثر مـن ذلـك طـرد عشرات الآلاف مـن الفلسـطينيين بشـكل مهين.

إنّني أعدّ نفسي لمهمّة دقيقة وحسّاسة وسرّيّة في بدايتها، ولكنّها في المجمل لمّ تكنّ بتلك السّرّيّة الفائقة؛ فقدّ علم بها من خلال (الأخ أبو عمّار) العديد من رؤساء الدّوّل وبعض الكادر الفتحاويّ، ومن لمّ يعرف من الدّوّل العربيّة مباشرة من الأخ (أبو عمّار) فقدّ علموا بها من قنواتهم مع إسرائيل وأمريكا.

استعدّت ذكرياتي ومعارك بيروت الّتي لمّ تتوقّف، والّتي أدخلنا إليها مرغمين مع الحركة الوطنيّة، ووضع أهلنا هناك في المخيّمات، ومحاولاتنا للتّخفيف عنهم بكلّ الوسائل... واستعدّت صورة شهداء صبرا وشاتيّلا وقبلها تلّ الزّعتر ومخيم النّبطيّة وكلّ أهلنا في مخيّمات الشّمال والجّنوب، وكذلك أهلنا المشتّتين في كلّ الأرض، وما كنت أجلس حتّى أنهضّ لأرى احتياجاتي في حقائبي الخاصّة والمميّزة الّتي سأسافر بها من مطار إلى آخر، ومن مدينة إلى مدينة لأصل إلى أوسلو حيث اتّفقنا على لقاءاتنا الجّديدة... ومجدّداً استعيد ماذا في جيبي من أوراق وأفكار وتعليمات وتوصيّات.

كانت أوراقي عن تاريخ حروبنا مع إسرائيل محفورة في ذاكرتي، لكنّ معركتنا الأخيرة الّتي ساهمت في تجميع أوراقي وحقائبي هي الانتفاضة الّتي فرضت واقعاً فلسطينيّاً جديداً على الأرض، وشكّلت قانوناً نضاليّاً جديداً في تاريخ حركات التّحرّر من أجلّ الحريّ والاستقلال، لكنّ هذه الانتفاضة استنفذت كلّ أوراقها بعد التّدخلّات الكثيرة، وتنافرّ الفصائل في استغلالها.

ولكيّ أهرب من واقعي المشتّت هنا وهناك بدأت أجمع بعض الدّفاتر الصّغيرة لـِ (كتابة الملحوظات) وتلك الأقلام الّتي تسهل الكتابة فيها، لكنّ أفكاري عادت إلى مؤتمر السّلام في مدريد، وما يجري في ممرّات وزارة الخارجيّة،

والـصّراخ والـصّراع مع أسـوأ فريـق إسرائيليّ بـدأ، وتزعّمه شـامير في مدريد، وهو قائـد حـزب الليكـود اليميـنيّ المتطـرّف الّذي بصلافة قـال: «سـنفاوض لمدّة عشر سـنوات، ولـنّ تكـون هنـاك نتيجـة»، وأرسـل رئيسـاً للوفـدّ الإسرائيـليّ الأكثر صلافـة ووقاحـة من شـامير روبنشـتاين الّذي قال عندمـا أصرّ الوفد الفلسـطينيّ في إحـدى الجّلسـات أن تجّـري المفاوضـات بـين وفـدّ فلسـطينيّ (غـير مختلـط بأردنيـين) ووفـدّ إسرائيـليّ، اعـترض روبنشـتاين بشـدّة على هذا الاقـتراح، وقال: «ليس هناك شيء اسـمه فلسـطين ووفدّ فلسـطينيّ، والّذي تسـمونه فلسـطين كان جـزءاً مـن أرض احتلّهـا الغـزاة والحضـارات الّـتي اجتاحـت المنطقـة، وآخر من احتـلّ ما تسـمونه فلسـطين كان الأردنّ».

إنّ مثـل هـذه المواقـف كانـت تـؤشّر إلى فشـل أيّـة مباحثـات مـع الوفـدّ الفلسـطينيّ، وخاصّـة إنّ وفدنا كان فيـه يعتقدّ أنّ الطّرف الأمريكـيّ سيسـاعده في المفاوضـات، في الوقـت الّذي كان الوفـدّ الأمريكـيّ يردّد ما يتحـدّث به الوفدّ الإسرائيـليّ وأنّ كلّ مـا كان يقدّمـه للطّـرف الفلسـطينيّ هـو الطّلـب منـه تقديم التّنـازلات تلـو التّنـازلات للطّرف الإسرائيـليّ، ولهذا كانـت الثّقة في غـير محلّها.

ردّ رئيـس الوفـدّ الأردنيّ الدّكتـور عبـد السّـلام المجـاليّ على روبنشـتاين بـأنّ مـا ذكـره غطرسـة وتكـبّر في غـير محلّهـا، فأجابـه: «لأنّ مسـاعدك (أيّ د. عبـد الشّـافي) يقول بألّا نسـتطيع أن نسـكت عليـه، ونتركه دون جـواب)، وكادت كلمـة مسـاعدك أن تـؤدّي إلى مشـادّة كلاميّـة لا نهايـة لها.

تدخّـل الطّـرف الأمريكـيّ حـتّى لا يتفاقـم الوضـع، وحـدّدوا أنّ الوفـدّ الفلسـطينيّ هـو جزء مـن الوفـدّ الأردنيّ لكّنه يتمتّـع بالاسـتقلاليّة اللازمة. وهذا الوضـع كان اسـتمراريّة لمفاوضـات مدريـد حيـث كان جـوّ المفاوضـات متوتّـراً

ومعقّداً ومتعنّتاً من الوفدّ الإسرائيليّ الّذي وضع شروطاً تفجيريّة، وكما أشرنا أنّ الوفدّ الإسرائيليّ هو إسحق شامير الّذي وضع أمام وفدنا شروطاً استفزازيّة وصعبة منها:

١. ممنوع أن يكون بين أعضاء الفلسطينيين (الوفدّ الأردنيّ الفلسطينيّ المشترك) مقدسيّ، فأخرج من الوفدّ كلّ من د. حنان عشراويّ، وفيصل الحسينيّ.

٢. ممنوع أن يأتي إلى المؤتمر أيّ فلسطينيّ من داخل أعضاء المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ أو منظّمة التّحرير الفلسطينيّة.

٣. ممنوع ذكر منظّمة التّحرير الفلسطينيّة في الكلمات الّتي ستلقى.

ورغم وقاحة هذه المطالب فقدّ وافق الوفدّ الفلسطينيّ على هذه الشّروط لكون أنّ العناصر الفلسطينيّة المشاركة في الوفدّ الأردنيّ الفلسطينيّ هي عناصر وطنيّة لن تخرج عن المسلّمات الفلسطينيّة، وكذلك مع معرفة انّ الولايّات المتّحدة كانت موافقة على شروط شامير؛ لأنّها لمّ تكنّ تعد قدّ قرّرت التّعامل مع منظّمة التّحري الفلسطينيّة كممّثل شرعيّ وحيد للشّعب الفلسطينيّ.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّه كان لكلّ ضارّة نافعة؛ فشامير كان يتصرّف في المؤتمر وكأنّه ملك إسرائيل، بلّ ملك مؤتمر مدريد دون منازع. ونتيجة لهذه المواقف زعزع ثقة الإسرائيليين الرّاغبين في السّلام به وبتصرفاته وما أن انتهى مؤتمر مدريد وبدأ البحث في استئناف المفاوضات في واشنطن حتّى واجه شامير صعوبات في وزارته الائتلافيّة، كما انّ ديناميكيّة المفاوضات أدّت

إلي تعقيدات، فتمسّك الأمريكيّون بضرورة الاعتراف بقيادة فلسطينيّة ما تكون مرجعيّة للمفاوضات، لكنّ شامير رفض، فاضطّر للدّعوة للانتخابات المبكرّة والّتي كانت نتيجتها فشل شامير فشلاً ذريعاً، وتسلّم اسحق رابين رئاسة الحكومة الإسرائيليّة عن حزب العمل وهو الّذي كان جزّاراً في الانتفاضة، وفي أبعاد أكثر من (٤٠٠) ناشط فلسطينيّ إلى مرجّ الزّهور جنوب لبنان كما أشرنا لأنّه لم يستطع أن يرسلهم إلى الأردنّ لأنّ هناك مباحثات تجري بين الوفد الأردنيّ والإسرائيليّ ولا يريد تعقيد تلك المباحثات أو تخريبها، فأرسل المبعدين إلى جنوب لبنان، لكنّ مجلس الأمنّ أقرّ بالاجماع (بما في ذلك الولايّات المتّحدة) إدانة إسرائيل، والمطالبة بإعادة المبعدين.

كان هذا القرار فرصه أمام رابين، فاجتمع النّوّاب الإسرائيليون، وألغوا قراراً سابقاً بتحريم التّعامل مع منظّمة التّحرير الفلسطينيّة، ومحاكمة كلّ إسرائيليّ يلتقي أو يقيم علاقة مع المنظّمة.

وهكذا سهّل رابين فتح بوابة الحوار واللقاء بين الإسرائيليين وبيننا، كما آشار لي هيرشفيلد بعد تسلّم رابين رئاسة الوزراء الإسرائيليّة وأنّ هناك فرصة لاقامة السّلام، الأمر الّذي أعطى الإذن ببدء مفاوضات أوسلو.

كلّ هذا استعرضتّه في مراجعاتي وإعداد نفسي للمرحلة القادمة من أجلّ تحقيق الأهداف والتّوجيهات الّتي كلّفت بها، والّتي نأمل ألّا نفشل فيها كما فشلت مفاوضات ممرّات وزارة الخارجيّة الأمريكيّة.

إنّني استعين الآن بتلك المرحلة الصّعبة جدّاً الّتي فرضت عليّ الدّخول في التّجربة التّفاوضيّة بصمت عميق وروح هائجة قلقة لا تراها إلّا نفسي...

إنّـني ذاهـب إلى شـمال الكـرة الأرضيّـة الأكـثر بـرودة لعلّـني أرى بعـض الدّفء لقضيّتي .

والآن- وأنـا أسـتعيد كلّ تلـك التّفاصيل حـتّى الخاصّة منها- أجـدّ أنّه لزامٌ عليّ أن أقتحـم هـذا الطّريـق؛ لـكيّ أسـاهم في الحفـاظ على كرامـة ثورتنـا وقيادتنـا وتاريخنـا ونضالنـا الّذي أراد له الكثـيرون زواله في ظـلّ اختـلال لموازيـن القـوى، وخاصّـة بعـد أن خرجـت مـصرّ نهائيّـاً من دائـرة الـصّراع تاركة الفـراغ الأكبر في مواجهـة العـدوّ. وفي نفـس الوقت هـذا الانهيـار الّذي يتفوّق على الخيال، وإمسـاك الولايّـات المتّحـدة الحليف الأقـوى لإسرائيل بزمـام الحرب والسّـلام في العالم بعد أن فقـد الاتّحـاد السّـوفياتيّ وجـوده وحضوره، وتقزّم في يد شـخص اسـمه يلتسـين.

أصبحـت الولايّـات لا تـرى إلّا بعيـون إسرائيليّـة، ونحـن في مواجهـة تصدّرهـا بعـض العـرب بعـد احتـلال الكويـت. ورغـم تلـك لاانتفاضـة الخالدة والمجيـدة، أراد بعـض العـرب إذلالنـا بتلـك المبالـغ المغموسـة بالنّفـاق والتّذلـل وحـتّى اليوم.

أنّـني الآن في طريـقي إلى أوسـلو بعـد لقائـين في لنـدن مـع هيرشـفيلد ولارسـون لإتمـام اللقـاءات في أوسـلو بعد اقـتراح هيرشـفيلد الموجّه مـن قيادة ما في إسرائيـل قريـب مـن صنّـاع القـرار الجّدد بعـد هزيمـة شـامير في الانتخابات الّـتي كان قبلهـا كالطّـاووس فـارداً ريشـه متحدّيّاً.

جـاءت هذه القناة ليسـت بديـلاً عن مؤتمـر مدريد، بلّ هي شـبه موازية لمـا كان يجـري في واشـنطن مع الحـذر الشّـديد في التّعامـل، ودون رقابـة أو تحديد معـاني للكلمات.

وأؤكّد الآن أنّ قناة أوسلو لم يكن مخطّطاً لها مسبقاً، بلّ اجتمعت عدّة عوامل وعناصر وظروف لتصنع ملامح الطّريق إلى أوسلو. جاء تيدي لارسون وزوجته ليكونا المفاتيح الأولى للأبواب المغلقة بعد لقائي في لندن، وخاصّة أنّهما استمدّا قوتهما من الاحتكاك المباشر مع الفلسطينيين في الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة، وخاصّة أنّ زوجته كانت تعمل في السّفارة النّرويجيّة في القاهرة والّتي كانت هي ولارسون يجمعان المعلومات حول الواقع الاجتماعيّ والاقتصاديّ في الأرض المحتلّة، وأعدّا بحوثاً هامّة حول ذلك.

وربّما أيضاً لعبت زيارتي إلى أوسلو الرّسميّة وذات الطّبيعة الاقتصاديّة، وبعد أن قدّمت للاتّحاد الأوروبيّ الورقة الّتي عنونتها بعنوان (عوائد السّلام في الشّرق الأوسط)، والّتي أشرت إليها سابقاً وخاصّة في المفاوضات المتعدّدة الأطراف. لقدّ اطّلع عليها الأوروبيّون والأمريكيون، وأبدوا اهتماماً بها، وبالطّبع وصلت هذه الورقة إلى أسرائيليين كما علمت من يائير هيرشفيلد، وقد اطلّع شمعون بيرس ويوسي بيلين و رابين اطّلع عليها، وشجّع على استمرار القناة الّتي فتحت في جدار مغلق من الصراع العربيّ الإسّرائيليّ، بل الصّراع الفلسّطينيّ الإسّرائيليّ على مدى عشرات الأعوام الّتي مضت، ورأى معظم الّذين اطّلعوا على الورقة أنّها ممكن أنّ تكون البوابة الأسّاسيّة والممكنة والقابلة لتكون اساساً للحوار الفلسّطينيّ الإسّرائيليّ.

لقد أشرت إلى كلّ تلك العوامل الّتي أدت إلى فتح قناة أسلو، والّتي تجمّعت حتّى من لقاءات الدّكتورة حنان عشراوي والأخ فيصل الحسينيّ مع عدد من المفكريين والسياسيّين الإسّرائيليّن الّذين كانوا يرون أنّ هناك إمكانيّة لإيجاد سلام في الشّرق الأوسط وعلى ساحة فلسطين.

وكما أشرنا لم نكن نضع أنفسنا في فتح هذه القناة على خطّ موازٍ لمفاوضات واشنطن، فليس في وسيلتنا مايلتقي مع تلك القناة وماكنّا نهدف إليه هو الخروج من تحت نهر السّياط الّتي تنازعنا حقّنا وحقوقنا في الوجود والحرّية والاستقلال؛ فلقد اجتررت تلك التّواريخ والأحداث والأسماء، ولم أبعد نفسي عن الارتدادات المحتملة الآن فلقد انتهت إمكانيّة الانسحاب من المهمّه.

أنهيت ترتيب حقائبي وأفكاري واستعدادي للوصول إلى أوسلو الممتّدة طريقها من تونس إلى لندن، ومن ثمّ إلى أبرد مناطق الكرة الأرضيّة، وتحيط السّرّيّة بالخطوات الأولى، فنحن لسنا على خبرة كبيرة في أصول العمل السّرّيّ السّياسيّ خاصة مع عدّو دامت العداوة والصّراع معه عشرات السنين ... ولهذا كنت حذراً حتّى من أفكاري وأحلامي الّتي لم اراها واقعيّة آنذاك .

لقد أشرت إلى أنّ المفاوضات أعدت بسرّيّة بالغة وتكتم شديد، ومحصورة في أسماء محدودة وأوقات محددة أيضاً، وهذا يساعدنا في عدم إمكانيّة تدخّل قيادات الفصائل أو بعض قيادات الفصائل أو بعض قيادات فتح للتّدخّل والدّخول في مهاترات ومزاودات عديدة، وخاصّة أنّ معظم تلك القيادات أصبحت تعيش على الجدال الجدليّ الّذي يأتي بنتائج مرسومة على قدر مستوى حديثهم الّذي لايتوقّف، واستنتاجاتهم الّتي تنتهي بأفكار ماوسي تونغ أو لينين زماركس، ولاتعطي إشارة أو عنواناً قابلاً للفهم .

في يوم ١٩٩٣/١/٢٠ وصلت إلى اوسلو

وصلنا إلى أوسلو أنا والفريق المفاوض الّذي كانت مهمته المشاركة في المناقشات بيننا كفريق واحد، وفي الاجتماعات مع الفريق الآخر.

وبالطّبع وبتكتّم شديد كانت رحلتنا تفرض توقفنا في محطّات مختلفة حرصاً على عدم ظهورنا في المطارات الّتي تحدّد هدف رحلتنا، ولم يكن الوفد الإسّرائيليّ أقلّ حرصاً منّا على التّكتّم على هذه اللقاءات لاعتبارات داخليّة حزبيّة ودينيّة وسيّاسيّة كما حالنا.

ولا زلت أذكر ماقاله لي الأخ أبوعمّار وهو يودّعني: « إنّ الفرصة محدودة، ونهايتها غير معروفة، ولكنّها تستحقّ الاهتمام».

من خلال معرفتي به، والّتي دفعتني للاهتمام والاستماع لحرفيّة كلماته أنّه كان يبحث عن أيّة نافذة أو فكرة أو طريق لاخراج قضيتنا من هذا الحصار الإسرائيليّ الأمريكيّ العربيّ، فنحن وحدّنا كما هي العادة في كل أزماتنا . كما أنّ معرفته بتفاصيل مايجري في كاريدورات وزارة الخارجيّة الاميركيّة دفعه لتبنّي هذه الطّريق، وتكليفي شخصيّاً بهذه المهمّة .

وصل فريقنا الّذي كان يضمّ الاخوة حسن عصفور والدكتور ماهر الكرد إلى النّرويج، ولم يكن مع أيّ منّا تأشيرة دخول؛ لأنّنا كنّا نعتقد أنّ المضيف والّذي أعدّ إلى لقاء أوسلو تيري لارسون وزوجته منى غول قد رتّبا الخطوات كافّة الّتي تدخلنا إلى أوسلو بعيداً عن الإجراءات المعتادة زيادة في الحرص والتّكتّم.

وعندما اكتشف موظف الهجرة والجوازات النرويجيّ أنّنا لانحمل تأشيرات دخول وضعنا على لائحة الانتظار حتّى يجري اتصالاته؛ فنحن وصلنا دون تأشيرات يضعنا في حالة شبهة... وبدأت حاله من الغضب الصّامت تنتابني؛ لأنّني كنت أرى تيري لارسن واقفاً غير بعيد عنا دون أنّ يحرك ساكناً، ويراقب كيف سيتمّ تعاملنا والتّعامل معنا وكأننا لانعنيه في شيء. وأعتقد أنّه كان يجري اتّصالاته اللآزمة دون أن يثير أيّة شكوك حوله، وأيضاً حتّى الجانب النّرويجيّ كان حريصاً على نجاح هذه اللقاءات الّتي كانت تشكّل منافسة مع السّويد كما قال الأخ أبوعمّار للآرسون في تونس، والّتي أعطت للسّويد سبق التّأثير على الجانب الاميركيّ للقاء مع القيادة الفلسّطينيّة.

كان الغضب يظهر على وجهي في ظلّ لاأبالية غير صحيحة للوفد المرافق، فأعينهم لم تتوقّف عن الحركة رغم الهدوء والاستكانه الّتي تغلف سكونهم.

ولا أخفي أنّه كانت لدي رغبة في أنّ يمنعوننا من الدّخول حتّى أجد عذراً لعدم استكمال اللقاءات ...وفي هذا الوقت حصلنا على تأشيرات الدّخول فهربت فكرةالتّهرّب، وعدت إلى الواقع، وكان لارسن قد أجرى اتّصالاته بالخارجيّة النّرويجيّة وتمّ تسهيل خروجنا، و رأى لارسن عيناي الحمراوتان من الغضب والارهاق والقلق، في حين توقفت بسمتان على وجه ماهر الكرد وحسن عصفور بشكل ثابت... استطيع منها معرفة مايدور في ذهنيهما.

اصطحبنا لارسن في سيّارته إلى مدينة اسمها (بورغ) حيث يقع هناك قصر من العصور القديمة، والّتي يحيط بها السّحر والأشجار وشلال تسمع صوته فيعيدك للواقع الّذي هربت منه، وكان اسم القصر (بوريغاد). لقد

استغرقت رحلتنا ما يقرب السّاعتيّن، بدأت أعصابيّ وروحي تعود لي، فتبادلت بعض الجمل مع لارسن أدخلت فيها بعض المزاح الّذي كسر رهبة السّاعات الماضيّة وقلقها.

وحال وصولنا تمّت عمليّة التّعارف مع نظرائنا من الجانب الإسّرائيليّ، وكان الرّجل أحد المساعدين ليائير هيرشفيلد، وقد تعرّفت عليه في لقائي في لندن، وهو يعمل مساعداً ليائير، وكلاهما أيرون بوندك وهيرشفيلد يعملان ضمن حلقة يديرها يوسي بيلين ضمن حزب العمل الإسّرائيليّ.

وفي اليوم التّالي، ولإضافة جو من السّرّيّة الّتي كان الجميع يحرص عليها جرى اللقاء في الفندق تحت عنوان دراسة نتائج البحث الّذي كانت منى قدمته لمعهد (هافو)، والّذي يرأسه لارسن الّذي كان حاضراً إلى جانب زوجته، وحضر اللقاء أيضاً زوجة وزير الدفاع النرويجيّ جوهاف يورغن هولست، السيّدة ماريان هيبرغ، وهي اختصاصيّة اجتماعيّة.

كذلك حضر نائب وزير الخارجيّة النّرويجيّ متمنين لنا طيب الإقامة والتّوفيق في عملنا مع بعض عبارات المجاملة الأخرى الّتي غلّفت بعبارات مرحة... بعد وداعهم عدنا نحن الخمسة ثلاثة وإثنان إسرائيليان إلى تلك الزّاويّة الّتي يوجد بها مقاعد مريحة، وأمامها تشتعل النّار في الموقد من الخشب الخاص بالتّدفئة؛ لأنّ خارج الفندق يتراكم الثلج، ويغطي كلّ شيء بلونه الأبيض، وهو أمر عاديّ بالنّسبة للنّرويجيّين.

ها نحن وحدنا في هذا اللقاء والثّالث بعد لقائي لندن الّذي عقد قبل ستّة أشهر في لندن مع يائير هيرشفيلد، وأذكر أنّ تيري لارسون قال لنا قبل أنّ

يخرج من الفندق: « إذا أردتم أنّ تعيشوا معاً، فإنّ عليكم أنّ تحلّوا المشاكل بأنفسكم، أنتم أصحاب المشكلة، ونحن هنا لتقديم المساعدة عندما تطلبوها منا، فنحن نستطيع أنّ نؤمن لكم المكان والخدمات، ونستطيع أنّ نكون مسهلين بما في ذلك استخدام الهاتف لكن ليس أكثر»... وبابتسامة عريضة قال جملته الأخيرة:

« سأنتظركم خارج هذه القاعة حيث سأبقى ضمن القصر، ولن أتدخلّ إلّا إذا تشابكتم بالأيدي..».

بدأت الجولة التّفاوضيّة الأولى- إذا جاز التعبير- وليس اللقاء كما في السابق. كان كلا الوفدين متحمّساً ليرى غور الطّرف الآخر وحدود أفكاره، وقد استمرّت الاجتماعات مدّة يومين. كان النّقاش يستمرّ طيلة الليل، لم نتوقّف عن شرب القهوة، وأنا لم أتوقف عن التّدخين، فلم أعد أحسب عدد السّجائر أو علب السّجائر الّتي كان استهلاكها يقلّ أو يزيد حسب الموضوعات وتبادل الأفكار والحديث والنّقاش.

كنت أدوّن ملحوظاتي في دفتر صغير أحتفظ فيه أيضاً بالمبادئ والتّوجيهات الّتي وضعها الأخ أبوعمّار في تونس. لقد تناول نقاشنا الموضوعات كافّة، وكنا حرصين ألاّ نتحدّث عن الماضي والخلافات والصّراعات والتّاريخ والجغرافيا. وكان موقفناموحّداً، من أجل تحديد بنود الخلاف بيننا، ونقاط الاتّفاق، واستعراض الحاضر وما يمكن عمله في المستقبل... وفي غمرة الحديث والنّقاش في جولة المفاوضات هذه طرحت المبادئ العشرة الّتي اتّفقت مع (الأخ أبوعمّار) عليها، وهي:

١. الهدف هو الوصول إلى اتّفاق سلام عادل وشامل ونهائيّ.

٢. نطاق السّلطة الانتقاليّة الفلسّطينيّة يشمل الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ على أساس قرارات الأمم المتّحدة.

٣. تمارس السّلطة الإنتقاليّة الّتي يتم الّاتفاق عليها مع الأخذ بعين الاعتبار إجراء مراجعة للقوانين المرعبّة.

٤. يتمّ انتخاب السّلطة الانتقاليّة بالانتخاب الحرّ والمباشر لجميع سكّان الضّفّة الغربيّة والقدس وقطاع غزّة حسب احصائيّة السّكّان يوم ١٩٦٧/٦/٤ (بداية الهجوم الإسّرائيليّ على الدّول العربيّة).

٥. تتولّى جهات دوليّة متفّق عليها مراقبة الانتخابات .

٦. تشكّل لجنة ثلاثيّة لفضّ النّزاعات وبحث القضايا المشتركة بين السّلطة والحكومة الانتقاليّة والحكومة الإسّرائيليّة.

٧. تشكّل لجنة تحال إليها الأمور المختلف عليها، تتكوّن من مصر والأردنّ والأمم المتّحدة.

٨. قضايا الأمن بمفهومها الإستراتيجيّ تعني تجسيد أفكار التّعايش السّلميّ في المنطقة.

٩. يبدأ الطّرفان بحث المرحلة النّهائيّة بعد سنتين من تطبيق المرحلة الانتقاليّة.

١٠. دون الأحجاف بالمرحلة النّهائيّة يتمّ بشكل غير رسميّ دراسة امكانيّة إنشاء اتّحاد كونفدراليّ لاستقرار المنطقة وتحقيق السّلام.

كانت هذه المبادئ محطّ اهتمام لدى الفريق الآخر خاصّة عندما بدأت الحديث على خلفيّة هذه النّقاط، ويمكن المباشرة في تنفيذ بعضها خاصّة الاقتراح الّذي ينادي بالانسحاب من قطاع غزّة، والّذي حظي بالاهتمام الإسّرائيليّ منذ أيام غولدامئير رئيسة الوزراء السّابقة عندما قالت:

« أتمنّى أن أفيق وأرى غزّة قد ابتلعها البحر»، وهذا مؤشّرعلى كم كانت تكلفة احتلال غزّة من خلال احتياجاتها الحياتيّة والصّحّيّة والتّعليميّة والأهمّ الأمنيّة، والّتي يسيطر عليها الفدائيون في الليل والاسرائيليون في النّهار. وقد حظي موضوع غزّة على اهتمام داخل اسرائيل وفي أوساط الحكومة والجيش، وقد أبدى الجميع في تلك المراحل تشجيع التّخلّص من غزّة، فمساحة غزّة وعدد سكّانها كانا يشكلان كابوساً لسلطات الإحتلال، ولهذا وعندما طرح الموضوع على مصر أثناء مباحثات السّلام بين مصر واسرئيل عام ١٩٧٨ رفض الرّئيس المصريّ أنور السّادات الطّرح الإسّرائيليّ، فقد كان يعلم جيّداً أنّ اسرائيل تريد التّخلّص من قطاع غزّة، وممّا كانوا يسمونه (كابوس غزّة).

لقد تجاوب الفريق المفاوض الإسرائيليّ مع النّقاط العشر الّتي طرحتها، لكن تمّ إجراء بعض التّعديلات عليها، إلا أنّ هذه النّقاط شكّلت محور نقاش وواجهة للحديث والأساس الّذي تمّ الإعتماد عليه في المراحل اللاّحقة. ويمكن أنّ أؤكد هنا أنّ هذه النّقاط شكّلت عمود مسودّة ميثاق اعلان المبادئ الّتي سبقت الجولة الثّانيّة المنعقدة في شباط ١٩٩٣.

كانت هذه النّقاط هي المادّة الأساسيّة لإعلان المبادئ، وكانت تعتمد على المفاهيم الفلسّطينيّة الّتي تشير إلى الغاية النّهائية لعمليّة التّفاوض، ولقد

قال بعض الّذين لم يعرفوا شيئاً من المفاوضات أنّ هذه الأفكار هي مسودّة إسرائيليّة، وهي من بنات أفكار هيرشفيلد، وذلك بعد الإعلان عن التّوصّل إلى اتّفاق إعلان المبادئ أواخر عام ١٩٩٣.

لقد طرحت مجموعة من الأفكار الهامّة الّتي شدّت اهتمام المفاوضيين الإسّرائيليّين، وخاصة عندما طرحت فكرة إنجاز بعض الخطوات العمليّة القابلة للحياة، والّتي تسهم ببناء الثّقة بين الطّرفيّن، وتحيي الأمل لدى الجماهير الفلسّطينيّة، الّتي كانت أيضاً تطمح للسّلام القائم على الحقّ والعدل، ومن هذه الإجراءات :

- ترخيص لبنك تنمية فلسّطينيّ.
- بناء مصنع إسمنت في الخليل.
- بناء ميناء تجاريّ في غزّة.
- بناء وحدات إسكانيّة في القدس.

كما طرحت مجموعة أخرى من الأفكارشجعت المفاوضيين، وكأنّها ومضات لإضاءة الطّريق لاحقاً دون عثرات.

لم يتوقّف اتّصالنا الهاتفيّ مع تونس، حيث الحّ أبوعمّارعلى تدوين ماتوصّلنا اليه، وما تحدّثنا حوله بأدقّ التّفاصيل الّتي كان هو بدوره يدوّنها على دفاتره الصّغيرة، وكان ينتظر عودتي بفارغ الصبر ليسمع التفاصيل النهائيّة منها، لكنّه كان يريد أيضاً معرفة مرتبة ومكانة ودور المفاوضين الإسّرائيليّن، وهل لها صلاحيّة التوقيع على مايتمّ التّوصّل إليه أو الالتزام بذلك، بمعنى آخر:

مـاهي مرتبتهـم الحكوميّـة؟ ومن يتواصـل معهم ويوجههـم؟ وهل همـا قريبين من صنـاع القـرار الإسّرائيليّ؟

أضـف إلى ذلـك أنّ (الأخ أبـو عمّار) كان يـودّ معرفة مـاهي الخطوط الحمر الإسّرائيليّـة فيمـا يتعلق بقضايـا اللاّجئين والاسـتيطان والقدس والميـاه وغيرها.

وكذلـك كيـف يمكن أن يتـمّ التّفاوض مـع منظّمـة التّحرير الفلسّـطينيّة مبـاشرة، وأيضـاً الخطـوات الّتي يمكن سـلوكها نحو الانسـحاب من قطـاع غزّة .

لاشـكّ أنّ هنـاك قلقـاً فلسـطينيّاً مـن النّتائـج الّتي يمكـن التّوصّـل إليها مـع الطّـرف الإسرائيـليّ، وكذلـك كان الأمـر للطّـرف الإسرائيليّ.

كان عـدم وضـوح مراتـب المفاوضـين، والحلقـة المشرفـة على ذلـك داخـل إسرائيـل يسـبّب قلقـاً لدينـا، وخاصّـة أنّنـا نعـرف أنّ في الطّرف الآخـر مجموعات جلفة وعندها غطّرسـة وعناد على أبسـط الأمور، وخاصّة أنّ الحليف الاسـتراتيجيّ الولايـات المتّحـدة كان يوافـق على كامل الرّغبـات والمواقـف الإسرائيليّة.

لنثبـت جدّيـة حوارنـا طلبنـا في الاجتمـاع الأوّل في مدينـة سارسـبورغ النّرويجيّـة الانسـحاب الإسرائيـليّ مـن قطـاع غـزّة، وكان قلقنـا مـن هـذه الفكرة ناجمـاً عـن موقـف الطّرف الإسرائيـليّ، ورغبتـه في التّخلّـص من قطاع غـزّة الّذي يخفّـف عـن الاحتـلال مهاماً كثـيرة كما أشرنـا، وبالتّـالي يتوقّف الانسـحاب عند بنـد الانسـحاب مـن قطـاع غـزّة وعـدم الانسـحاب مـن مناطـق الضّفّـة الغربيّة الأخـرى وخاصّـة القـدس الّتي تحيط بهـا العديد من المسـتوطنات، وتشـكّل جوهراً روحيّـاً لكلّ الأطراف الإسرائيليّة والفلسـطينيّة والإسـلاميّة والمسـيحيّة، وهي محطّ الأطمـاع الإسرائيليّـة دائمـاً الّـتي تعدّهـا مركزاً روحيّـاً وسياسـيّاً وعسـكريّاً هامّاً.

ورغـم كلّ تلـك المخـاوف والأفـكار طرحنـا دعـوة إسرائيل للانسـحاب من قطـاع غـزّة أوّلاً كشـكل من أشـكال الاختبـار للنوايـا الإسرائيليّة، وسـيكون ذلك خطـوة أولى لـم يسـبق لإسرائيـل أنّ قامت بهـا، وهي الّتي تنظّـر إلى الضّفـة الغربيّة وقطـاع غـزّة كأرض غـير محتلّـة، لأنّهـا لا تعـود لأيّـة دولة تطالـب بهـا، وأنّ هذه الأرض كانـت تحـت الإدارة المصريّـة والأردنيّـة لفـترة مؤقّتـه، أضـف إلى ذلـك أنّ هـذه الأرض هي جـزء مـن الحلـم الإسرائيـليّ الّذي ينـادي بإسرائيـل الكـبرى من الفـرات إلى النّيل.

ومـع ذلـك كنّا نـرى أنّ انسـحاب إسرائيل من قطـاع غزّة سـيكون مقدّمة لانسـحابها مـن مناطـق أخـرى، وهـذا سيشـكل بـادرة في فتـح نافـذة أو فتّحة في جـدار التّعنّـت والعنـاد الإسرائيـليّ الدّائـم الرّافـض حتّى لـكلّ القـرارات الدّوليّة الخاصّة بفلسـطين والفلسـطينيين.

لقـد اسـتطعنا بهـذا الطّرح توجيـه الكـرة إلى الملعب الإسرائيـليّ الّذي كان دائمـاً يتحكّـم بهـا، وهو بالتّـالي أصبح في موقع المسـتقبل لهـذه الكـرة، وقد كنّا على علـم ومعرفـة أنّنـا إذا حقّقنـا هـذا الانسـحاب فإنّنـا سـنحقّق انسـحابات أخـرى وحقوقـاً أخـرى لنـا ولو كانـت منقوصـة، حيـث سـيتمّ اسـتكمالها لاحقاً.

درسـت أنـا والأخ أبو عمّار الاقتراحـات الّتي تمّت وملامح الـرّدّ الإسرائيليّ عليهـا، ولهـذا أعدنا مجدّداً لاسـتطلاع واستكشـاف شـخصيّة الوفـد الإسرائيليّ المفـاوض الّذي بـقي خـلال الفـترة الماضيـة -والّـتي نعتبرهـا طويلـة- يعتّـم على هويتـه بشـكل مقصود دون تحديـد، وفي نفس الوقت يشـير إلى مرجعيّته السّياسـيّة دون تسـمية، وتعتـبر ذلـك هامشـاً خاصّـاً فيمـا لـو تـمّ كشـف هـذه القنـاه مـن المفاوضـات الّـتي كانـت تحـاط بهالـة مـن السّرّيّـه لقطـع الطّريـق على المعارضين مـن كلا الطّرفـين، وهـذا ما حـرص عليـه النّرويجيـون أيضاً.

لقد ذهبنا إلى المدينة بانتظار ما عاد به الوفد الإسرائيليّ حول الاقتراح الخاصّ بالانسحاب من قطاع غزّة أوّلاً... وكذلك ضرورة معرفتنا بهويّة الوفد الإسرائيليّ المفاوض.

عدنا إلى مدينة سارسبورغ النّرويجيّة ولدينا كم هائل من القلق وحبّ الاستطلاع لمعرفة ما رجع به الوفد الإسرائيليّ ردّاً على الاقتراحات والتّساؤلات الّتي قدّمناها.

لاحظنا أنّ الوفد الإسرائيليّ قد حضر قبلنا إلى مقرّ المفاوضات حيث بدأنا الجلسة الأولى من الجولة الثّانية للمفاوضات ولفت انتباهنا أنّ المفاوض الإسرائيليّ أخذ زمام الحديث هذه المرّه في الوقت الّذي كان الوفد الإسرائيليّ يستمع في اللقاءات السّابقة مع إبداء الملحوظات، وكأنّه يريد تخسيس أهدافنا ونقاط قوتنا وضعفنا وتقييمه لجديّة تصوراتنا واقتراحاتنا.

لقد دفعنا هذا إلى إخراج دفاتر ملحوظاتنا، وقمنا بتدوين ما يقدّمه المفاوض الإسرائيليّ ونحن على أمل أنّ يقدّم الوفد شيئاً يساعدنا على تجاوز مفاوضات الكريدورات في وزارة الخارجيّة، ويجعلنا نتقدّم ولو خطوات محدودة. كذلك كنّا ننتظر الإجابة على اقتراحنا الانسحاب من قطاع غزّة، وإمكانيّة الوصول إلى اتّفاق بهذا الشّأن.

استمعنا بهدوء وتمعّن إلى كلّ كلمة يقولها الوفد الإسرائيليّ الّذي بدأ يعمّم في تقديم أفكاره ومقترحاته الجديدة الّتي لا تؤدّي إلى ما قدّمناه من اقتراحات حول الانسحاب من قطاع غزّة، فابتعد المتحدّث عن قضيّة الانسحاب من قطاع غزّة باقتراحات تتعلّق بتحسين الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة في

الأرض المحتلّة، وخطر ببالي أنّ هذا الاقتراح هو من أجل تخفيف الضّغط على الاحتلال وإلهاء النّاس بالشّكليّات.

وبحماس شديد أظهر هيرشفيلد اقتراحاً بعرض صيغة لإعلان مبادئ جديدة، وكذلك قدّم اقتراحاً ببرنامج اقتصاديّ لتطوير قطاع غزّة مستحدثين الفكرة من مشروع مارشال الأمريكيّ للنّهوض بأوروبا بعد الحرب العالميّة الثّانية، وكان هذا التفافاً واضحاً على الانسحاب من قطاع غزّة.

من ناحية أخرى قدّم الوفد المفاوض نفسه على أنّه يتحدّث باسم جهة إسرائيليّة قادرة على الالتزام والوفاء بكلّ ما تتّفق عليه دون تحديد تلك الجهة، ولم تكن هذه المقترحات مدوّنه على أوراق رسميّة أو مروّسة حتّى لا يتمّ تسريب معلومات عن هذه المفاوضات قبل أوانها، وعدم الالتزام بأيّة وعود أو مقترحات ترد. ومع كلّ ذلك ركزّت في حديثي على صيغة إعلان المبادئ، وقدّمت ورقة تضمّنت حدود الصّلاحيات لسلطة فلسطينيّة انتقاليّة بمجلس فلسطينيّ منتخب عبر صناديق الاقتراع الحرّ والمباشر تجري تحت إشراف دوليّ مناسب يشارك فيها جميع الفلسطينيين في الضّفّة والقطاع والقدّس المسجلين في السّجلات السّكّانيّة يوم ١٩٦٧/٦/٤ كما أشرت إلى ذلك سابقاً.

كما أشارت الورقة الّتي قدّمتها إلى أنّ ولاية السلّطة الانتقاليّة تشمل جميع الأراضي المحتلّة مع بعض الاستثناءات الإداريّة المتّفق عليها.

وفي هذه الجلّسة تطرّقنا كذلك إلى الحملات العميقة في الأراضي المحتلّة والمبعدين إلى مرج الزّهور، وكذلك الأوضاع الاقتصاديّة المتردّية هناك سواء في الضّفّة الغربيّة أو قطاع غزّة.

لا شكّ أنّ الجولة الثّانية من المفاوضات أصبحت أكثر وضوحاً ودقّة وتحديداً عن الجولة السّابقة، فلقد تناولنا الموضوعات بتحديد أفضل وأدق. ومن ناحية أخرى زادت الثّقة بين الطّرفين لعدّة أسباب أهمّها المرجعيّة لكلّ طرف والمنطق في الأطروحات لكلا الطّرفين، والشّعور بأنّنا نريد حلًّا ونبحث بجدّيّة عن المفاتيح الممكنة، وهذا ساعدنا على دمج مواقف الطّرفين في ورقة واحدة شكّلت (مسودّة إعلان المبادئ) المطروحة للنقاش.

ومن أجل استدامة الحرص والسّرّيّة قمنا بطباعة الأوراق الخاصّة بمؤسّسة (فافو) النّرويجيّة المستضيفة لهذه الجلسات الّتي يرأسها أيضاً لا يرى لارسون وفيما تسرّب أيّ شيء فيظهر أن هذه الأوراق صدرت عن مؤسّسة أبحاث نرويجيّة.

لقد أصبح واضحاً لكلا الطرفين أنّنا أقمنا قناة تفاوضيّة جادّة تحظى بعنايّة المرجعيّات الأساسيّة والسّياسيّة لكلا الطّرفين، وهذه القناة ليست بديلاً عن قناة واشنطن بلّ تشكّل عاملاً مساعداً للمفاوضات العلنيّة الّتي تعتمد على مخرجات مؤتمر مدريد. لقد أسمينا مسودّة اتّفاق المبادئ (وثيقة سارسبورغ) أوّل وثيقة بين منظّمة التّحرير الفلسطينيّة وإسرائيل.

استمرّت مفاوضاتنا في سارسبورغ مدّة يومين، وقد خفّت حدّة التّوترات النّفسية الخفيّة، وعاد كلّ طرف منا إلى مرجعيّته حاملين صيغة لإعلان مبادئ مشتركة؛ لكيّ نعيد مراجعة البنود كافّة، وأبعادها العمليّة والسّياسيّة ومناسبتها لأطروحات كلّ طرف.

وفي تونس حضر كلّ من حسن عصفور و د.ماهر الكرد اللقاء مع (الأخ أبو عمّار) وكذلك حضر أبو مازن هذا الاجتماع.

وفي هـذه الجلسـة لاحظت دقّـة (الأخ أبو عمّـار) في قراءة النّـصّ والتّوقف عنـد كلّ كلمـة بـل وكلّ حرف، وكان يطلـب الإعادة حتّى اسـتوفى كلّ المعاني الواردة وقوانينهـا وإمكانيّـة تطبيقهـا. ورغـم شرحنـا التّفصيليّ ومشـاركة الأخـوة أعضاء الوفـد في التّوضيـح إلّا أنّـه كان يعيـد ويكـرّر الكلمـات الّتي حـازت على إعجابه أو رضاه.

توقّـف الأخ أبـو عمّـار مطـوّلاً عنـد مسـألة الانسـحاب الإسرائيـليّ مـن قطـاع غـزّة، ووضعـه تحـت إدارة الأمـم المتّحـدة لفـترة انتقاليّـة. حـاور وكـرّر وناقـش هـذه النّقطـه وإعاد تحليلهـا، واسـتفسر عـن الاجـراءات العمليّـة لذلك، وأخـيراً وافـق على هـذه الصّيغـة مبدئيّـاً لأنّهـا تجلـب ولأوّل مـرّة للـنّزاع الأمّـم المتّحـدة الّـتي سـتصبح طرفـاً ثالثـاً في العمليّة التفاوضيّـة. وهو الأمـر الّذي كانت إسرائيـل ترفضـه دائماً.

وفي هـذه الجلسـة الّتي تـمّ اعتمادهـا والصّيغة المطروحة قـرّر الأخ أبو عمّار أن نطالـب بالانسـحاب الإسرائيليّ مـن مدينة أو أكـثر في الضّفّـة الغربيّة، والّذي تـمّ تعميمه لاحقـاً بعنوان «غـزّة- أريحا».

لقـد اعتبرنـا أنّنـا أنجزنـا بنـوداً مهمّـة جـدّاً في الجولـة التّفاوضيّـة الثّانية، ونعتـبر ذلـك اختراقاً حقيقيّـاً جديداً، يسـاهم في إعادة فتح الباب أمـام مفاوضات واشـنطن الّـتي توقّفـت مـع قيام حمـاس بعمليّـات تفجيريّـة الّتي نجم عنهـا إبعاد (٤٠٠) فلسـطينيّ إلى مـرج الزّهـور في جنـوب لبنان.

ورغـم كلّ ذلـك فلقد كانـت الموضـوعات الّتي أنجـزت في الجولـة التّفاوضيّة الثّانيـة على قدر كبـير مـن الأهميّة، وهي:

- المجلس الانتقاليّ المؤقّت.

- الانتخابات لسلّطة الحكم الذّاتيّ.

- مرجعيّة المفاوضات.

- مسألة القدس.

- الولاية الجغرافيّة للسلّطة الانتقاليّة.

- الانسحاب من قطاع غزّة كمدخل مناسب للمراحل اللاّحقه.

ولكيّ يتمّ فهم آخر للتّفاوض وجّهت القيادة وفدها المفاوض بخطوط توجيهيّة شملت خلاصّة الموقف الفلسطينيّ على النّحو التّالي:

- يسبق الحديث عن الانسحاب من قطاع غزّة التأكيد على وحدة الأراضي الفلسطينيّة في الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة سياسيّاً واقتصاديّاً.

- تعزيز الصّلة بين الضّفّة والقطاع بمعبر برّي ومطار في غزّة وميناء تجاريّ مع حرّيّةالشّغل بين الشّطرين.

- أنّ تكون السلّطة المقامة في غزّة تحت رعاية الأمّم المتّحدة، وبمشاركة مصر والأردنّ.

- تشّكيل قوّة دوليّة لحفظ الأمن في غزّة إلى أنّ يتمّ تسليمها للحكومة الفلسطينيّة الانتقاليّة.

- إدخال خمسة عشر ألف رجل من قوّات الأمن والشّرطة الّتي سيتمّ تدريبها في مصر والأردنّ.

إنّ الأمـن يعـدّ مفصـلاً هامّـاً في هذه المفاوضـات، فلقد حرصنـا على تحقيق ذلـك في إطـار مـا يعـرف بالأمـن الشّـامل الّذي يوكل إليـه القيـام بالمهـام الأمنيّة والشّرطيّـة بـإشراف قوّات دوليّة مشـكّلة لهـذه الغاية، وتشـكّيل هيئـة أمنيّة عليا مـن أجل التّنسـيق بـين السّـلطة الفلسـطينيّة والحكومـة الإسرائيليّـة وبالتّعاون مـع مـصر والأردنّ، لا سـيّما في كلّ مـا يتعلّـق بقضايـا الأمـن المشـترك في الإقليم وعـبر حـدود الدّولـة للأطـراف المعنيّـة. ومـن الـضّروري هنـا الإشـارة إلى أنّ الوفديـن المتفاوضـين قـد تجـاوزا بعـد هذه الجولـة مرحلـة الاستكشـاف ومعرفة النوايـا لـكلّ فريـق، وهذا مهّد لنـا الدّخـول إلى مرحلـة جديـدة وهي المواجهة بين المبـادئ الثّابتـه والمواقـف المسـبقة، حيـث المواجهة.

كان هنـاك الحقائـق أيضاً الّـتي وضع كلّ فريـق خطوطاً حمراء لهـا. ورغم قلّة نقـاط التّوافـق إلّا هـذه النّقـاط التّوافقيّـة القليلـة أعطـت قنـاة أوسـلو خطوات إضافيّـة إلى الأمـام رغـم ذلـك الكـمّ الكبـير من المخـاوف والحسـابات الكثيرة.

وبمـا أنّ أعضـاء الوفديـن كان لديهـم الرّغبـة في التّوصّـل إلى حلـول للموضـوعات كافّـه إلّا أنّ الأمـل كان قليـلاً جـدّاً بحكـم أنّنـا تجاوزنـا الكثـير مـن المعوّقـات والخطوط الحمـر؛ لأنّ الواقـع السّـياسيّ الّذي كنا نعيشـه لا يحتمل الكثـير مـن الأحـلام أو مفـردات التّفـاؤل.

لكنّنـا عدنـا إلى الجولـة الثّالثـة الّـتي عقدت في أواخـر شـباط ١٩٩٣، وكان هدفنـا في هـذه الجولـة توسـيع قاعـدة التّفاهـم بتقليـص عـدد النّقـاط الخلافيّـة وزيـادة نقـاط التّوافـق، الأمـر الّذي سيسـاعد في اعتمـاد هـذه القنـاه، وتقويـة عناصرهـا مـن أجـل كـسر ذلـك الجبـل مـن الخلافـات والتّناقضـات والمواقـف القاسـية والحـادّة عـبر الزّمـن المـاضي كلّه.

ورغـم أنّـه كان هنـاك تفاهمات بـين المتفاوضـين بالحـدّ الأدنى على المواقف والمختـصرات والمتوسّـعات مـن المعاني والمواقـف إلّا أنّ كلا الطّرفـين كان حريصا على أن يحصـل مـن مرجعياتـه على الصّيـاغات المناسـبة والقريبـة إلى التّوافق رغم هـذا الكـمّ الهائـل مـن التّناقـض، وكان ذلـك يتطلّب اعتمـاد خطـط تكتيكيّة جديـدة لـكلّ طـرف محـاولاً انـتزاع بنـد مـن هنـا وبنـد مـن هنـاك والوقـوف عنـده... فنحـن اليوم قـد بدأنا في هـذه الجولة الجديـدة الدّخول إلى قلب المشـاكل والصّعوبـات الّـتي تحتـاج تكتيـكاً جديـداً ومنـاورات دقيقة وحسّاسـة.

ولا شـكّ أنّ اختيـار الكلمـات في المرافعـات يجب أن يكون مرنـا أكثر ممّا يجـري في المرافعـات القضائيّـة، ويتطلّـب القـدرة على الاقنـاع المبـنيّ على الحقائق والثّوابت.

لقـد اتفقنـا في تونـس على الاسـتمرار في هـذه المفاوضات من أجـلّ التّوصل إلى اتّفـاق إعـلان مبادئ، يحقّـق الحدّ الأدنى من نضالات شـعبنا من أجـل الحرّيّة والاسـتقلال بكـرامة.

كنّـا نرغـب أيّضـاً في تقويـة العنـاصر المشـتركة والأرضيّـة المشـتركة مـع الطّـرف الآخـر مـن أجـل توفـير قـوّة متحرّكـة قـادرة على اخـتراق هـذا الجـدار الصّلـب الّذي وجـد عبر سـنوات طويلـة. وهذا أيضاً مـا دفعنا للبحث عن سـبيل يصـل بنا إلى واشـنطن حيـث المباحثـات المتعثّرة، الأمـر الّذي شـجّعنا للدّخول في جوهـر الموضـوعات الّـتي طرحناهـا في الجولة السّـابقة.

لقـد شـكّلت جولتنـا الثّالثة الّـتي عقـدت في مدينـة سارسـبورغ النّرويجيّة دفعـة جديـدة للمفاوضـات نظراً لأنّنا لـم نتوقّف هنـا أو هناك، بل اسـتمرّ عملنا

ونقاشاتنا وطرح مواقفنا لمدّة تزيد عن ٢٢ ساعة تداخلت فيها الأوقات، بحيث لم يعد للسّاعات وعقاربها أيّ أثر. وكلّ ذلك أدّى إلى أنّنا استطعنا تقديم صيغة معدّلة في بعض البنود لتلك المسودّة الّتي عدّت في الجولة السّابقة على أنّها مشروع اتّفاق فلسطينيّ إسرائيليّ قابل للمراجعة، وإعادة التّقويم من جانب القيادات المعنيّة من كلا الجانبين.

كانت رغبتنا أنّ يقدّم وارن كريستوفر وزير خارجيّة الولايات المتّحدة هذا الاتّفاق ويتبناه أمام إسرائيل ومنظّمة التّحرير الفلسطينيّة أو على الأقلّ إلى القيادة الفلسطينيّة في الدّاخل الّتي يبرز فيها (فيصل الحسينيّ) باعتباره إعلان مبادئ أمريكيّ خالص يتكوّن من ثلاث وثائق هي:

- إعلان مبادئ.

- برنامج عمل وتعاون فلسطينيّ إسرائيليّ.

- خطّة عمل لمشروع «مارشال» اقتصاديّ.

كان هذا تغطية على ترتيباتنا الثنائيّة لكيّ نتجنّب الارتدادات الّتي كانت تتراءى أمامنا؛ لأنّ هذا الاتّفاق يشكّل قوّة خارقه لكلّ الجدر المنتصبة أمامنا عبر تاريخ طويل رغم أنّنا لم نتوصّل إلى اتّفاق كامل في واقع الحال.

ومن المثير أنّ نشير إلى وارن كريستوفر لم يستوعب ما عرض عليه، أو بالأحرى إعلامه بما توصّلنا إليه، لأنّه لم يتوقّع أنّ هناك قناة ثانية، وأنّ هناك إمكانيّة للالتقاء بالحدّ الأدنى، ولم يزد على بعض كلمات في ردّه للطّرف الإسرائيليّ بأنّ قال: «جيد» دون أنّ يأخذ هذا الجيد أيّة أبعاد.

كان ردّ فعله محبطاً، وقد كنّا نتوقّع أنّ يثير معرفته بالأمر حماساً.

انتهت الجولة الثالثة وقد كانت نتائجها مقبوله فقد اختصرنا الكثير في التّناقضات والخلافات الجوهريّة بيننا، لكن ما زال أمامنا الكثير لإنجازه حتّى نقول أنّنا تقدّمنا.

هنا نحن قد اجتزنا ثلاث جولات تفاوضيّة بعد اللقائين، ورغم الصّعوبات والتّناقضات الهائلة بيننا إلّا أنّنا استطعنا أن نرسم العناوين العريضة للخلاف وكذلك الاتّفاق، لأنّه لم يكن لدى أيّ طرف رغبة في التّخلّي عمّا تمّ إنجازه، فعندنا جولة جديدة في أواخر شهر نيسان/ آبريل ١٩٩٣ هي الجولة الرّابعة الّتي امتدّت حتّى أوائل شهر أيار/ مايو ١٩٩٣، حيث وضعنا تصوّراً هامّاً، وهو إعطاء هذه الجولة الصّفة ذات (الصّبغة الشّرعيّة)، وأنّ من الضّروري جدّاً رغم سرّيّة هذه الجولات أن تتطوّر ليتمّ تحديد إطارها الرّسميّ، وبالتّالي معرفة ما يخفيه الفريق الإسرائيليّ عن مرجعيّته الرّسميّة أو الحكوميّة نظراً لأنّ هذا الفريق لم يتطرّق لتسمية مرجعيّته خلال كلّ الفترة الماضية مع معرفته أنّ مرجعيتنا هو ياسر عرفات أوّلاً.

عندما استعرض جولات مفاوضاتنا وحواراتنا ولقاءاتنا الجانبيّة أو في فسحات الفندق أشعر أنّنا قفزنا فوق الواقع، وفوق سور عال وجدار سميك رغم القلق والتّعب بل والإرهاق في بعض الأحيان، فلكلّ طرف منّا لغته وأمانيه ورغباته وأهدافه وأساليبه في هذه الجولات.

وإذ قمت بترتيب الإنجازات في جولة من جولات المفاوضات فإنّها تأتي كالتّالي:

الجولة الأولى: تُعدّ مرحلة الاستكشاف والاستطلاع وحسن النّبض من خلال طرح الأفكار، وتبادل الأدوار، واختبار الأجواء، وسبر غور الفرص والممكنات، وقراءة التّوجيهات، والتّعرّف على المنطلقات والذّهنيات والآفاق المفتوحة أمام التّحوّل إلى عمليّة سلام حقيقيّة. أي أنّنا نتحسّس الممكن وغير الممكن، وكان كلّ فريق يستمع يدون ملحوظات، ويتوقّف عند كلّ نقطة، وننظر في وجوه بعضنا لمعرفة ردود الفعل في تعابير الوجه عن بعض الجمل والاقتراحات أو الاستفسارات هنا وهناك. وراقبنا الكلمات ومعانيها وأبعادها. ورغم أنّ الحديث كان باللّغة الإنجليزيّة، وليس هناك الكثير من التّورية فيها إلّا أنّنا كنا نترجم بعض معاني كلماتنا وجملنا الّتي فيها الكثير من التّورية حتّى لا نصطدم بالواقع.

الجولة الثّانيّة: هي مرحلة إقامة قناة اتّصال ممتدّة على هذا النّحو أو ذاك، وتأسيس بنيّة تفاوضيّة مؤهلة لإجراء بحث معمّق في سائر جوانب النّزاع واستجلاء إمكانيّة التّوصّل إلى اتّفاق، الأمر الّذي استلزم تخليص المفاوضات من طابعها النّظريّ الأكاديميّ، وإنزالها من سماء الرّياضة الفكريّة إلى أرض الواقع، وهذا يتطلّب وضع النّقاط على سكّة الاتّفاق الأوليّ والرّؤيا الواقعيّة.

الجولة الثّالثة: هي مرحلة البحث الجدّيّ عن نقاط الخلاف ونقاط التّوافق، وتقريب وجهات النّظر، ورسم الآفاق القابلة للتّطبيق والتّوافق، وحصر نقاط الخلاف في نقاط محدّدة قابلة للدّراسة والمعالجة. خرجت هذه الجولة من الخيال إلى أرض الواقع، ورسمت إمكانات جديدة للتّعاون في مجالات مختلفة قابلة للتّنفيذ والحياة. لكنّ الأمر بدا غامضا لنا؛ لأنّ القوّة الموجّهة للوفد الإسرائيليّ لم تكن معروفة لدينا، فنحن أمام أكاديميين جامعيين وعلى

تواصل مع أشخاص يقفون وراء ستار يوجّهون هذا الوفد، وحاولنا الاجتهاد في تسمية الأسماء الخلفيّة السّرّيّة؛ فكان هناك وزارة الخارجيّة وفيها نائب وزير الخارجيّة، وشمعون بيريس وزير الخارجيّة، وإسحق رابين الّذي أصبح رئيسا للوزراء وقائدا لحزب العمل الّذي وعد وعوداً كثيرة أثناء الحملة الانتخابيّة الّتي أسقطت شامير بقوّة، وكان السّلام هو العنوان الأوّل لتلك الحملة... ولهذا كنّا نبحث عن جهة حكوميّة رسميّة تكون مرجعيّة للوفد الإسرائيليّ.

ولهذا وفي الجولة الرّابعة لم يكن لدينا أيّ حرج في توضيح مطلبنا الّذي ينادي بوفد أو مسؤول حكوميّ رسميّ بدون تحديد هويّته السّياسيّة إذا لزم الأمر ليكون هو المجيب والمتابع والملتزم بما يصدر من قرارات أو جمل أو معاني الكلمات في مفاوضاتنا.

إنّ المطلوب في هذه الجولة الرّابعة الآن هو الاعتراف بمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة، وشرعيّتها الدّوليّة، وتمثيلها للشّعب الفلسطينيّ. لقد أصبحت شكليّة الجلوس والاعتراف بمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة بدون تردّد ضرورة قصوى من معرفة ردود الفعل في إسرائيل والوسط الفلسطينيّ والعالم العربيّ.

لقد اتّخذت القيادة الإسرائيليّة الجديدة قرارات ألغت قراراً كان في سابقه يمنع الحديث مع أيّ عضو أو عنصر أو قياديّ في منظّمة التّحرير الفلسطينيّة. والآن وبعد محادثات مؤتمر السّلام في مدريد ومفاوضات كريدورات وزارة الخارجيّة الأمريكيّة في واشنطن أصبح هناك قناة أشرقت فعالياتها وجلساتها ونقاط اللّقاء والخلاف فيها، وأصبحت هذه القناة يتلاقف نتائجها كلّ من يوسي بيلين وشمعون بيرس، ويحكم إسحق رابين طوق حركتها، حيث كان يتابع كلّ خطوة وعبارة وكلمة في هذه المفاوضات.

لقد كنّا نسعى إلى اعتراف الحكومة الإسرائيليّة علناً أو سرّاً بمنظّمة التّحرير الفلسطينيّة، والاعتراف بإشرافها المباشر على الوفد المفاوض الّذي ينتمي إلى الحكومة الإسرائيليّة، وهذا ما أبلغنا به أصدقاؤنا النّرويجيون الّذين كانوا يعتنون بهذه المفاوضات منذ البداية. إنّ الحكومة الإسرائيليّة منحت التفويض الرّسميّ لوفدها المفاوض على أعلى المستويات، وكذلك اعتمدت قناة أوسلو قناة تفاوضيّة خلفيّة رسميّة، وهو ما ساعدنا على تقديم مسودّة إعلان المبادئ إلى المرجعيّة الإسرائيليّة لأجل اعتمادها، وهذا أيضا ساعدنا على اعتماد مشروع اتّفاق إعلان هذه القناة السّرّيّة على الجهات المؤثّرة والمعنيّة، وهي الولايات المتّحدّة الأميركيّة، وكلّ من مصر والنّرويج دون الدّول الاخرى، وسبّب ذلك بعض الضّيق لدول مثل الأردّنّ والسّعوديّة، لكنّ كلا الدّولتين كانتا تحصلان على المعلومات فيما بعد من قنواتهما الخاصّة.

ومع الجولة الرّابعة ظهر لنا أنّ الوفد الإسرائيليّ يتصرّف براحة وأريحيّة، والوضع النّفسيّ لديهم كان أكثر إشراقا، فليست هنا وجوه مشدودة، وعبارات غامضة أو مواقف قاسية... لكنّ الوفد أصبح دقيقا وحسّاسا أكثر من ذي قبل؛ لأنّنا علمنا أنّ إسحق رابين شخصيّا أصبح على اتّصال بالوفد الإسرائيليّ الّذي كان يديره شمعون بيريس ويوسي بيلين، وهذا ما دفع بالوفد ليكون متابعا وحساسا في كلّ موضوع، فلم يتوقّع الوفد الإسرائيليّ أيضا أن يصل الأمر إلى رابين مباشرة، وكذلك أبلغنا الأصدقاء النّرويجيين والوفد الإسرائيليّ أنّ الأميركيين تفاجؤوا بهذه القناة وهم مرتاحون جدّاً إلى هذه القناة السّرّيّة وينظرون إلى ما تحقق من إنجاز وكأنّه السّحر رغم أنّني أشرت سابقا إلى أنّ الإسرائيليين أبلغوا وزير الخارجيّة الأميركيّة موضوع القناة والمفاوضات، ولم يعر الأمر اهتماما،

وقـال: «حسـناً» فقـط؛ لأنّه لم يصـدّق أو يتصـوّر أنّ هناك قناة حقّقـت خلال وقت وجـيز مـا حقّقـت. ولهذا عندمـا تمّ إبلاغهـم في المرّة الثّانيّـة ما تمّ تحقيقـه من هذه القنـاة، ذهلـوا وباركـوا وتبنّوا ما تـمّ إنجازه.

وهنـا أصبـح الوفـد الإسرائيليّ يشـير بقـوّة إلى رابـين منفعلـين ومتفاعلين مـع ذلـك مـع التّقليل عـن الحديـث عند يـوسي يلـين وشـمعون بيريس.

أمّـا نحن فقد أخـذ الأخ أبو عمّـار يتفلّت، ويريـد إخبار العالم كلّـه بالقناة الجديـدة، لكنّه كان يمسـك نفسـه لمعرفته أنّ هنـاك من يمكنه أن يسـبب إزعاجاً للمفاوضـات، أو يفـرض تدخّلات جديدة لسـنا بحاجـة إليها في ذلـك الوقت، لقد حـاول إبـلاغ الملك حسـين، وعندمـا لم يلتقِ به أرسـل (أبـو مـازن) الّذي بدوره لـم يسـتطع إبلاغ الملك حسـين...! وهذا أغضب الملك حسـين كمـا ورد في كتاب الدّكتـور عبد السّـلام المجالي رئيس وزراء الأردن الأسـبق ورئيـس الوفد الأردنيّ إلى محادثـات السّـلام في مدريـد، والّذي وقّـع على اتّفـاق وادي عربه للسّـلام بين الأردن، حيـث نـوّه إلى أنّـه كانـت لديـه معلومـات عن سـير المفاوضـات في القناة السّرّيّـة من خـلال أصدقائه وطرقـه الخاصة.

ومـن المثـير الإشـارة إلى أنّ أحـد أعضاء الوفـد الإسرائيليّ المفـاوض أبلغني أنّ شـمعون بيريـس طلب منه أن يسـأل الوفـد الفلسـطينيّ المفاوض:

« مـتى؟ وكيـف يريـد الرّئيـس يـاسر عرفـات أن ينقـل مقـرّ قيادتـه مـن تونـس إلى قطـاع غـزّة؟ ومـن هـم الأشـخاص المرشـحون للانتخابـات في كلّ من الضّفـة الغربيّـة وقطـاع غـزّة مـن أولئك المقـرّر عودتهم مـن الخـارج، وذلك لكي يتـم العمـل مبكراً على تسـهيل العـودة ؟.

ولفت الوفد الإسرائيليّ انتباهنا إلى أنّ الإعلام الإسرائيليّ بدأ يبرز الأخ ياسر عرفات بشكل كبير وواضح كرجل سلام شجاع، وأنّ الحكومة الإسرائيلّية قد قيّمت عودة وفدنا إلى مفاوضات واشنطن العلنيّة بعد طول انقطاع تقويماً عالياً لا تتّخذه إلّا قيادة شجاعة ذات رؤية بعيدة.

ظهر الارتياح المتبادل لدى الفريقين في هذه الجولة وخاصة أنّه ظهر واضحاً لدنيا الاهتمام المباشر لإسحق رابين بعقده القناة ومتابعة كلّ شيء إضافة لفريق شمعون بيريس ويوسي بيلين ممّا أعطى زخماً لهذه القناة، وترك أثره على وجوه أعضاء الوفد الإسرائيليّ ومزيد من الثّقة في الطّروحات والاقتراحات، وأثبت أنّ هذه القناة لها واقع رسميّ هام، وتشكّل أوّل التقاء على هذا المستوى بين إسرائيل ومنظّمة التّحرير الفلسطينيّة. ورغم أنّ شمعون بيريس على درجة عالية من المكانه والأهمية إلّا أنّ ما وصل إلينا عن متابعة إسحق رابين انعكس ارتياحاً لدينا، وأنّ بإمكاننا المواصلة.

هذا الواقع الجديد دفعنا لتقديم مطلبين لكي نحقق تقدّماً في اختراق الجدار المتعثّر في واشنطن، وفي مفاوضات الكريدور. أمّا المطالب الأخرى، فقد أشرنا وبوضوح إلى ضرورة حضور شخصيّة حكوميّة مع الوفد الإسرائيليّ؛ لكيّ تشكّل هذه الشّخصيّة الرّسميّة دعماً للخطوات اللاّحقة دون قلق أو غموض، وزيادة في الثّقة الضّروريّة الّتي تساهم في حسم الموضوعات الخلافيّة.

وظهر أنّ هاتين النّقطتين ليس من السّهولة تحقيقهما رغم أنّ نقاشنا استمرّ ساعات متواصله ومتأخرة من الليل، واتّضح لنا أنّ الوفد الإسرائيليّ لديه مواقف مختلفة تتلخّص في :

- دعم القيادة المحليّة في الضّفّة الغربيّة والقدس وقطاع غزّة على أساس أن منظّمة التّحرير الفلسطينيّة هي قيادة الخارج.

- تأجيل التّوقيع على الاتّفاق خشية كشف هذه القناة قبل أن تحقّق غاياتها، ويظهر أنّ الوفد الإسرائيليّ اتّفق مع قيادته على زيادة التّدقيق ومراجعة بنود الاتّفاق.

- الحساسيّة البالغة من موضوع القدس وموضوع التّحكيم في موضوع المنازعات، الأمر الّذي يتطلّب نقاشاً إسرائيليّاً معمّقاً. وقد عرض الوفد علينا أن نستبعد هاتين النّقطتين، لكنّنا رفضنا من خلال توضيح أنّ الاتّفاق رزمة كاملة، وليست متفرقة.

لم نكن راضين عن هذه الجولة وما تخلّلها من نقاشات ومرافعات، ولم يكن هناك من يمثّل الحكومة بشكل رسميّ لكي ننتهي من الخلافات حول الموضوعات العالقة من مسودة اتّفاق إعلان المبادئ، ولمّحنا إلى ذلك دون أن نحدد أو نؤكد أنّنا قد وصلنا إلى نهاية هذه المفاوضات. فقد بدا واضحاً التّردد حينا، والتّقدّم أحياناً في هذه المفاوضات لعدم قدرة الوفد الإسرائيليّ من حسم معظمها، والّتي كانت تتطلّب تفويضاً رسميّاً لذلك وحاسماً لنا ولقيادتنا أيضاً.

وبناء على ذلك فقد تحدّثنا بصراحة مع المضيفين النّرويجيين الّذين كان لديهم اهتمام بنجاح هذه المفاوضات أكثر من كلا الطّرفين. ولهذا كان حديثنا الصّريح معهم من أجل أن يمارسوا بدورهم ضغطاً على الوفد الإسرائيليّ من أجل الارتقاء بهذه المفاوضات من خلال وضع رافعة رسمية جديدة لديها

الثّقة والصّلاحيّة... ولكي نستفزّ أصدقاءنا النّرويجيين أخبرت تيري رود لارسن أنّ هذه الجولة ربما تكون الأخيرة، وأنا ذاهب إلى تونس، وربما لن أعود إلى أوسلو مجدّداً.

لقد تركتُ أثراً واضحاً عندما أبلغتُ لارسن أنّني ربما لا أعود في الوقت الّذي استلم فيه وزير خارجية جديد في النّرويج مكان وزير الخارجيّة الّذي بدأ معنا من خلال نائبه. لكنّ هذا الوزير نقل ملفّ المفاوضات إليه شخصيّاً زيادة في المتابعة والاهتمام، ولقد كان جان ايفلاند مهمّاً جدّاً ، لكنّ أجواء المفاوضات لم يكن بالإمكان السّيطرة عليها بموقعه كنائب لوزر الخارجيّة النّرويجي. وواضح أيضاً أنّ الحكومة النّرويجيّة أصبحت من أهمّ الأطراف المعنيّة بنجاح هذه المفاوضات الّتي اقتربت كثيراً من إيجاد الحلول المغلقة تاريخيّاً.

كنت أعلم جيّداً أنّ حزب العمل وقيادته لن يفرطوا في التّقدّم الّذي حصل في مفاوضات أوسلو، وأنّ التّفاعلات والأفكار والحقائق الّتي تمّ تناولها ليس سهلاً إغلاق العينين عنها خاصّة أنّ الأمر أصبح واضحاً أمام الطّرف الأمريكيّ الّذي عَدَّ ما جرى سحراً، ومؤيّداً بلا حدود لتلك المفاوضات، وأنّ الطّرف الأمريكيّ لا يعدُّ التّمثيل الرّسمي مشكلة كما كان يعدّها الطّرف الإسرائيليّ ويتحسّس منها لظروف وأوضاع داخليّة إسرائيليّة، لكنّ هذا الأمر كان مهماً لنا من أجل الاعتراف أنّنا نمثّل منظّمة التّحرير الفلسطينيّة. ولكي نتمكّن من تحريك ثقل الطّرف النّرويجيّ أبلغت لارسن بعمل ما يمكن عمله لمنع انهيار هذه المفاوضات الهامّة.

صُـوَر

الرئيس أبوعمار وأبو علاء في مؤتمر فتح الخامس - تونس ١٩٨٨

الرئيس أبوعمار وأبوعلاء في إستقبال رئيس كولومبيا " إرنستو سامبر " - رام الله- ١٩٩٥

أبو علاء ورئيس جمهورية المانيا الديمقراطية "هونيكر" والسفير الفلسطيني في برلين "عصام كامل"

رئيسا جمعية الصداقة الفلسطينية والألمانية

يوقعان إتفاقية التعاون بين الجمعيتين

أبو علاء و رئيسة برلمان جنوب أفريقيا في جوهانسبرج

في زيارة رسمية لبرلمان جمهورية جنوب افريقيا

أبو علاء وسلمان الهرفي مع رئيس جمهورية الكونغو-برازافيل ، في زيارة رسمية لجمهورية الكونغو

الملك عبد الله بن عبد العزيز يستقبل الأخ أبوعلاء، في زيارة رسمية للمملكة العربية السعودية

أبو علاء مع الرئيس الأمريكي بيل كلنتون - في البيت الأبيض -واشنطن

أبـو علاء ، أبومازن، مجلي وهبـة، أحمد الطيبي، أثناء محادثات واي ريفر - الولايات المتحدة الامريكية

الرئيس الجزائري " عبد العزيز بوتفليقة " يستقبل الأخ أبوعلاء في قصر الرئاسة في الجزائر

أبو علاء ونائب وزير الخارجية الروسي " سلطانوف " – رام الله ٢٠٠٥

أبومازن، أبوعلاء، نبيل شعث، ياسر عبد ربه، صائب عريقات و أكرم هنية
أثناء محادثات واي ريفر–واشنطن

الرئيس أبوعمار و أبو علاء -واي ريفر - الولايات المتحدة الأمريكية

الرئيس أبوعمار وأبوعلاء في إستقبال القائد نيلسون مانديلا في زيارة رسمية
للمجلس التشريعي الفلسطيني - رام الله

الرئيس أبوعمار والوفد الفلسطيني المرافق، الذي يضم كل من أبوعلاء ، الشاعر محمود درويش ، أم جهاد، سهى عرفات، عبد الله الافرنجي، بسام أبوشريف، نمر حماد سفير فلسطين في روما، في زيارة رسمية للفاتيكان

الرئيس أبوعمار وبطارك روسيا و أبو علاء -في زيارة لكنيسة المهد - بيت لحم

الرئيس أبوعمار وملك المغرب " الحسن الثاني" وأبومازن وأبوعلاء، في زيارة رسمية للمغرب، بعد العودة من اجتماعات واي ريفر في الولايات المتحدة الامريكية

ولي العهد المغربي الأمير محمد السادس يستقبل الرئيس أبو عمار، يرافقه أبومازن وأبوعلاء، نبيل أبوردينة

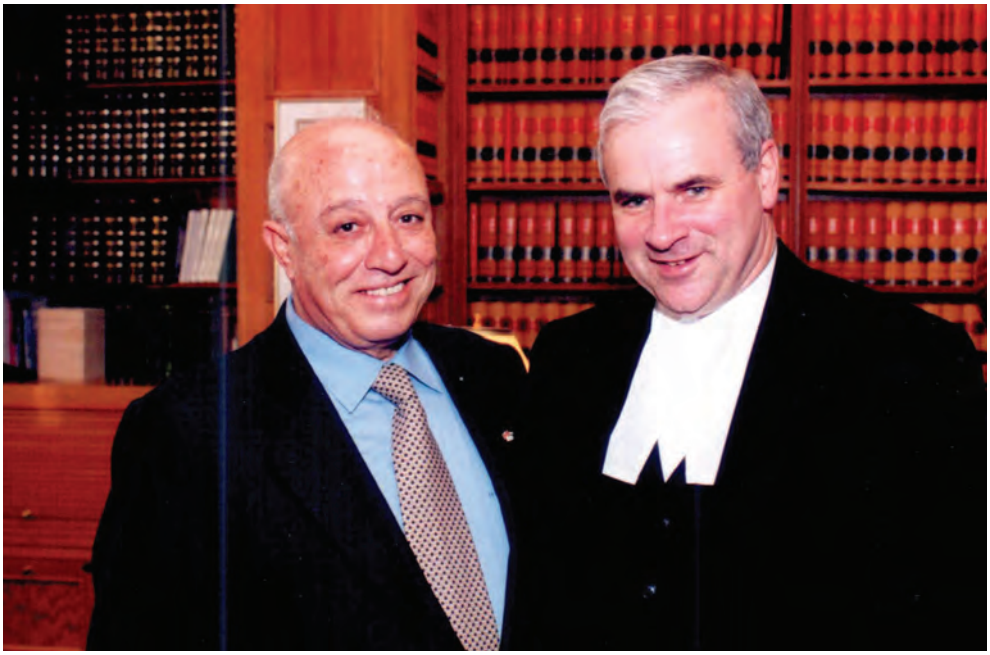

رئيس البرلمان الكندي يستقبل الأخ أبوعلاء، في زيارة للبرلمان الكندي-أوتوا - كندا

الرئيس أبوعمار وأبوعلاء مع رئيس جمهورية بينين-افريقيا ، في زيارة رسمية لجمهورية بينين-افريقيا

رئيس المجلس التشريعي الفلسـطيني "أبوعلاء" والدكتور "غازي حنانيا " ، في زيارة رسـمية للبرلمان النرويجي

أبوعلاء ورئيس الوزراء الفرنسي " ليونيل جوسبان " في زيارة رسمية لفلسطين – المجلس التشريعي الفلسطيني – رام الله

أبوعلاء مع رئيس جمهورية اليونان " كوستيس ستيفانوبولوس " في زيارة رسمية لفلسطين – بيت لحم– ٢٠٠٠

رئيس البرلمان الهندي يُقلد أبوعلاء رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني قلادة البرلمان الهندي ، في زيارة رسمية لنيودلهي – الهند – ٢٠٠٠

زيارة وفد المجلس التشريعي الفلسطيني برئاسة أبوعلاء الى فنلدا
في الصورة أبوعلاء ورئيسة البرلمان الفنلندي وسفير فلسطين زهير الوزير

أبوعلاء ورئيسة وزراء ايرلندا " ماري روبنسون" – رام الله

أحمد قريع (أبو علاء) ١٩٣٦م - ٢٠٢٣م

- من مواليد أبوديس / القدس.
- شخصية بارزة في العمل السياسي الفلسطيني، تفرغ تماماً لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) عام ١٩٦٨، بعد أربعة عشر عاماً قضاها في العمل المصرفي في المملكة العربية السعودية.
- أسس مؤسسة صامد (معامل أبناء شهداء فلسطين) في بيروت في أوائل السبعينيات وشغل منصب مديرها العام حتى توقفها عن العمل نهائياً في (٢٠٠٧/٢٠٠٨).
- تولّى منصب مدير عام دائرة الشؤون الاقتصادية والتخطيط في منظمة التحرير الفلسطينية، حيث عمل من خلال هذه الدائرة على دعم وإنشاء العديد من المشاريع والمؤسسات الفلسطينية في الوطن مثل: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، مجلس الإسكان الفلسطيني، ومؤسسات الإقراض وغيرها.
- شغل منصب محافظ فلسطين لدى البنك الإسلامي للتنمية منذ ١٩٨٧حتى عام ١٩٩٦.
- عضوٌ في المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعضوٌ في المجلس الوطني الفلسطيني.
- أُنتخب عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح في آب/ أغسطس عام ١٩٨٩.
- أشرف على إعداد البرنامج العام لإنماء الإقتصاد الوطني الفلسطيني للسنوات ١٩٩٤- ٢٠٠٠.
- شغل منصب المدير العام للمجلس الإقتصادي الفلسطيني للتنمية والإعمار(بكدار).
- عُيّن وزيراً للإقتصاد والتجارة ووزيراً للصناعة في أول حكومة فلسطينية في الفترة (١٩٩٤-١٩٩٦).
- أُنتخب عضواً في المجلس التشريعي الفلسطيني بعد الإنتخابات العامة الفلسطينية عام ١٩٩٦ عن دائرة محافظة القدس ممثلًا عن حركة فتح، وأنتخب رئيساً للمجلس التشريعي الفلسطيني عام ١٩٩٦ وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ٢٠٠٣.
- تولى منصب رئيس مجلس الوزراء الفلسطيني منذ أكتوبر ٢٠٠٣ وحتى آذار ٢٠٠٦، ترأس خلالها ثلاث حكومات فلسطينية (الحكومة السابعة والحكومة الثامنة والحكومة التاسعة).
- تولى مهمة المفوض العام لمفوضية التعبئة والتنظيم في حركة فتح حتى نهاية عام ٢٠٠٩.
- أُنتخب عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وعين رئيساً لدائرة شؤون القدس في منظمة التحرير الفلسطينية في شهر تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٩.
- أُنتخب أمين سر المجلس الاستشاري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني عام ٢٠١١.
- ترأس مجلس أمناء جامعة القدس ورئيس مجلس إدارة معهد القدس للدراسات والأبحاث حتى وفاته عام ٢٠٢٣.
- لعب دوراً أساسياً في عملية السلام في الشرق الأوسط حيث شغل منصب المنسق العام للوفود الفلسطينية للمفاوضات المتعددة الأطراف، وترأس الوفد الفلسطيني خلال المباحثات الفلسطينية الإسرائيلية في أوسلو/ النرويج، التي انتهت باتفاق إعلان المبادئ الذي وقّعه بالأحرف الأولى عن الجانب الفلسطيني في العشرين من آب/ أغسطس عام ١٩٩٣. وترأس الفريق الفلسطيني في المفاوضات التي أدت إلى التوقيع على اتفاقية المرحلة الانتقالية الثانية) عام ١٩٩٥، كما ترأس الجانب الفلسطيني في لجنة التوجيه لتنفيذ هذه الاتفاقية. ترأس الوفد الفلسطيني في مباحثات الوضع النهائي مع الإسرائيليين خلال مفاوضات ستوكهولم وشارك في مفاوضات كامب ديفيد عام ٢٠٠٠. وترأس فريق المفاوضات الفلسطيني في المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية في طابا عام ٢٠٠١، كما ترأس فريق المفاوضات الفلسطيني إلى مفاوضات الوضع النهائي التي انطلقت بعد مؤتمر أنابوليس للسلام في الشرق الأوسط عام ٢٠٠٧.

على دروب الفتح (٦)

فتح في زمن التغريبة التونسية

فلسطين جزء من الوطن العربيّ والشّعب الفلسطينيّ، جزء لا يتجزّأ من الأمّة العربيّة، وقد عاش الشّعب الفلسطينيّ في وطنه فلسطين منذ أقدم عصور التّاريخ وإلى اليوم، وأغنى الحضارة الإنسانيّة في المجالات كافّة، وكان دائماً الشّعب الّذي يدافع عن أرضه المقدّسة، وصمد أمام غزوة الفرنجة والتّتار، وسطّر الملاحم مع أمّته في حطين وعين جالوت، وكان منذ فجر الإسلام وحتّى اليوم قلب الأمّة العربيّة الإسلاميّة، يحمي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشّريفين ويصون حمى مسرى النّبيّ محمّد ومهد عيسى عليهما صلوات الله وسلامه.

ISBN 978-9950-364-40-0

9 789950 364400

جامعة القدس
معهد القدس للدراسات والأبحاث